فهرس

مَن عادى أولياءَ الرحمن
فقد نبَذ الإيمانَ بالجّان

إني قلت في بعض كتبي إن الله يسلب إيمان قوم يعادون أولياءه، فسألني بعض الناس عن علل هذا السلب، وقال إنما الإيمان يتم باتّباع كتاب الله وسنن رسوله، فما ندري أيّ ضرر للإيمان بعداوة أحد من المسلمين، بل نقول إنها أقوال لا أصل لها وإن هي إلا وهم المتوهمين.

فاعلم أن هذا الرأي رأيٌ ركيكٌ أخَفُ من المغازل، وأضعفُ من الجوازل، وإنما نشأ من قلة التدبر من طبعٍ فَقَدَ دَرَّ الفكر الصحيح، وأكبَّ على الدنيا بالقلب الشحيح، وكان من معارف الدين من الغافلين.

والأصل في هذا الباب أن بني آدم كشخص واحد.. بعضهم كالرأس والقلب والكبد والمعدة والكلية وأعضاء التنفس، وهم سروات نوع الإنسان، وبعضهم كأعضاء أخرى. فالذين جعلهم الله كالرأس أو القلب وغيرهما من الأعضاء الرئيسية، فجعلهم مدارًا لحياة كل من سُمّيَ إنسانا، وكما أن الإنسان لا يعيش من غير وجود هذه الأعضاء، فكذلك الناس لا يعيشون بحياتهم الروحاني من غير وجود هؤلاء السادات من الرسل والنبيين والصديقين والمحدَّثين والشهداء والصالحين. فظهر من ههنا أن الموت الروحاني هو مطرحُ

بُغضِ الأولياء، فالذي اشتد بُغضه ومُماراته بهذه الطائفة المقبولة، وتواترت مباراته بتلك الفئة المحبوبة، وما امتنع وما تاب، وما دعا اللهَ أن يتداركه، وما ترَك السبَّ واللعن والطعن والخصومة، فآخرُ جزائه عند الله سلبُ الإيمان، وتركُه في نيران الحسد والفسق والعصيان، حتى يلتحق برهط الشيطان، ويكون من الخاسرين.

والسرّ في ذلك أن أولياءَ الله قوم يحبهم الله ويُحبونه، ولهم بربهم تعلقات قوية، وله إليهم توجهات عجيبة، وعنايات لطيفة، وبينهم وبين الله أسرار لا يعلمها إلا حِبُّهم، فيُحبّهم الله حُبًّا عجيبا، ويُعادي من عاداهم ويوالي من والاهم، ولا يدري أحدٌ لِمَ أَحَبَّهم إلى تلك المرتبة، ولِمَ أتمَّ لهم وظائف الوداد كلها، ولِمَ صاروا من المحبوبين.

وقد جرت عادة الله تعالى أنه يُفيض الحق على قلوبهم، ويُجري لطائف العلوم في خواطرهم، ويطهّر فكرهم، ويُنقّح حكمتهم، ويُعطي لهم عِلم تبَصُّر العواقب، واتقاء مواضع المعاطب، ويقود كل خير إليهم، ويطرد كل شر منهم، ويُطلعهم على معارف كتابه وعلوم نبيّه، ويربيهم من عنده، ويهديهم إلى صراطه، وينعم عليهم بنعماه الظاهرة والباطنة، ويحفظهم من مقامات مزلّة الأقدام، ويجعلهم من المحفوظين، ويجعلهم مِن حُماة حوزة الإسلام، ويشرح صدورهم ويوجّههم إلى حضرته التي هي مبدأ الفيوض، فيأتيهم الفيض في كل يوم غضًّا طريًّا، ويُنفَح في صدورهم من ذلك الفيض الإلهي أنواع لوامع. والناس يعملون الخيرات تطبّعا، وهُمْ طباعا، ولا

تصدر الأعمال الصالحة منهم تكلفا، بل تقتضيها فطرتهم السليمة، وتجري فيها إراداتُ الصلاح كفوران العين، ولا يتكاءدهم من الأعمال الشاقة ما يتكاءد غيرَهم. تراهم كالجبال عند الأوجال، وتتبين شجاعتهم عند تبيُّنَ الأهوال، يتحلّون بمحاسن الأخلاق، ويتخلّون مما يسم* بالأخلاق، يصبرون تحت مجاري الأقدار حُبًّا ومواطأةً لا لِتنوُّهِ الأقدارِ، ويطيعون ربهم ببذل الروح واقتحام الأخطار، ابتغاءً لمرضاة الله لا لارتفاع الأخطار. لا يريدون مَلل الخلائق، ولا تجد فيهم سوء الطبع وتوشين الخلائق. الراحمون المحسنون إلى عباد الله، مآلُ الأمل وثمال اليتامى والأرامل. يبعُدون عن كل كدُورَة وظلام وعن الهيئة الظلمانية، ويُملأون من الأنوار والجواهر الإيمانية، ويُصيَّر صحنُ صدورهم مسعى للأوابد الروحانية، ويخرّون أمام السُّدّة الربّانية، وتغرق أرواحهم في بحار حضرته ساجدين. ويخرجون من النفس والهواء⊙ والإرادة، ولا يدرون النفسَ ولذّاتِها، ويقلّبهم الله يمينا وشمالا حكمةً من عنده، ويجدد لهم إراداتٍ بعد فناء الإرادات النفسانية كلها. ثم يُرسلهم إلى عباده رحمة منه، فيدعون الناسَ إلى الخير والصلاح، والسعادة والنجاح، فالذين يقبَلوهم ويتّبعوهم ويحذون حذوهم في كل

* *يبدو أنه سهو من الناسخ، والصحيح: "يصم". (الناشر)*

⊙ *يبدو أنه سهو من الناسخ، والصحيح: "الهوى". (الناشر)*

أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم، ولا يُفارقون أظلالهم ولا يخرجون عما أمروهم، فينالون السعادة ويفوزون فوز السعداء، ويُرضون الله ورسوله ويكونون مُباركين.

فالحاصل أن خدمة هؤلاء الكرام عنوان السعادة، ومحبتهم استثمار المعرفة، ومصافاتهم مُصافاة الله، وبثّ مدائحهم زمام الفلاح، وتطلُّب مثالبهم من أمارات الطلاح، وتتبُّع عيوبهم مدحض المحسنات، وتكلُّف كَلَفِهم كفّارة السيئات. فالذين ما انتظموا في سمطهم، وما انخرطوا في جماعتهم، وما التحقوا برهطهم، بل عادَوهم وخالفوهم، وتجاوزوا الحد في مَقْتهم عند المخاصمات، وتَعدَّوا الأدبَ في المكالمات، فأحبط الله عملهم، وأرداهم وباءوا بسخط من الله، ورجع إليهم نكالٌ من الله وغضبٌ من عنده، فنــزع الله من قلوبهم كلَّ حلاوة الإيمان ونور العرفان، وتركهم في ظلمات خاسرين مخذولين.

ثم اعلم أن كل ما قلنا هي علل روحانية لسلب إيمان المخالفين، وأما الأسباب الخارجية لخسرانهم وبُعدهم عن الحق، فهي أسباب أعدّوها لهم من عند أنفسهم، فهي أنهم يُخالفون إمام الوقت وخليفة الزمان في كل قوله وفعله وعقيدته، مع أنه على الحق ومؤيَّد من الله تعالى، فكلما يُخالفونه ويتركون طريقه فيَبعدون عن طرق السعادة والصدق والصواب، ويطرحهم شِقوتُهم في فلوات الخسران والتباب فيصيرون من الهالكين.

ومن المعلوم أن الرجل الذي خالف الحق وخالف الذي يدعو إلى الحق على بصيرة، فلا بد له أن يقع في هوة الخطايا، فإنه خالف المحفوظَ المصيب المؤيَّد من الله. ثم معلوم أن المخالفة إذا بلغت منتهاها، فتزيد شقاوة المخالف يوما فيوما، فيكون حريصا على رد كل كلمة الحق والحكمة والصداقة التي أُعطيت لإمام الزمان، بل هذا هو النتيجة الضرورية اللازمة لكمال العناد، فإن العناد إذا بلغ كماله فيجترئ المعاند لشدة عناده يوما فيوما على المخالَفة حتى يقع يوما في مخالفة عظيمة تُهلِكه وتسلب إيمانه، فيلحق بالمخذولين. ألا ترى أنك إذا اخترت طريقا على وجه البصيرة وتعلم أنه طريق مستقيم يُوصلك إلى منـــزلك ودارك سالما غانما، ومعك في سفرك عدو شقي، فحمَله عداوتُك على أن يختار لنفسه طريقا آخر يُخالف طريقك مع أن فيه قطاعَ الطريق وسباع وأفاعي وآفات أخرى، فلا شك أنه ألقى نفسه إلى التهلكة، فإن هلك فما كان سبب هلاكه إلا مخالفتك، فتَدبَّرْ واتّق الله ولا تكن إلا مع الصادقين. ولا تؤذ صادقا ولا تُعِنِ الذي أبلى في هيجائه، بل لا تكنْ من الذين هم نَظّارة ذلك الحرب، ورضوا بالطعن والضرب، وأفاضوا في سماع كلمات فيها استخفافه، وتُبْ مع الذي تاب، فإن الصالحين قوم إذا أراد الله نصرهم فيخلُق مِن لدنه الأسباب ويُبدي العُجاب، ويأتي المعادين من حيث لا يعلمون، ولا يُخزي عباده المحبوبين. فأوصيك أن لا تُمارِهم، ولا تخالِفْ قولهم بفهمٍ أنحَلَ وعقلٍ أقحَلَ، ولن تبلغ

أفهامَهم وعلومهم، ولو كان عندك جبل من الكتب، فإنهم يُؤتَون علمًا وفهمًا مِن لدن ربهم، وتُنوَّر أفهامهم، وتُصفَّى عقولهم، وتُوسَّع مَداركهم، ويعصمهم يدُ الرب من مزلّة، وربما تسمع من أفواههم كلماتٍ هي عندك كلمات الكفر وأقوال الارتداد، وأما إذا فكّرتَ أنت وأمثالك في كلماتهم بقلب سليم ورأي حُرّ، ودعوتَ الله أن يفهّمك، فإذا هي معارف الحكمة ولآلئ المعرفة، فإن كنت سعيدا فتقبَلها بعدما فهمتَها، وإن كنتَ شقيًّا فتبقى على إنكارك وتجحد وتختار التكذيب لنفسك، فتسفِك دمَ إيمانك بيديك، وتلحق بالذين هم ضيّعوا إيمانهم، وهم يعلمون وما كانوا مهتدين.

يا مسكين! لا تعجَلْ.. ولا تُكفِّرْ عبداً اصطفاه الله وتراه يصلّي ويصوم ويستقبل القبلة، وتجد فيه سِمة الصلحاء واتّباع السُنّة، ولا تعجَلْ على ما ادّعى من الكمالات والمعارف، فإن في الإسلام قوما يُؤتَون حكمةً روحانية من ربهم، لا يفهم أقوالهم كلُّ غبي وبليد. فراستهم قد أوتيت من الإصابة، وعقولهم فاقت عقول العصابة، وفهمُهم يُفصِح عن كلِّ مُعَمَّى، ولا يطيش سهمهم في مرمَى، وما يضرّهم شيطان فيتبَعه الشهابُ، وما يصل إليهم سهم وإن تخلو الجِعابُ. يُؤتَون من لطائف العرفان، ولهم يد طولى في البيان، وتعريضهم أدلُّ من تصريحِ غيرهم، وكلامهم تتجلى◈ في الألوان،

◈ سهو، والصحيح: "يتجلى". (الناشر)

ويسمح خواطرهم للإفاضات، وهم أعمدة الدنيا وعُمَدُ الدّين، وللخَلق وجودُهم كروح الحياة، ومن عاداهم فقد بارزه الله للحرب، فتارة يأخذه من غير إمهال، وتارة يؤجله أجلا ويُرخي له طولا، حتى إذا جاء وقته فيحرق كُتْبَته صاعقةُ العذاب، ويجعله كأن لم يكن من العائشين.

بسم الله الرحمن الرحيم
يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسانَ ما لم يعلم، وبلّغه إلى مراتب العرفان واليقين. والصلاة والسلام على رسوله نبي أمي إمام المعلّمين من الأنبياء والمرسلين، وإمام كل من نطق عن الوحي وكتب علم الحكمة ومعارف الدين؛ الذي ما بَرَى القلمَ قطُّ وما قَطَّ، وما احتجر اللوح وما خطَّ، وخلقه الله في أحسن تقويم ففاق خلق العالمين، وأصحابه الهادين المهتدين، وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد.. فإنه قد وصل إليَّ مكتوب من مكة.. شرّفها الله وعظّمها.. فلما قرأته علمتُ أنه مكتوب كتبه بعض أحبائي من المبايعين، وعرفت أنه يريد لأُعَرّف أهل مكة من بعض حالاتي. فما رضي قلبي بأن أكتب إليهم الأمر المجمل المطويّ، بل أردت أن أُبين بيانا تطمئن به قلوبهم، وتحصل لهم معرفة ويتقوى به رأيهم ووجداهم وفراستهم، فغلب هذا القصد على قلبي، ونُفث في روعي أسرارٌ لأهل مكة، حتى امتلأت نفسي ونسمتي بها، وكتبتُها في مكتوب وأرسلت إليهم، ثم بدا لي أن أرتبه بصورة رسالة وأشيعه في الناس بعد طبعه لينتفع به خَلق، وليكون كسراج منير للطالبين.

فالآن نشرع في المقصود، ونكتب أوّلاً المكتوب الذي جاء من أهل مكة، ثم نكتب مكتوبا أرسلنا إليهم، وما توفيقنا إلا بالله الذي يتولى عباده، وهو أرحم الراحمين.

المكتوب الذي جاء من مكة شرّفها الله وأعزّ أهلها

بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلي على رسوله الكريم

سلام الله تعالى ورحمته وبركاته وأزكى تحيته على حضرة جناب مولانا وهادينا ومسيح زماننا غلام أحمد، كان الله تعالى في عونه، آمين يا رب العالمين.

أما بعد، أعرّفكم أني وصلتُ مكة بخير وعافية، وكلما جلست في مجلس أذكركم وأذكر قولكم، وجميع الذي ادعيتموه من الآيات والأحاديث، فصار الناس يتعجبون، والبعض منهم يُصدّقون ويقولون اللهم أَرِنا وجهه في خير.

ولما فرغنا من شهر الحج وهلَّ علينا شهر عاشوراء، مررت يوما من الأيام على واحد من أصحابنا اسمه "علي طايع"، فجلست عنده، فسألني عن الهند وعن السفر وأحواله، فأخبرته بالذي حصل، وأخبرته عن دعواكم، وفهّمته على أحسن ما يكون، ففرح بذلك، وقلت له: هو رجل حليم عظيم إذا رآه المؤمن يُصدّق به. فالكلمات التي فهّمتها إياه طفق يذكرها عند كل أحد من الناس، وقال لي: متى يجيء إلى مكة؟ قلت له: إذا أراد الله سبحانه وتعالى يجيء إلى مكة - شرّفها الله تعالى - عن

قريب. والآن ألّف كتبا عربية في إثبات دعواه، يريد أن يرسلها إن شاء الله تعالى. هذا ما قلت لعلي طايع.

ثم لما أن أردت إرسال هذا الكتاب، قلت له أنا أريد أن أرسل لمولانا كتابا. فقال لي: قل له في الكتاب يُعجل بارسال الكتب التي ألّفها ويُعجل بالمجيء بنفسه إلى مكة. فقلت له: حتى يأذن الله. وقلت له لولا مخافة الفتن ما تركتُ الكتب التي ألّفها مولانا وجئت بها. فقال لي: لم خفتَ؟ لو جئتَ بها لكان خيرا. ثم قال لي اكتب لمولانا يُرسل الكتب على اسمي وأنا أقسمها وأُطلع عليها شريفَ مكة والعلماءَ وجميع الناس ولا أبالي من أحد. وقال: أنا أعرف أن المؤمن إذا سمع ذكر هذا الرجل يفرح، والمنافق يغضب.

وهذا الرجل المذكور الذي اسمه "علي طايع" ساكن في شعب عامر، وهو رجل طيب من الأغنياء، وصاحب بيوت وأملاك وتاجر عظيم. فأنتم أرسِلوا الكتب باسمه وبهذا العنوان يصل إن شاء الله تعالى: إلى مكة المشرّفة، ويُسلَّم بيد علي طايع تاجر الحشيش⊙، في حارة الشعب، يعني شعب عامر.

وسلِّمْ منا على مولانا نور الدين، وعلى مولانا السيد حكيم حسام الدين، وسلِّمْ منا على كافة إخواننا، كل واحد منهم باسمه.. صغيرهم وكبيرهم، وخصوصا فضل الدين وولد أخته

⊙*أي العشب أو العلف للحيوانات. (الناشر)*

مولانا عبد الكريم، وإنَّا لهم من الداعين في بيت الله الحرام، وخُصَّ نفسك بألف سلام.

الراقم بذلك: أحقر عباد الله الصمد محمد بن أحمد، ساكن شعب عامر

٢٠ شهر عاشورا سنة ١٣١١هـ

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

إلى المحب المخلص.. حبي في الله محمد بن أحمد المكّي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد، فإنه قد وصلني مكتوبك وقرأته من أوله إلى آخره، وسرّني كلُّ ما ذكرته في مكتوبك، وشكرت الله على أنك وصلت وطنك وبيتك بالخير والعافية، ولقيت الأحباب وعشيرتك الأقربين.

وأما ما ذكرتَ طُرفًا من حسن أخلاق السيد الجليل الكريم علي طايع وسيرته الحميدة وآثاره الجميلة، ومودّته وحسن توجّهه عند سماع حالاتي، ومِن أنه سُرَّ بذلك، فأنا أشكرك على هذا، وأشكر ذلك الشريف السعيد الرشيد، وأسأل الله لك وله خيرا وبركة وفضلا ورحمة إلى يوم الدين.

وقد **أُلقيَ** في قلبي أنه رجل طيب صالح، وعسى أن ينفعنا في أمرنا، ويُكمل الله لنا بعض شأننا بتوجهه وحسن إرادته وعلى يده، واللهُ يدبّر أمور دينه كيف يشاء، ويجعل من يشاء وسيلة لتكميل مهمات الإسلام، ويجعل من يشاء لدينه من الخادمين. وفطنتُ بفراستي أن ذلك السعيد الذي ذكرت محامده في مكتوبك رجل شجاع في سبيل الله لا يخاف لومة لائم عند إظهار الحق وإشاعته

وتأييده وتشييده، وقد جمع الله فيه سِيَرًا محمودة، وأخلاقا فاضلة، مع الفتوة والشجاعة، وانشراح الصدر، وجود النفس، والورع والتقوى، ومنَّ عليه بتوفيق الإخلاص والاجتهاد في سبيل الله، كما مَنَّ عليه بإعطاء الثروة والغناء، وجعله في الدنيا والآخرة من المنعَمين. وكذلك إذا أراد الله بعبد خيرا فيعطيه من لدنه قوة في الخيرات، وطاقة في الحسنات، ويجعل مِن سِيَرِه القيام بمهمات الدين والفكر لإحياء الملة وإشاعة كتبها، وتمزيق دساتير الشياطين الملعونين؛ فلا يخاف إلا الله، وإن ير خير الدين في أمرٍ مِن بذلِ روحه وإهراق دمه فيقوم مستبشرا للشهادة، فيعتصم بحبل الله جميعا من قوة بدنه وقلبه وجوارحه وعقله وفهمه، ويُنهِض كل ذراته لطاعة الله وانقياد أوامره، ولا يغفل عن ربه طرفه عين، ويقف بالمرصاد في كل حين. ويُشمّر الذيل لإفشاء أحكام الله وإعلائها وإن كان فيه خطر عظيم أو عذاب أليم. ويبارز كالفحول ولا يقربه أثرُ الجبن والحؤُول، ولا يتأخر لخَطْبٍ خَشَّى وخوفٍ غَشَّى، ويَنُصّ للدين رِكاب السُّرى، ويجُبُّ لتأييده كلَّ وعور وجبالٍ عُلى، ليرضي الله المولى ويدخل في المحبوبين.

وإني أرى أن أذكر لهذا الفتى النجيب قليلا من حالاتي، ومما أنا عليه من هداية ربي، وأكشف له عما منَّ الله به عليَّ، وأعرّفه من بعض سوانحي، لعله يزيد معرفة في أمري، ولعله يتفكر ويعلم ما أراد الله رب العالمين.

فاعلموا يا إخواننا.. رحمكم الله وحماكم وحفظكم.. أن الله اطّلع على الأرض في هذا الزمان فوجدها مملوّة من الفسق والكفر والشرك والبدعات، وأنواع المعاصي ومكائد المتنصرين. **ورأى** أن أرض قلوب الناس قد فسدت، وكل قرية عامرة ومزارع صلاحها تعطلت، وغلبت الضلالة على كل برّ وبحر، وأفواج الفتن من كل جهة ظهرت، وقلَّ أثر الصالحين.

ورأى الناسَ أنهم قد مالوا إلى اعتقادات رديّة فاسدة، وعزوا أمورا إلى حضرة الوتر سبحانه يجب تنـــزيهه عنها. ورأى أن النصارى جعلوا عبدا عاجزا إلها، وخرقوا لإثبات الألوهية دلائل من التوراة والإنجيل بتأويلات منحوتة من عند أنفسهم، وصاروا في الأرض أئمة المفسدين. وقد أضلوا خلقا كثيرا، وارتبط بهم كل قلب فاسد ارتباطَ ذراري الشيطان بالشيطان، وجاءوا من لطائف حِيَلِهم بسحر مبين.

يستجلبون الناس إلى دينهم بأنواع من التدابير التي لا نهاية لها، فرغب إليهم كثير من عَبَدة الأوثان وجهلاء المسلمين المحجوبين، وأذعن المرتدون لهم وصدّقوا مفترياتِهم، وآمنوا بتمويهاتهم، ودخلوا في دينهم الباطل، ونزعوا عن أنفسهم ثياب دين الإسلام، وغشِيهم الغي كالسيل المنهمر، وأدركهم العطب كالوباء العام، فهلكوا مع الهالكين. وما بقي قوم في الهند ولا قبيلة في هذه الديار إلا دخل بعض منهم في دين التنصر إلا ما شاء الله. وكانت هذه بليّة عظمى

على دين الإسلام ما سُمِعَ نظيرها من قبل وما وُجِدَ مثلها في الأولين. ولو فصّلنا أنواع فتنتهم وأقسام مكائدهم لرأيتَ أمرًا يهولك الاطلاع عليه، ولَمُلئتَ خوفا وحزنا، ولبكيتَ على مصائب المسلمين.

وما كان دليلهم على **ألوهية المسيح** إلا أنهم زعموا أنه خلق الخَلق بقدرته، وأحيا الأموات بألوهيته، وهو حيّ بجسمه العنصري على السماء، قائم بنفسه مُقوِّمٌ لغيره، وهو عين الرب والرب عينه، وحَمل أحدهما على الآخر حمل المواطأة، وإنما التفاضل في الأمور الاعتبارية، أزليٌّ أبديّ وما كان من الفانين. ويُجوِّزون لله تنــزّلاتٍ في مظاهر الأكوان، ثم يختصونها بجسم المسيح جهلا وحمقا، وليس عندهم على هذا من دليل مبين.

ويسبّون رسول الله ﷺ ويشتمون وينحتون في شأنه بهتانات، ولا يتكلمون إلا بسبيل التعنيف والتهجين والتوهين. وألّفوا في الرد على الإسلام وتوهين رسول الله ﷺ ألوفا من الكتب وطبعوها وأشاعوها في البلاد، وتبعوا آثار إبليس اللعين.

فلما بلغتْ فتنُهم إلى هذا المبلغ وأضلّوا جِبلاًّ كثيرا، اقتضتْ رحمة الله الرحيم الكريم أن يتدارك عبادَه ويُنجيهم من كيد الكافرين. فبعث عبدا من عباده ليؤيد دينه، ويجدّد تلقينه، وينير براهينه، وينضِّر بساتينه، ويُنجِز وعده ويُعِزّ حبيبه وأمينه، ويجعل الأعداء من الخاسرين. وخصّني بعناياته، وأمَرني بإلهاماته، وربّاني

بتفضلاته، وأيّدني بتأييدات متعالية عن طور العقل، وآتاني من لدنه العلومَ الإلهية والمعارفَ والنِّكات، وشفَعها الآيات، ليتعاطى الناس مني كأس البصيرة واليقين.

فيا حسرة على قومي! إنهم ما عرفوني وكذّبوني، وسبّوني وكفّروني، ولعنوني كما يُلعَن الكافرون. فتصدَّى كل أحد منهم بالغلظة والفظاظة والغيظ والغضب والاستيشاط، ودرَأْنا بالحسنة السيئةَ، ولكنهم ما تجافَوا عن الاشتطاط، وما سمعوا قول ناصح، ونسوا وألغوا وعيد الله الذي أُعِدَّ لقوم مجرمين. وصدّوا خَلق الله عن سبيله، وأرادوا أن يُطفئوا نور الحق بأفواههم، وقاموا في كل طريق عنيتُ، فلأجل شرورهم سئمتُ التكاليفَ وتعنّيتُ، ومع ذلك خاطبتُهم بألين القول وطريق الرفق والموعظة الحسنة، ومهّلتُهم وعفوت عنهم صبرا مني، فإنهم لا يرون مَجالِيَ الحق وظهوراته، ولا يعرفون المعارف الدقيقة ومآخذها، ولا يقلِبون جنوبهم إلا كالنائمين.

ويُجادلونني في **أسرار** قبل أن ينظروا فيها ويُفتّشوا حقيقتها، وقد عجزوا أن يحتجّوا عليَّ بوجه المعقول والمنقول، وسقطوا عليّ كالجهلاء والسفهاء، وأرادوا أن يغلبوا بالسبّ والشتم والتكفير والبهتان، وقَفَوا ما لم يكن لهم به علم، وتركوا سبيل المتقين. وما تركوا شيئا من سوء الظن وتركِ الأدب والافتراء والقيام بمخالفة الحق، وما شهدوا إلا بِزُورٍ، وما جادلوا إلا بمكائد الشياطين. فلما

اضطرمتْ نار الفساد بأيديهم، وانطلقتْ إلى دخان الفتن أرجلُهم، سألتُ الله ربي أن يُعينني من لدنه ويؤيدني من عنده، وقلتُ ربنا افتَحْ بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

فأيّدني ربي بآيات، وأنار أمري ببركات، وأتم حجتي على الطالبين، ولكنهم ما خلَّوا سبيلي وما كانوا منتهين. وجحدوا وقد تبين الرشد من الغي وحصحص الحق. فأعجبَني إنكارُهم وقساوة قلوبهم، إنهم رأوا علامات صدقي وآيات قبوليتي، وما رجعوا إلى الحق وما كانوا راجعين.

يا حسرة عليهم! إنهم لا يفهمون حقيقة الواقعات، ولا يقبلون الآيات، بل يحتالون عند رؤيتها ويتعامون مع وجود الأبصار، ويفترون عليّ أشياء ويريدون أن يُطفئوا نور الإسلام، وصاروا ظهيرا للكافرين. وكان **الحق** واضحا صريحا مشرقا كالشمس، ولكن أخذتْهم العزة والحسد والبخل، فطبَع الله على قلوبهم، وجعل على أبصارهم غشاوة، فما استطاعوا أن يروا الحقيقة كالمبصرين. إنهم شابهوا اليهود ونزلوا منازلهم بتوارد الأعمال والأفعال والنيات والخواطر، ووقع هذا التوارد كما يقع الحافر على الحافر، وما انتهوا بل يزيدون في كل حين.

والذين مَنَّ الله عليهم بالهداية، وأراهم نهج الصدق والصواب، فأولئك الذين ينظرون إليَّ بحسن الظن، ويفكّرون في أمري بنور القلب، فينبِّئُهم نورُهم بحقائق صدقي، ويقبَلون ما أقول لهم، ولا

يشابهون تلك السفهاءَ الجهلاء، ويسلكون مسلك الأتقياء، ويتبعون سبل السعداء، ويأخذون أدب الصلحاء، وقد أنزل الله عليهم سكينة من عنده وجعلهم من المستيقنين. يتقون الله ويخافون مقامه وليسوا كالذي يذَر الآخرةَ ويُلغيها، ويحب العاجلةَ ويبتغيها، ويظلم الفئةَ الصالحة ويؤذيها، ويسعى في الأرض ليفسد فيها، ويُضل أهلها ويُكفّر قوما مؤمنين.

وإن أحبائي لَمتّقون جميعهم، ولكن أقواهم بصيرةً وأكثرهم علمًا، وأفضَلهم رفقًا وحلمًا، وأكمَلُهم إيمانًا وسِلمًا، وأشدّهم حبًّا ومعرفةً وخشيةً ويقينًا وثباتًا، رجلٌ مبارك كريم تقيّ، عالم صالح فقيه محدّث جليل القدر حكيم حاذق عظيم الشأن، **حاجّ** الحرمين حافظ القرآن، القرشي قومًا والفاروقي نسبًا، واسمه الشريف مع لقبه اللطيف: المولوي الحكيم **نور الدين البهيروي**، أجزلَ الله مثوبته في الدنيا والدين. وهو أول رجال بايعوني صدقًا وصفاء وإخلاصا ومحبة ووفاء، وهو رجل عجيب في الانقطاع والإيثار وخدمات الدين. أنفق مالاً كثيرا لإعلاء كلمة الإسلام بوجوه شتى، وإني وجدتُه من المخلصين الذين يؤثرون رضى الله سبحانه على كل رضاء ونساء وبنات وبنين. ووجدته من قوم يبتغون مرضاة الله ويجتهدون لرضوانه ببذل أموالهم وأنفسهم، ويعيشون في كل حال شاكرين. وإنه رجل رقيق القلب نقيُّ الطبع حليم كريم جامِعٌ لمآثر الخير، كثيرُ الانسلاخ عن البدن ولذّاته. لا يفوته موقع من مواقع

البر، ولا موضع من مواضع الحسنات، ويُحبّ أن يَسكُب دمه كماء في إعلاء دين رسول الله ﷺ، ويتمنى أن تذهب نفسه في تأييد سبيل خاتم النبيين، ويقفو أثرَ كل خير، وينغمس في كل بحر لإجاحة فتن المتمردين.

فأشكر الله على ما أعطاني كمثل هذا الصديق الصدوق، الفاضل الجليل الباقر، دقيق النظر عميق الفكر، المجاهد لله والمحب في الله بكمالِ إخلاص ما سبقه أحد من المحبين.

وأشكر الله على ما أعطاني جماعة أخرى من الأصدقاء الأتقياء من العلماء والصلحاء العرفاء، الذين رُفعت الأستار عن عيوهم، ومُلئت◈ الصدق في قلوبهم. ينظرون الحق ويعرفونه، ويسعون في سبيل الله ولا يمشون كالعمين. وقد خُصُّوا بإفاضة تَهْتان الحق ووابل العرفان، ورضعوا ثدي لبانه، وأُشرِبوا في قلوبهم وجه الله وطرق غفرانه، وشرَح الله صدورهم وفتح أعينهم وآذاهم، وسقاهم كأس العارفين.

فمنهم الأخ المكرم العالم المحدّث الفقيه الجليل السيد المولوي **محمد أحسن،** كان الله معه في كل موطن، ونصره في الميادين. إنه رجل صالح تقيّ غيور للإسلام، هدَم هيكلَ جهالة العلماء المخالفين بتأليفات لطيفة، وأطفأ نارهم وجاء بنور مبين، وأطفأ الفتن المتطائرة

◈ *سهو، والصحيح: "مُلئ". (الناشر)*

بماء مَعين. ورزقه الله ذخيرة كثيرة من علوم الدين والآثار النبوية، وله بسطة عجيبة في فن الأحاديث وتنقيدها وتمييز بعضها من بعض، والمخالفُ لا يمكث في ميدانه طرفة عين، وهُمْ مع تحريكات غيظهم وغضبهم وكثرة إمعانهم وخوضهم وشدة حرصهم على المناضلة يفرّون منه كفرار الحمير من الأسد، وإنْ هذا إلا تأييد الله الذي هو مؤيد الصادقين. ومع ذلك إنه زاهد متّق، كثير البكاء من خوف الله، يخاف مقام ربه ويعيش كالمساكين.

هذا ما أردت أن أقص عليك قليلا من شمائل أحبائي، وما هذا إلا فضل ربي ورحمته. إنه كان بي حَفِيًّا مذ كنتُ صغيرا ومُذ أيفَعتُ، وتولاني وكفلني في كل أمري. وكذلك صرَف إليَّ نفرًا من العرب العرباء، فبايَعوني بالصدق والصفاء. ورأيت فيهم نور الإخلاص، وسمة الصدق، وحقيقة جامعة لأنواع السعادة، وكانوا متصفين بحسن المعرفة، بل بعضهم كانوا فائضين في العلم والأدب، وفي القوم من المشهورين. وألّف بعضهم رسالة* في تصديقي وتأييدي، ورَدَّ على الذين كانوا من المنكرين. ورأيت أنهم يميلون إليَّ بالتودد والتحبب ولا يُشابهون بعض علماء الهند، ولا يُصرّون على

* تلك الرسالة المسماة "إيقاظ الناس" ألّفها حبي في الله أول المبايعين إخلاصا وصدقا من بلاد الشام.. السيد العالم التقي.. محمد سعيدي الطرابلسي الشامي النشّار الحميداني، وقد ألحقتُها بمكتوبي هذا لينتفع بها كل فهيم من الناظرين. منه.

الإنكار بعدما فهموا، فهذا هو السبب الذي حملني على تأليف بعض الرسائل العربية، وحثّني على دعوة تلك الشرفاء والمسعودين.

وكنت أريد أن أرسل إليكم تلك الرسائل، ولكني سمعت أن بعض عَمَلة **السلطان** يفتشّون في الطريق ويقرأون الكتب، ويحرّفونها بأدنى ظن. فأيها الأعزة! أنبئوني كيف أرسل، وبأي تدبير تصل إليكم، وأنا أجتهد في مكاني لهذا المقصد وأشاور المجربين.

وإني معكم يا نُجباء **العرب** بالقلب والروح، وإن ربي قد بشّرني في العرب، وألهمَني أن أمونهم وأُريهم طريقهم وأُصلح لهم شؤونهم، وستجدوني في هذا الأمر إن شاء الله من الفائزين.

أيها الأعزة! إن الرّب تبارك وتعالى قد تجلّى عليّ لتأييد الإسلام وتجديده بأخصّ التجليات، ومنَح عليَّ وابلَ البركات، وأنعَمَ عليَّ بأنواع الإنعامات، وبشَّرني في وقتٍ عبوسٍ للإسلام، وعَيْشِ بؤسٍ لأُمّة خير الأنام، بالتفضلات والفتوحات والتأييدات، فصبوتُ إلى إشراككم.. **يا مشعرَ العرب**.. في هذه النِّعَم، وكنتُ لهذا اليوم من المتشوفين. فهل ترغبون أن تلحقوا بي لله رب العالمين؟

وإن بعض **علماء** هذه الديار لم يزالوا يبتغون بي الغوائل، ويريدون بي السوء ويتربصون عليّ الدوائر، ويتطلبون لي العثرات، ويكتبون فتاوى التكفيرات. وكنت أقول في نفسي: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك

فيما كانوا فيه يختلفون. **فألهمني** ربي مبشّرًا بفضلٍ من عنده وقال: "إنك من المنصورين". **وقال**: "يَا أَحْمَدُ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، ما رمَيتَ إذْ رميتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى، لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ وَلِتَسْتَبِينَ سَبيل المجرمينَ". وقال: "قُلْ إنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إجْرَامِي. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَإِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ". وقال: "أَنْتَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ وَمَا أَنْتَ بِفَضْلِهِ مِن مَجَانِينَ. وَيُخَوِّفُونَكَ مِنْ دُونِهِ. إِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا. سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، يَحْمَدُكَ اللهُ مِنْ عَرْشِهِ. وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ". فأدخل الله سبحانه في لفظ اليهود معشرَ علماء الإسلام الذين تَشابهَ الأمر عليهم كاليهود، وتشابهت القلوب والعادات والجذبات والكلمات من نوع المكائد والبهتانات والافتراءات، وإن تلك العلماء قد أثبتوا هذا التشابه على النظّارة بأقوالهم وأعمالهم، وانصرافهم واعتسافهم، وفرارهم من ديانة الإسلام، ووصية خير الأنام ﷺ، وكونهم من المسرفين العادين.

وكنت أظن بعد هذه التسمية أن **المسيح الموعود** خارج، وما كنتُ أظن أنه أنا، حتى ظهر السرّ المخفيّ الذي أخفاه الله على كثير من عباده ابتلاءً مِن عنده، وسمّاني ربي **عيسى ابن مريم** في إلهام من عنده، وقال: "يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ

الْقِيامَةِ، إنَّا جَعَلْنَاكَ عِيسَى ابْن مَرْيَم، وأَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةٍ لا يَعْلَمُهَا الْخَلْقُ. وَأَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ تَوْحِيدِي وَتَفْرِيدِي، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ".

فهذا هو الدعوى الذي يجادلني قومي فيه ويحسبونني من المرتدين. وتكلّموا جِهارا، وما رجَوا لِمُلهِمِ الحق وقارا، وقالوا إنه كافر كذّاب دجّال، وكادوا يقتلونني لولا خوف سيف الحكام، وحثّوا كل صغير وكبير على إيذائي وإيذاء أصدقائي، والله يعلم تطاول المعتدين.

وبعزّة الله وجلاله، إني مؤمن مسلم، وأؤمن بالله وكتبه ورسله وملائكته والبعث بعد الموت، وبأن رسولنا محمد المصطفى ﷺ أفضل الرسل وخاتم النبيين. وإن هؤلاء قد افتروا عليَّ، وقالوا إن هذا الرجل يدّعي أنه نبي ويقول في شأن عيسى ابن مريم* كلمات الاستخفاف،

* وقالوا إن في حديث مسلم وغيره من الصحاح.. قد جاء ذكر عيسى عليه السلام وذكر الدجّال المعهود بنحو يظهر منه أن عيسى بن مريم ينـــزل لقتل الدجّال، والدجالُ المعهود رجل أعورُ عينِ اليمنى كأن عينه عنبة طافية، ومكتوب بين عينيه: **ك ف ر**، وإنه يجيء معه بمثل الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار، وهو ممسوح العين عليها ظفرة غليظة، وإنه شابّ قَطَطٌ، خارِجٌ خَلّةً بين الشام والعراق، فعاثَ يمينا وعاث شمالا، ولَبْثُه في الأرض أربعون يوما.. يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيام أهل الأرض، وإسراعه في الأرض كغيث استدبرتْه الريحُ، ويَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرَ وَالأرْضَ فَتُنْبِت، وتتبَعُه كنوزُ الأرض كيَعاسِيبِ النحْلِ، ويَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَبَاباً، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رميةَ الغرض، ثُمّ يَدْعُوهُ فيُقْبِلُ ويَتَهَلّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ.

فَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ إذْ بعث الله المسيح ابن مَرْيَمَ، فينـــزل عِنْدَ المَنارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعاً كفّيه عَلَى أَجْنحَةِ مَلَكَيْنِ، إذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وإذَا رَفَعَهُ تَحَدّرَ مِنْهُ مثلُ جُمانٍ كاللُّؤْلُؤِ، فلا يحلّ لكافر يَجدُ من ريح نَفَسِهِ إلا مَاتَ، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفُه، فَيَطْلُبُهُ حَتّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدّ، فَيَقْتُلَهُ. ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدّثهم بدرجاهم في الجنة. فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجتُ عبادًا لي لا يَدانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فحَرِّزْ عبادي إلى الطور. وَيبعَثُ الله يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنْسلُون، فَيَمُرّ أوائلهم على بُحَيْرَةِ طَبَرِيّة، فَيَشْرَبُون مَا فِيهَا، ويمرّ آخِرُهُمْ فيَقُولُ: لَقَدْ كَانَ بهَذِهِ مَرّةً مَاء، ثُمّ يَسيرُونَ حَتّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الخمر، وهو جبل بَيْتِ المَقْدِسِ، فَيَقُولُونَ: لَقدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الأَرْضِ هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السّمَاءِ. فَيَرْمُونَ بِنُشّابِهِمْ إِلَى السّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشّابَهُمْ مخضوبةً دَمًا. وَيُحْصَرُ نبيُّ الله وَأَصْحَابُهُ حتى يكونَ رَأْسُ الثور لأحدهم خَيْراً مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمْ اليَوْمَ. فَيَرْغَبُ نبيُّ الله عيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى الله، فيُرْسِلُ عَلَيْهِم النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ. ثم يَهْبِطُ نبي الله عِيسَى وَأَصْحابُهُ إلى الأرض، فلا يَجدُون في الأرض مَوْضِعَ شِبْرٍ إلا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُم. فَيَرْغَبُ نبي الله عيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الله، فيُرْسِلُ اللهُ طَيْراً كأَعْنَاقِ البُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حيث شاء الله. وَيَسْتَوقِدُ المسْلِمُونَ مِنْ قِسيّهِمْ وَنُشّابِهِمْ وَجعَابِهِمْ سَبْعَ سنينَ. ثم يُرْسِلُ الله مَطَراً لا يُكَنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ، فَيَغْسلُ حتى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ. ثمّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أنبتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ العِصَابَةُ من الرّمّانَة، وَيَسْتَظِلّون بقِحْفِهَا، وَيُبَارِكُ فِي الرِّسْلِ حَتّى إنّ اللِّقْحَة مِنَ الإِبلِ لتكفي الفِئَامَ مِنَ النّاسِ، واللِّقْحَة مِنَ الْبَقَرِ لتكفي القبيلةَ من الناس، واللِّقْحَةِ مِنَ الغَنَمِ لتكفي الْفَخِذَ من الناس. فَبَيْنَما هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ الله رِيحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض رُوحَ كُلّ مُؤْمِنٍ وكل مسلم، وَيَبْقَى شِرارُ النّاسِ يَتَهَارَجُونَ فيها تَهارُجَ الْحُمر، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السّاعَةُ.

وجاء في حديث آخر أن المسيح الدجّال يأتي من قِبَلِ المشرق وهِمَّتُهُ المدينةُ حتى ينـــزلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثم تَصرِفُ الملائكةُ وجهَه قِبَلَ الشّامِ، وهنالك يَهْلِكُ ولا يدخل المدينة رعبُه، لها يومئذ سبعةُ أبوابٍ على كل باب ملَكانِ، ويمكث في الأرض أربعين سنة، ويخرج

على حمار أقمر ما بين أذنيه سبعون باعا. وينـــزل عيسى حَكَمًا عَدْلاً، فليكسرّن الصليب ويقتلنّ الخنـــزير ويضع الحرب. وليُترَكُنَّ القِلاصُ فلا يُسعَى عليها. ولا تزال طائفة من المسلمين يُقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. فينـــزل عيسى فيتزوج ويولد له.

وجاء في أحاديث أخرى أن الدجّال كان موجودا حيًّا في زمان رسول الله ﷺ وقد رآه تميم الداري. **وحدّث** رسول الله ﷺ أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرا في البحر، فأرفأوا إلى جزيرة حين تغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقيتْهم دابّةٌ أهلَبُ كثيرُ الشعر لا يدرون ما قُبُله مِن دُبُره مِن كثرة الشعر. قالوا: ويلك ما أنت؟ قالت: أنا الجسّاسة. انطلِقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمّتْ لنا رجلا فَرِقْنا منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظمُ إنسان رأيناه قط خَلْقًا وأشدّه وثاقةً، مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا نحن أناس ركِبنا في سفينة بحرية، فلعب بنا البحر شهرا، فدخلنا الجزيرة، فلقيتْنا دابّةٌ أهلَبُ فقالت: أنا الجساسة، اعمدوا إلى هذا في الدير، فأقبلنا إليك سراعا. فقال: أخبِروني عن نخل بيسان[1]، هل تثمر؟ قلنا: نعم. قال: أما إنها توشك أن لا تثمر. قال: أخبِروني عن بحيرة الطبرية.. هل فيها ماء؟ قلنا: هي كثيرة الماء، قال: إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبِروني عن عين زغر.. هل في العين ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون. قال: أخبِروني عن نبي الأُمّيّين ما فعل؟ قلنا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتَلَه العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنَع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه. وإني مخبركم عني.. إني أنا المسيح، وإني يوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدَع قرية إلا أهبطها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان عليّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدا منهما استقبلَني ملَكٌ بيده السيف صلتًا يصدّني عنها، وإن على كل نقب

منها ملائكة يحرسونها. ثم قال رسول الله ﷺ: ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو، وأومأ بيده إلى المشرق. **رواه مسلم**.

أقول هذا ما جاء في الأحاديث مع اختلافات وتناقضات، فذهب وَهْلُ بعض الناس بل أكثرهم إلى أن تلك الأخبار والآثار محمولة على ظواهرها، والحق أنهم قد أخطأوا خطأ كبيرا، وكان هذا ابتلاءً من الله تعالى ليعلم الصابرين المؤمنين منهم والمكذبين المستعجلين.

وأنت تعلم أن الله تعالى قد يُوحي إلى أنبيائه ورسله في حُلل المجازات والاستعارات والتمثيلات، ونظائره كثيرة في وحي خير الرسل ﷺ، منها ما جاء في حديث **أنس** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: رأيتُ ذاتَ ليلة فيما يرى النائم كأنّا في دار عقبة بن رافع، فأتينا برُطب من رطب ابن طاب. فأوّلتُ أن الرفعة لنا في الدنيا والعافية في الآخرة، وأن ديننا قد طاب.

ومنها ما جاء في حديث **أبي موسى** قال: قال رسول الله ﷺ: رأيتُ في رؤياي أني هززتُ سيفا فانقطع صدره، فإذا هو ما أُصيبَ من المؤمنين يومَ أُحُد، ثم هززتُه أخرى فعادَ أحسنَ ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين.

فانظر كيف رأى رسول الله ﷺ الكيفيات الروحانية في الصور الجسمانية. ولا يخفى عليك أن **رؤيا** الأنبياء وحيٌ، فثبت من ههنا أن وحي الأنبياء قد يكون من نوع المجاز والاستعارة، وقد أوّلَ رسولُ الله ﷺ مثلَ ذلك الوحي، وتأويلاته كثيرة كما في رؤية سِوار الذهب والقميص والبقر وغيرها من الرؤيا التي هي مشهورة في القوم، فلا حاجة إلى أن نقصّ عليك.

وقد رأى رسول الله ﷺ في رؤيا أخرى الدجّالَ المسيح واضعًا يديه على منكبَي رجلين يطوف بالبيت. فلو حملْنا تلك الوحي على الظاهر لوجب أن يكون الدجّال مسلما مؤمنا لأن الطواف من شعائر المسلمين.

ثم إن هذه الأحاديث تدل على أن الدجّال كان موجودا في زمان النبي ﷺ وقد رآه تميم الداري، وزعم القوم أنه يخرج في آخر الزمان، ولا يدَع قرية إلا يدخلها، ويتملك ويتسلّط على البلاد كلها، ولا تبقى في زمانه أرض إلا يأخذها غير مكة وطيبة. ولكن

الأحاديث الأخرى تعارضها وتكذّب هذه القصص. فانظرْ أوّلاً تدبرًا وإنصافا في حديث **مسلم** عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ؟ وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّهِ. وَأُقْسِمُ بِاللّهِ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ يأْتِي عَلَيْهَا مِئَةُ سَنَةٍ وهي حيّةٌ يومئذ. **وعن** ابن مسعود: لا يأتي مئة سنة وعلى الأرض نفسٌ منفوسة اليوم. رواه مسلم، وهكذا ذكر **البخاري** في صحيحه، والمضمون واحد لا حاجة إلى الإعادة. فوجب من هذا على كل مؤمن أن يؤمن بموت الدجّال بعد المئة من زمان رسول الله ﷺ، وإلا فكيف يمكن التخلف فيما قال رسول الله ﷺ بوحي من الله تعالى مؤكدًا بقَسمه؟ والقَسم يدل على أن الخبر محمول على الظاهر لا تأويل فيه ولا استثناء، وإلا فأي فائدة كانت في ذكر القَسم؟ فتدبَّرْ كالمفتّشين المحقّقين.

وأما تطبيق هذين الحديثين فلا يمكن إلا بعد تأويل حديث الدجّال وجعلِه من قبيل الاستعارات، فنقول إن حديث خروج الدجّال يدل على خروج طائفة الكذّابين في آخر الزمان من قوم النصارى، وفي الحديث إشارة إلى أنهم يُشابهون آباءهم المتقدمين في مكرهم وخديعتهم وأنواع فتنهم وحرصهم على إضلال الناس كأنهم هم، إلا أن آباءهم كانوا مقيَّدين بالسلاسل والأغلال، ولكن هؤلاء يخرجون من ذلك السجن، ويضع الله عنهم أغلالهم، فيعيثون يمينا وشمالا ويفسدون في الأرض، وكان خروجهم بلاءً عظيما لأهل الأرضين. فكما أن تميما رأى الدجّال في زمان النبي ﷺ بالرؤية الكشفية الصادقة التي كانت من قبيل عالم المثال.. مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد في الدير، فكذلك كانت النصارى في زمن إقبال الإسلام مقهورين مغلوبين غُلّت أيديهم قاعدين في الدير، ثم أُخرجوا بعد المئتين والألف ووضَع الله عنهم الأغلال والسلاسل، وخلع عليهم خلعة العلوم الأرضية ابتلاءً من عنده، فأشاعوا الفتن في الأرض بأيدي مبسوطة، وكان قدرًا مقدورًا من ربّ العالمين. وإلى خروجهم إشارة في حديث: الآيات بعد المئتين، يعني بعد المئة والألف، وإشارة إلى نزول المسيح الذي هو مفحِمُ المفسدين.

ثم بعد ذلك إذا نظرنا إلى **كلام الله** تعالى فوجدناه أيضا مخالفا لظواهرِ أحاديثِ خروج الدجّال، وما وجدنا فيه احتمالا ضعيفا وإشارة وهمية إلى ذلك، بل هو يجوح هذه

الخيالاتِ بالاستئصال التام. ألم يكفِ لطالب قولُه تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾؟ ولا يخفى على المتدبر أن هذه الآية دليل قطعي على أن المسلمين والنصارى يرثون الأرض ويتملكون أهلها إلى يوم القيامة، لأن المسلمين اتبعوا المسيح اتّباعًا حقيقيا، والنصارى اتبعوه اتّباعًا ادّعائيا. وقد وقع في الخارج كما قال الله تعالى، وكانت الكَرّة الأولى للمسلمين في غلبتهم على الأرض، ثم في زماننا هذا غلبت النصارى ونسلوا من كل حدب. فوقع كما أُخبر عنه في الآية الكريمة، فالآية تحكم أن التملّك والغلبة محدود في المسلمين والنصارى إلى يوم القيامة، والدجّال المعهود المتصوَّر في أذهان المسلمين لا يكون على عقيدة النصارى ولا على عقيدة أهل الإسلام، بل هو بزعمهم يخرج بادّعاء الألوهية ويقول إني إله من دون الله، ويغلب أمره على الأرض كلها غير مكة وطيبة، فهذا يُخالف نص القرآن الكريم لأن القرآن، كما ذكرت آنفا، قد وعد لمتّبعي عيسى ابن مريم عليه السلام وعدًا مؤكّدًا بالدوام وقال: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. ومعلوم أن الدجّال الذي ينتظره قومُنا هو بزعمهم ليس مِن متّبعي عيسى عليه السلام، ولا يؤمن بالمسيح ولا بإنجيله، وما ذهب أحد من علماءِ المسلمين إلى أنه يؤمن بعيسى ابن مريم، بل يقولون إنه يقول إني أنا الله، ولا يؤمن بالله ولا بأحد من الأنبياء، فالقرآن لا يجوِّز له موضعَ قدم في زمان من الأزمنة، بل يخبر عن غلبة المسلمين أو غلبة النصارى إلى يوم القيامة. فأيُّ دليل يكون أوضح من هذا على إبطال وجود الدجّال المفروض، وعلى ثبوت كذب قول القائلين؟ وأنت تعلم أن القرآن يقيني قطعي وليس كمثله حديث في التواتر وحفظِ الحق وعصمتِه، فافهَمْ إن كنت من الطالبين.

وأما قول بعض العلماء أن الدجّال يكون من قوم اليهود.. فهذا القول أعجب من القول الأوّل، لا يقرأون في القرآن آية: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِم الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾، فالذين ضرب الله عليهم إلى يوم القيامة كل ذلة، وأخبر في كتابه الكامل المحكم أن اليهود يعيشون دائما تحت ملِكٍ من الملوك صاغرين مقهورين ولا يكون لهم مُلك إلى الأبد، كيف يخرج منهم الدجّال ويملك الأرض كلها؟ ألا إن كلمات الله صادقة لا تبديل لها، ولكن القوم

ما علموا معاني الأحاديث وما فهموها حق فهمها، والله يمنّ على من يشاء من عباده فيُفهّمه ما لم يُفهِّم أحدا من العالمين.

وسمعتُ أن بعضهم ينظرون لفظ النـــزول في قصة نزول المسيح، ويعجز عن درك هذه النكتة فَهْمُهم، وتضمحلّ طبائعهم وتلغب أفكارهم، فيحسبون بآرائهم السطحية أن عيسى بن مريم ينـــزل من السماء، ولا يرون أن القرآن قد اختار لفظ النـــزول في مقامات شتى وقال: ﴿وأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ﴾، ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾. ومعلوم أن الحديد لا ينـــزل من السماء بل يتكوّن في المعادن، وكذلك يتولد الحمير من الحمير والخيل من الخيل، وما رأى أحد من الناس أن هذه الحيوانات تنـــزل من السماء، وكذلك الألبسة تُتّخذ من القطن والصوف والجلود والحرير، وهذه الأشياء كلها تكون في الأرض ولكن بحكم ربّ السماوات، ولو اجتمع أهل الأرض جميعا على أن يخلقوا هذه الأشياء بقوتهم وتدبيرهم لم يستطيعوا أبدا، فكأنها نزلت من السماء. وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَآئِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، فكل شيء منـــزَّل من السماء بقدر معلوم بتوسُّط علل وأسباب أرضية وسماوية اقتضتها حكمة الله تعالى، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وللنـــزول معنى آخر وهو الارتحال من مكان والنـــزول في مكان آخر كما جاء في حديث مسلم أن المسيح الدجال ينـــزل دُبُرَ أُحد، وعيسى ينـــزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق. والعجب من القوم أنهم يفهمون من نزول عيسى نزوله من السماء ويزيدون لفظ "السماء" من عندهم، ولا تجد أثرا منه في حديث. وأما ما ذُكر في قصة نزول عيسى أنه ينـــزل واضعا كَفَّيْه على جناحي الملائكة، فليس هذا اللفظ دليلا على نزوله من السماء، وقد جاء مثل هذا اللفظ في فضائل الذي يخرج مِن بيته لطلبِ علم الدين، وكذلك نظائره كثيرة في الأحاديث، ولو لم يكن خوفُ طول المكتوب لذكرتُ كلها. بل الحق الذي كشف الله عليّ أمرٌ يقبَله كل مؤمن طالب الحق، ولا يأبى إلا الذي لا يتخذ سبيل المهتدين، وهو أن نزول المسيح عند المنارة البيضاء شرقيَّ دمشق واضعًا كَفَّيْه على أجنحة ملَكينِ إشارةٌ إلى شيوع أمره في بلاد الشام خالصًا من العلل السماوية، منـــزّهًا عن دخل الأسباب الأرضية، وعن دخل سلطانها ودولتها

وعساكرها وأفواجها ومسّ تدابيرها، بل يعلو أمره بحماية الله وجنده السماوية، كأنه نزل على أجنحة الملائكة. وأمّا الدجّال فيخرج بالحِيَل الأرضية والتدابير المنحوتة من عند نفسه، والتلبيسات التي تجدد في كل حين.

وإني سمعت أن بعض علماء هذه الديار يقولون إن جملة: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ مؤخَّرة من جملة: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ومقدَّمة من جملة: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومن جملة: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾، ولكن أنت تعلم يا أخي أن هذا التأويل باطل بالبداهة ومستنكر جدا، لأن الأمر لو كان كذلك لوجب أن يموت المسيح بعد الرفع وقبل هذه الواقعات التي ذكرها القرآن بعد ذكر الرفع.. يعني قبل تطهير ذيله من بهتانات اليهود وقبل جعلِ متّبعيه الغالبين على الذين كفروا، وهم يعتقدون بأن المسيح ما مات إلى هذا الزمان، وقد تمت هذه المواعيد كلها ووقعت بأسرها. فالعجب من عقلهم لِمَ يقولون على خلاف ما يعتقدون، وقد اتفقوا على أن المسيح لا يموت بعد الرفع فقط بل بعد الرفع وبعد تطهير ذيله من بهتانات اليهود ببعث خاتم النبيين وبعد غلبة متّبعيه على الذين كفروا، فعلى هذا يلزمهم أن يعتقدوا بأن جملة: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ مؤخرة من جملة: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾، فلزمهم أن يقولوا إن ترتيب الآيات كان في الأصل هكذا.. أعني يا عيسى إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم بعد القيامة منـــزلك من السماء ثم متوفيك. فلا سبيل لهم إلى تحريف هذه الآيات وتقديمها وتأخيرها من عند أنفسهم إلا أن يقولوا إن المسيح لا ينـــزل ولا يموت إلا بعد يوم القيامة. وهذا خُلْف.

فيا حسرة عليهم! لِم يحرّفون كلم الله عن مواضعها مع عجزهم عن وضعها في موضع آخر؟ وذلك من إعجازات القرآن أن مُحرِّف آياته لا يستطيع أن يُحرّف ويُبدّل ترتيبَه المحكم المرصّع الأبلغ، فينكشف كذبُه على النساء والصبيان فضلاً عن العلماء الراسخين، فسبحان من أنزل القرآن بإعجاز مبين.

والعجب من قومنا أنهم كانوا يقرأون في البخاري وغيره من الصحاح أن المسيح الموعود من هذه الأمة وإمامهم منهم، ولا يجيء نبي بعد رسول الله ﷺ وهو خاتم النبيين، وما

كان لأحد أن ينسخ القرآن بعد تكميله، ثم نسوا كل ما علموا وعرفوا واعتقدوا وضلّوا وأضلّوا كثيرا من الجاهلين.

وأما الاختلافات التي توجد في هذه الأحاديث فلا يخفى على مهرة الفن تفصيلها، وقد ذكرنا شطرًا منها في رسالتنا: "الإزالة"، فليرجع الطالب إليها. وقد جاء في حديث أن المسيح والمهدي يجيئان في زمن واحد، وجاء في حديث آخر أنه لا مهدي إلا عيسى، وجاء في حديث أن المسيح والمهدي يتلاقيان ويُشاور المهدي المسيح في مهمات الخلافة، ويكون زمانهما زمانا واحدا. وفي حديث آخر أن المهدي يُبعث في وسط قرون هذه الأمة والمسيح ينـــزل في آخرها، وفي حديث من البخاري أن المسيح يجيء حكمًا عدلاً فيكسر الصليب.. يعني يجيء في وقت غلبة عبدة الصليب فيكسر شوكة الصليب ويقتل خنازير النصارى. وفي حديث آخر أنه يجيء في وقت غلبة الدجّال على وجه الأرض فيقتله بحربته.

فاعلم أن هذا المقام مقام حيرة وتعجُّب للناظرين. وتفصيله أن مجيء المسيح لكسر صليب النصارى وقتل خنازيرهم يشهد بصوت عال على أن المسيح الموعود لا يجيء إلا في وقت غلبة النصارى على وجه الأرض وتسلُّطهم عليها وشيوع المذهب الصليـــبي في جميع أقطار العالم بالشوكة التامة والقوة الكاملة وحماية السلطنة والدولة. ثم إذا نظرنا إلى أحاديث **خروج** الدجّال فنجد فيها كأن المسيح لا ينـــزل إلا في وقت غلبة الدجّال على وجه الأرض، وإنّا إذا صدّقنا حديث مجيء المسيح عند تسلُّط النصارى على وجه الأرض واعتقدنا بأنه يجيء لكسر صليب النصارى واستئصال شوكة مذهبهم، فيلزم من ذلك أن نكذّب حديثًا آخر الذي يدلّ على أن المسيح يأتي لقتل الدجّال عند غلبته على وجه الأرض كلها غير مكة وطيبة، فإن تسلُّط الدجّال على وجه الأرض كلها وتسلُّط النصارى على وجه الأرض كلها في زمان واحد نقيضانِ متخالفان، ومعلوم أن النقيضين لا يجتمعان في وقت واحد ولا يرتفعان، فثبت بالضرورة أن من هذين الخبرين خبر حق وخبر باطل.

ثم إذا نظرنا إلى الواقعات الموجودة فوجدنا حكومة النصارى قد أحاطت كالدائرة على أهل الأرضين، ونرى أن السلاطين كلهم يرتعدون من هولهم، وقد ظهرت[2] على

قلوبهم خوف وانحجام واعتقدوا بأنهم عليهم غالبون. ولكنا لا نرى من الدجّال الموهوم المتصوَّر في خيالات القوم أثرا ولا علامة، **ونرى** أن فتن النصارى قد تكاثرت وامتلأت الأرض من مكائدهم، فهذا دليل واضح على أن المعنى الصحيح نزول المسيح عند غلبة النصارى على أهل الأرض، ولا سبيل إلى تطبيق هذه الأحاديث المتعارضة إلا أن نقول أن قسيسي النصارى هم الدجّال المعهود، ووجب علينا أن نفسر الأحاديث بنحوٍ ظهرت معانيها في الخارج، فإن الأحاديث التي ذكرناها آنفا كان بعضها قائدا إلى أن المسيح ينـــزل عند شوكة النصارى وشوكة صليبهم وتسلُّطهم في الأرض، وكان بعضها قائدا إلى أنه لا ينـــزل إلا في وقت خروج الدجّال وتسلُّطه على وجه الأرض كلها، فرأينا آثار القائد الأول ووجدناها واقعة في زماننا، **ونرى** أن أخبار شوكة الصليب قد تمت ووقعت كلها كما أخبر عنها رسول الله ﷺ حتى رأيناها بأعيننا، وأما القائد الذي كان مخالفا لها ومعارضا لمعانيها، أعني حديث خروج الدجّال فما ظهر أثر منه، فالذي ظهر من المعنيين هو الحق، والذي ما ظهر من المعنيين هو الباطل الذي أخطأ فيه نظر المتفكرين.

ومن الاختلافات العظيمة في أحاديث هذا الباب أن بعض الأحاديث يدل على أن المسيح لا يأتي إلا تابعا ومطيعا للمهدي، فإن الأئمة من قريش والمسيح ليس من قريش، فلا يجوز أن يستخلفه الله لهذه الأمة، وبعضها يدل على أن المسيح يأتي حَكَمًا عَدْلاً وإمامًا وخليفةً من الله تعالى، وكل الأمر يكون في يديه، ولا يتبع أحدا إلا وحيَ الله الذي ينـــزل عليه إلى أربعين سنة، فينسخ بوحيه بعضَ أحكام الفرقان ويزيد بعضا ويختم الله به النبوة والوحي ويجعله خاتم النبيين. ومع هذا يقولون إن وحيه لا يُعارِض وحيَ القرآن، ويصلّي المسيحُ كما يصلّي المسلمون، ويصوم كما يصومون، ولكنهم عند هذا القول ينسون قولهم الأول الذي قد صُرِّحَ فيه أن المسيح ينسخ بعض أحكام الفرقان، فيضع الجزيةَ، وما وضَع القرآن الجزية قط حتى تم وكمل ونزل آية: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ وكذلك قالوا إن المسيح يقتل الخنـــزير، وما نرى في القرآن حُكمًا لقتل خنازيرِ أهل الأرض، بل منَع من تضييع أموال الذِّمّيين ونهبِ أملاكهم بعد أن أعطوا الجزية صاغرين.

والعجب أن هذه العلماء آمنوا بأن الله تعالى يوحي إلى المسيح إلى أربعين سنة، وكانوا يعتقدون من قبل بأن وحي النبوة قد انقطع. فيا حسرة عليهم! إنهم يعلمون مَضارَّ عقائدهم ثم لا يتركونها وأراهم كالنائمين. وأعجبني أنهم يجمعون في عقائدهم اختلافات عجيبة ولا ينظر أحد منهم إلى هذه التناقضات. يؤمنون بعقيدة.. ثم يرجعون ويؤمنون بعقيدة أخرى تخالف الأولى وتعارِضها، مثلا.. إنهم يؤمنون باليقين التام أن المسيح يأتي حَكَمًا عَدْلا، والناسُ يحكّمونه ويرفَعون إليه مشاجراتهم، ويجعله الله خليفة في الأرض، ثم يقولون إن عيسى ينـــزل تابعا للمهدي، والحَكَمُ العَدْلُ هو المهدي لا عيسى الذي ليس من **قريش**. ويقولون إن هذا الأمر من الواقعات الحقة.. أن عيسى ينـــزل عند غلبة النصارى واستيلائهم على وجه الأرض، ونسلهم من كل حدب، فيكسر صليبهم ويقتل خنازيرهم، ثم يرجعون ويقولون إن المسيح لا ينـــزل إلا عند خروج الدجّال، ويقولون إن الدجّال ليس من الذين اتبعوا أناجيل النصارى وآمنوا بأنبيائهم وكتبهم وديانتهم، بل هو رجل لا يتبع عيسى ولا يؤمن بنبي من الأنبياء، بل يخرج بادّعاء الألوهية، ويملك الأرض كلها غير مكة وطيبة، ويقول إني أنا الله رب العالمين. **فانظرْ** كيف يسلكون مسلك السكارى، ولا يثبتون على قول، وما لهم على عقيدة من قرار، ولا يتدبرون كالعاقلين.

وإني **أرى** أن الله سلَب عنهم قوة الفيصلة، ونزَع منهم طاقة الآراء الصحيحة، وترَكهم في ظلمات الغيّ هائمين. **والسر في ذلك** أنه ما رآهم حرِيًّا بالأسرار الإلهية، ورأى رؤوسهم خالية من القوى المدرِكة الفاطنة، فنـــزَع منهم حُلل الإنسانية، وردَّهم إلى صور البهائم والسباع والأفاعي، وألحقَهم بالسافلين.

والذين أُوتوا أُكُلَ المعارف غضًّا طرِيًّا، ورُزقوا من العلوم الصادقة حظا وافرا، فما جهلوا الطريق، وما نسوا المشرب، وأصابوا في فهم آيات الله، وما ضاع من أيديهم علم الروحانيين. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، يضل من يشاء ويهدي من يشاء إلى بحر لا ساحل له، واللهُ يعلم حيث يجعل فضله، ولا يخفى عليه قلبٌ ولا شاكلة، وقد خلَق الناس وهو يعلم حقيقة العالمين.

ولنرجعْ إلى ذكر الأحاديث فنقول إن الذين حملوا أنباءها المستقبلة على معانيها الظاهرة مع تعارُضها بالقرآن، فقد أخطأوا خطأ كبيرا، وكان سببُه استغراقَهم في الآثار والذهولَ عن كلام الله تعالى، فصارت أنظارهم مغمورة في الأخبار، وأفكارهم مبذولة في تنقيدها وتمييزها، وأنفدوا أعمارهم فيها، وأضلّوا أنفسهم في سككها، وما التفتوا إلى صحف الله واستنباط مسائلها. فبقِي الفرقانُ كالمستتر من أعينهم، وبقيتْ أسراره كالدرر المكنونة أو الخزائن المدفونة، ما عرفوها وما رعوها حق رعايتها، وأكبّوا على كتب أخرى كالمعرضين. ولو أنهم تَوجّهوا إلى القرآن لكشَف الله عليهم سِرَّ كل حقيقة ونجّاهم من براري الشبهات، ولكنهم ما شاؤوا أن يُنوَّروا واختاروا العَمى وعادَوا قوما مُنوَّرين.

فمِن أعظم خطيّاهم أنهم لم يفهموا حقيقة المسيح الموعود الذي أُخبِروا عنه، وقالوا إن عيسى بن مريم عليه السلام ينـــزل من السماء، وقد كانوا يقرأون في القرآن **أنه تُوُفّيَ ولحِق بإخوانه** الذين خلوا من قبله، فنسوا ما كانوا يعلمون واتبعوا ما قيل بعد المِئتين، ونبذوا آياتِ الله وراء ظهورهم كأنهم ما وجدوا في القرآن أثرا من أخبار وفاة المسيح وكأنهم كانوا من الغافلين.

وإذا قيل لهم أن الله قد أخبر عن وفاة المسيح في آياته المحكمات وقال: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، وقال حكاية عنه: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، قالوا نؤمن بقصص القرآن والأحاديثُ **قاضيةٌ** عليه وعلى قصصه. فانظرْ كيف يتركون القرآن مع كونهم من المسلمين.

والعجب منهم أنهم يظنون أن الأحاديث تشهد على نزول المسيح من السماء مع أن رسول الله ﷺ أخبر غير مرة عن وفاة المسيح، فقال في حديث كما جاء في الطبراني والمستدرك عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي تُوُفّيَ فيه لفاطمة: إن جبريل كان يُعارضني القرآن كل عام مرة، وإنه عارَضني بالقرآن العامَ مرتين، وأخبرَني أنه لم يكن نبي إلا عاش نصفَ الذي قبله، وأخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومئة سنة، فلا أراني إلا ذاهبا على رأس الستين. واعلموا أيها الإخوان أن هذا الحديث صحيح ورجاله ثقات وله طرق، وهو يدل بدلالة صريحة على موت المسيح.

ولا يُقال إن الرفع هو الموت، **فإن الموت** عبارة عن **خروج الروح** عن الجسم العنصري، فإن كان المسيح رُفِع بجسمه العنصري فهو حيٌّ إلى الآن، فلو فُرض حياة المسيح إلى هذه الأيام للزم أن يكون نبيّنا حيًّا إلى نصف هذه المدة، وهذا باطل فاسألِ العادّين.

وكذلك أخبر رسول الله ﷺ عن موت عيسى عليه السلام في حديث آخر وقال: إذا سألني ربي عن فساد أمتي فأقول في جوابه: فلما تَوَفّيتَني كنتَ أنت الرقيبَ عليهم، كما قال العبدُ الصالح مِن قبلي.. يعني عيسى عليه السلام. فانظرْ كيف أشار إلى وفاة المسيح بحيث استعمل لنفسه جملة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ كما استعمله المسيح لنفسه. وأنت تعلم أن رسول الله ﷺ قد تُوُفّي وقبرُه المبارك موجود في المدينة. فانكشف معنى التوفّي بجعل رسول الله ﷺ واقعةَ المسيح وواقعةَ نفسه واقعةً واحدة، وظهَر أن معنى التوفّي في آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ الإماتةُ لا غيرها من المعاني المنحوتة التي لا أصل لها في لغة العرب، فإن رسول الله ﷺ قد مات، ولو كان معناه الرفع إلى السماء حيًّا مع الجسم العنصري كما هو زعم القوم لرُفِعَ إذًا نبيُّنا ﷺ إلى السماء حيًا مع الجسم العنصري، فإنه جعَل نفسه شريكَ عيسى عليه السلام في لفظ التوفي الذي يوجد في آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ كما جاء في حديث البخاري. ولو جعلنا من عند أنفسنا للمسيح معنى خاصا في هذه الآية وقلنا إن التوفي في حق رسولنا ﷺ هو الوفاة، ولكن في حق عيسى عليه السلام أُريدَ منه الرفع مع الجسم العنصري لا شريك له في هذا المعنى، فهذا ظلمٌ وزور وخيانة شنيعة، وترجيح بلا مرجّح، واستخفاف في شأن رسول الله ﷺ، وادّعاء بلا دليل واضح وحجةٍ ساطعة وبرهان مبين.

ويقولون إن **يأجوج ومأجوج** يخرجون في زمن المسيح، وينسِلون مِن كل حَدَب، ويملكون الأرض كلها كما ورد في القرآن العظيم، فهذا حق لا نُجادِلهم فيه. ويقولون إن المسيح لا يُحاربهم بل يدعو عليهم، فيموتون كلهم بدعائه بدُودٍ تتولد في رقابهم، وهذا أيضا حق وليس عندنا إلا التسليم. ولكنهم أخطأوا فيما قالوا إن يأجوج ومأجوج يموتون في زمن عيسى كلهم، فإن يأجوج ومأجوج هم النصارى من الروس والأقوام البرطانية[3]، وقد أخبر الله تعالى عن وجود النصارى واليهود إلى يوم القيامة وقال:

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فكيف يموتون كلهم قبل يوم القيامة؟ فلو أردنا من الإماتة الإماتةَ الجسمانية لخالفَ الحديثُ القرآنَ وعارَضَه، فإن القرآن يخبرنا عن بقائهم وبقاء نسلهم إلى يوم القيامة، بل يشير إلى أن السماوات يتفطرن عليهم وتقوم القيامة على أشرارهم الباقين. ومن ههنا ظهر أن الجملة: "**يضَع الجزيةَ**" التي جاءت في بعض نسخ البخاري ليست بصحيحة، والصحيح أن المسيح يضع الحربَ ولا يحارب النصارى كما جاء في نسخ أخرى. ووجهُ عدمِ صحتها ظاهرٌ، وهو أنّا لو فرضنا أن المسيح يحارب النصارى على شرط قبول الإسلام ولا يقبل الجزية أصلاً بل يدعو إلى الإسلام، وإن قبلوا وإلا فيقتلهم، فلزم على تقدير صحة هذا المعنى استئصالُ النصارى بالكلية من وجه الأرض.. إما مِن سبب إسلامهم وإما من سبب قتلهم، وهذا المعنى يُعارض القرآن الكريم، فإنه أخبر عن بقاء وجودهم إلى يوم القيامة، فثبت من هذا التحقيق أن جملة "يضع الجزية" التي توجد في بعض نسخ البخاري ليست بصحيحة، وقد فسدت وحُرّفت مِن نَسْخِ الناسخين.

ومع ذلك ظهر من هذا التحقيق بطلان أحاديث يوجد فيها ذكرٌ كمثله من المحاربات والغزوات، فإن القرآن محفوظ بحفاظة الله وعصمته، فالحديث الذي يُعارض قصصَه لا يُقبَل أبدًا ولو كان ألفٌ كمثل تلك الأحاديث في البخاري أو غيره من كتب المحدّثين.

وأما قولنا إن يأجوج ومأجوج من النصارى لا قوم آخرون فثابتٌ بالنصوص القرآنية، لأن القرآن الكريم قد ذكر غلبتهم على وجه الأرض وقال: ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، يعني يملكون كلَّ رفعة في الأرض، ويجعلون أعزّةَ أهلها أذلّةً، ويبتلعون كلَّ حكومة ورياسة وسلطنة ودولة ابتلاعَ الحوت العظيم الصغارَ. وإنّا نرى بأعيننا أهم كذلك يفعلون، واضمحلّت رياسات المسلمين، وتطرّقَ الضعف في دولتهم وقوهم وشوكتهم، ويرون سلاطينَ النصارى كالسباع حولهم، ولا يبيتون إلا خائفين. وقد ثبت من النصوص القوية القطعية القرآنية أن كأس السلطنة والغلبة على وجه الأرض تدور بين النصارى والمسلمين، ولا تتجاوزهم أبدا إلى يوم القيامة، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. ومعلوم أن المتبعين للمسيح في الحقيقة المسلمون، والمتبعين بالادعاء النصارى، والآية تشير إلى الاتّباع فقط حقيقيًّا كان أو

ادّعائيًّا. والحق أن الاتّباع الحقيقي عسير جدا ولو كان مدّعي الاتّباع ملِكًا من المسلمين المؤمنين، فإن اتّباع الأنبياء على وجه الحقيقة والكمال ليس بهيّنٍ، فكلٌّ من الملوك يتّبع عيسى عليه السلام باتّباعٍ ادّعائي وإن كانت فيه رائحة من الحقيقة إلا ما شاء الله. نعم قد سبق المسلمون في الاتّباع الاعتقادي وفهِموا تعليم المسيح كما هو هو، وهُمْ ورثاؤه في عقائد التوحيد بعد وفاته، وأما النصارى فضلّوا ضلالا كبيرا، وليس في يدهم إلا ادّعاء فقط. انظرْ إلى ضلالتهم وفسادهم.. أنهم قد آمنوا بأن عيسى عليه السلام كان يأكل الطعام ويشرب الماء، وربما ابتُليَ بأمراض وأوجاع، وربما غلَب عليه الهمُّ والخوف والقلق والكرب والجوع والعطش، وكان لا يعلم الغيب، وكان يقول إني عبد ليس في نفسي خير إلا بتوفيق الله، وأنه أُخِذ َوصُلِبَ ومات، وهو مع ذلك في زعمهم إلهٌ وابنُ إله. قاتلَهم الله! إنهم يعتقدون بأنه إنسان ونبي، فيه سهوٌ وخطأ وضعف وجهل، وأخذه الموت، ولا يبرّئونه من ضعف وذهول ونسيان، ثم يقولون إنه هو الله، فتعسًا لقوم كافرين. ولكنهم ما قالوا إنّا نحن بريئون من عيسى ولا نتّبعه، بل آمنوا بنبوته وكتابه، وآمنوا بأنبياء بني إسرائيل وكتبهم، وآمنوا بالملائكة والجنة والنار، فهذا هو السبب الذي أدخلهم الله في المتّبعين الضالّين، وبشّرهم بغلبةٍ على الأرض كما بشّر المسلمين.

فالحاصل أن هذه الآية.. يعني: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾ دليل صريح وبرهان واضح على أن القوة والغلبة والشوكة والتسلط الكامل الفائق على وجه الأرض لا يُجاوز هذين القومين: النصارى والمسلمين، وتَداولُ الحكومة التامة بينهم إلى يوم القيامة، ولا يكون لغيرهم حظا منها، بل تُضرَب على أعدائهم الذلة والمسكنة، ويذوبون يوما فيوما حتى يكونوا كالفانين. فإذا كان الأمر كذلك فوجب أن تكون الحكومة والقوة متداولة بين هذين القومين إلى الدوام ومخصوصة بها، فلزم بناءً على هذا أن يكون يأجوج ومأجوج إما من المسلمين وإما من المتنصرين. ولكنهم قوم مفسدون بطّالون، فكيف يجوز أن يكونوا من أهل الإسلام؟ فتقرَّرَ بالقطع أنهم يكونون من النصارى وعلى دين النصارى. وقد جاء في حديث مسلم أن المسيح لا يُحارب يأجوج ومأجوج، وجاء في البخاري أنه يضع الحرب، يعني لا يُحارب النصارى. فثبت أن يأجوج ومأجوج هم النصارى، وثبت أن المسيح الموعود

لا يُحاربهم، بل يسأل اللهَ نُصْرتَه في ساعة العسر وهو خير الناصرين. وثبت من ههنا أن المسيح الموعود يأتي عند غلبة النصارى على وجه الأرض، ويدخل مِن باب الرفق للإصلاح كما دخلوها للإفساد، ولا يرفع السيفَ عليهم لأنهم ما رفعوه للدين، ويُجادلهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا يقتُل الغافلين المعتدين.

وأمّا ما جاء في حديث **مسلم** أن نُشّاب يأجوج ومأجوج وقسيّهم تُحرَق كالوقود ويستوقدها المسلمون، فهذا تحريف آخر في الحديث، فإن القسيّ والسهام قد انعدمت وذهَب وقتُها وقامت الأسلحة النارية مقامها، فتقبَّلْ إن شئتَ أو أعرِضْ كالمنكرين. منه

==================

❶**حاشية:** هذه الأخبار الغيبية تدل على أن هذا الحديث ليس من رسول الله ﷺ، لأنه يُعارض القرآن ويُخالف محكماته. وكيف يمكن أن يقدر الدجّال الخبيث على بيان الأنباء المستقبلة وقال الله تعالى في كتابه المحكم: ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ اَحَدًا إلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾، فكيف أخبر الدجال عن الغيب خبرا واضحًا صحيحًا مطابقا للواقع؟ وكيف قال الدجّال أن الخير للناس أن يُطيعوا هذا النبي الأمي العربي فإنه صادق، مع أن الدجّال كافر لا يطيع الله، فكيف يأمر بإطاعة نبيه ﷺ؟ ومع ذلك هو ليس بقائل بزعم القوم بإله من دون نفسه، فكيف قال: وإني يوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج، بل إن هذا اللفظ يدل على أنه لا يخرج من الدير إلا بإلهام الله تعالى ووحيه، فيلزم من هذا أن يكون الدجّال أحدًا من الأنبياء، وقد تقرر عندهم أنه من أكابر المفسدين. فتفكَّرْ ولا تكن من الغافلين. منه.

❷ *يبدو أن التاء زيدت سهوا، والصحيح: ظهر. (الناشر)*

❸ **حاشية:** لا يُقال إن هذا التفسير خلاف الإجماع وأن القوم قد اتفقوا على أنهم قوم لا يُشابهون خَلْق الإنسان، ولهم آذان طويلة، لأنهم قد اتفقوا على أن يأجوج ومأجوج قوم محصورون في الإقليم الرابع، وهم أزيَدُ نسلا وعددا من كل قوم، وهذا باطل بالبداهة، لأنّا لا نرى في الإقليم الرابع أثرا منهم ولا من بلادهم ومدنهم وعساكرهم مع أن عمارات الأرض قد ظهرت كلها. فالروايات في هذا الباب باطلة كلها، فقِسْ عليها رواياتٍ مثلها، وكُنْ من المحققين. منه

ويقول إنه **تُوُفِّيَ** ودُفن في أرض الشام، ولا يؤمن بمعجزاته، ولا يؤمن بأنه خالق الطيور ومحيي الأموات وعالم الغيب وحيٌّ قائم إلى الآن في السماء، ولا يؤمن بأن الله قد خصّه وأُمَّه بالمعصومية التامّة من مَسِّ الشيطان ومِن كل ما هو من لوازم المسّ، ولا يُقرّ بأنهما مخصوصان متفردان في العصمة المذكورة لا شريك لهما فيها أحد من الرسل والنبيين. ويقولون إن هذا الرجل لا يؤمن بالملائكة ونزولهم وصعودهم، ويحسب الشمس والقمر والنجوم أجسامَ الملائكة، ولا يعتقد بأن محمدا ﷺ خاتم الأنبياء ومنتهى المرسلين، لا نبي بعده وهو خاتم النبيين.

فهذه كلها **مفتريات** وتحريفات، سبحان ربي ما تكلمتُ مثل هذا، إنْ هو إلا كذبٌ واللهُ يعلم أنهم من **الدجّالين**. وقد سقطوا عليَّ وما أحاطوا معارف أقوالي، وما فهموا حقائق مقالي، وما بلغوا مِعْشارَ ما قلنا، وخانوا وحرّفوا البيان، ونحتوا البهتان، ووقعوا في حيص بيص، وظنّوا ظنَّ السوء، فتعسًا لتلك الظانّين. والله يعلم أني ما قلتُ إلا ما قال الله تعالى، ولم أقلْ كلمةً قطُّ تخالفه وما مَسَّها قلمي في عمري.

وأما قولهم إن المسيح كان خالق الطيور وكان خَلْقه كخَلق الله تعالى بعينه وكان إحياؤه كإحياء الله تعالى بعينه بلا تفاوُت، وكان معصوما تامًّا ومحفوظا من مسّ الشيطان، وليس كمثله في هذه

العصمة نبيُّنا ﷺ، فهذا عندي ظلمٌ وزُور، كبُرتْ كلمةً تخرُج من أفواههم، وإنهم في هذه الكلمات من الكاذبين.

وأما افتراؤهم عليَّ وظنُّهم كأني لا أؤمن بالملائكة، فما أقول في جواب هذه الظنون الفاسدة التي لا أصل لها ولا أثر، غير أني أبتهل في حضرة الله سبحانه وأقول رَبِّ الْعَنِّي إنْ كنتُ قلت مثل هذا، وإلا فَالْعَنِ المفترين الذين يفترون عليّ بغير علم، ويكفِّرون بغير الحق، ولا يتقون الله وما كانوا خائفين.

والأمر الحق أني ما قلت قولا يُخالف عقيدةَ أهل السُنّة حقيقة، وما جرى على لساني مثل تلك الألفاظ، وما خطر في قلبي شبيه هذه الافتراءات، ولكنهم ما فهموا كلماتي من قلة التدبر، وسوء الفكر، وفساد القلب، وابتدرَ كل واحد منهم إلى التكفير عَجولاً بادي الرأي، فكيف أهدي قومًا حاسدين؟

نعم.. إني قلت وأقول: إن عيسى ابن مريم عليه السلام قد تُوُفّي كما أخبرنا **القرآن** العظيم والرسول **الكريم**، فكيف نرتاب في قول الله ورسوله؟ وكيف نؤثر عليه أقوالا أخرى؟ أأختار الضلالة بعدما هداني الله؟ والقرآن حَكَمٌ عَدْلٌ بيني وبين المخالفين، وبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟ ألم يكفِ لهم ما قال رب العالمين؟ ولكنهم ما يقبلون **شهادة** القرآن، ويتّكئون على أقاويل أخرى التي لا يدرون حقيقتها. فليتَ شعري.. إلى أي أمر يدعونني؟ أيدعونني إلى الجهل والعمى بعدما كنت من المتبصرين؟ والله إني على بصيرة من ربي،

وعندي شهادات من الله وكتابه وإلهامه وكَشْفه، فهل من طالب يأخذ سهم رشده مني، ويأبى دواعيَ البخل والحسد، ويقبل الحق كالمسترشدين؟ ولا أظن أحدا من العاملين العالمين المتقين أن يُقدّم غيرَ القرآن على القرآن، أو يضَع القرآن تحت حديث مع وجود التعارُض بينهما، ويرضى له أن يتبع آحاد الآثار ويترك بيّنات القرآن، ويؤثر الشك على اليقين، ويختار الجهل بعدما كان من العارفين.

وإن المسلمين وعلماءهم الراسخين كانوا قد أمروا أن يتّبعوا البيّنات، ويجتنبوا الشبهات، وكانوا يعلمون أن البيّنات أحقُّ أن تُتَّبَعَ. وإنما البيّنات هي المعاني التي قد انكشفت وتبينت عند العقل السليم، وتواترت في القرآن العظيم، ووُجدتْ أقربَ من الفهم المستقيم، وأبعدَ عن آفات التناقض وأدخَلَ في سُنّة الله والقانون القديم، وأجلى وأظهر من معان أخرى. ثم ذهلت هذه الطائفةُ تلك الضابطةَ المباركة كأنهم لا يعلمون شيئا وكأنهم من الجاهلين. **وإني أرى** أنهم لا يعتقدون بأن القرآن كلام **حيٌّ، وإمام صادق** ومهيمنٌ، ومعيارٌ كامل، بل يحقرونه ويضعونه تحت أقدام الأحاديث، ويجعلون الأحاديث قاضية عليها من قبل أن يُفتّشوا الآثار حق تفتيشها، ويُثبِتوا موازنة القطعيات بالقطعيات. بل هم يأمرون تحكُّمًا ويقولون ظلمًا إن الأحاديث بجميع صورها الظنّيّة والشكّيّة أحقُّ قبولاً من القرآن وحاكمةٌ عليه. وإن هو إلا ظلم وزور تكاد السماوات

يتفطرن منه. ولا يوجد في القرآن وحديث رسول الله ﷺ إيماض إلى ذلك، ولا إيماء إلى هذه البهتانات، بل الصحابة كانوا يقدّمون القرآن في كل حال ولا يتركونه لأثر من الآحاد●. ألا ترى إلى الصدّيقة **أُمّ المؤمنين** رضي الله عنها كيف أوّل◈ الأحاديث للقرآن وما أوّل◈ القرآن للأحاديث، وما التفتتْ إلى حديث بعد وجود المعارضة بينه وبين القرآن. وكانت فقيهة فاضلة موفَّقة، حبيبةَ نبينا ﷺ، وكانوا يرجعون إليها في كل مسألة دقّتْ مآخذها. وإن كنت في شك فاقرأ **البخاري** تدبرًا، فستجد تلك القصص في أكثر مقاماته. فما حال هؤلاء أنهم لا يقرأون القرآن إلا كالغافلين النائمين، ولا يفهمونه حق فهمه، بل القرآن لا يجاوز حناجرهم، ولا يتبعونه ولا يبتغون نوره، بل يحملونه على هيئة الجنائز، ولا ينظرون إليه بنية الاستفادة وأخذِ العلوم والمعارف، كأنهم في شك عظيم. ولا يرون حياته وبركاته وإشراقاته، ولا يُقدّرونه حق قدره، ولا يدرون ما شأنه وما برهانه، وينبذون صحف الله وراء ظهورهم، ويُكبّون على حديث ضعيف ولو يُعارض القرآن، وما كانوا من المنتهين.

● انظروا حديث معاذ الذي فيه وصيّة رسول الله ﷺ لمعاذ. منه.

◈ *سهو، والصحيح: "أوّلتْ". (الناشر)*

ووالله ما قلتُ قولاً في **وفاة المسيح وعدم نزوله** وقيامي مقامه إلا بعد الإلهام المتواتر المتتابع النازل كالوابل، وبعدَ مكاشفات صريحة بيّنة منيرة كفلق الصبح، وبعد عرضِ الإلهام على القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة النبوية، وبعد استخارات وتضرعات وابتهالات في حضرة رب العالمين. ثم ما استعجلتُ في أمري هذا، بل أخرّتُه إلى عشر سنة، بل زدتُ عليها وكنت لِحُكمٍ واضحٍ وأمرٍ صريحٍ من المنتظرين. وكنت صنّفتُ كتابا في تلك الأيام التي مضت عليها عشر سنة، وسميتُها **البراهين**، وكتبت فيها° بعض إلهاماتي التي أُلهمت من ربي من قبل تأليف ذلك الكتاب، وكانت من جملتها هذا الإلهام، أعني: "يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ". وإن الله قد سمّاني في هذا **عيسى**، ومِن جملتها إلهام آخر خاطبني ربي فيه وقال: إني خلقتُك من جوهر عيسى، وإنك وعيسى من جوهر واحد، وكشيء واحد. ومِن جملتها إلهام سمّى فيه كلَّ من خالفني من العلماء "اليهود والنصارى". ثم ما أُلهمتُ إلى عشر سنة بمثل هذه الإلهامات، وما كنت أدري أني أُؤمر بعد هذه المدة الطويلة وأُسمَّى **مسيحا موعودا** من الله تعالى، بل كنتُ خِلْتُ أن المسيح نازل من السماء كما هو مركوز في مدارك القوم، ولكني كنت

° *سهو من الناسخ، والصحيح: "سميته البراهين، وكتبت فيه." (الناشر)*

أقول في نفسي تعجبا: إن الله لِم سمّاني عيسى ابن مريم في إلهامه المتواتر المتتابع، ولِم قال إنك وإنه من جوهر واحد، ولِم سمّى المخالفين "اليهود والنصارى"؟ فظهرت عليَّ معاني تلك الإلهامات والإشارات بعد عشر سنة، وبعد إشاعة "البراهين" في ألوف من الناس، وبعد إشاعة هذه الإلهامات في خَلق كثير من المسلمين والمشركين.

فاسألوا الذين يظنون أنه افتراء منحوت.. أهذه علامات المفترين؟ وكانوا يقرأون من قبل كتابي "البراهين" ويجدون فيه مجملا كلَّ ما قلتُ في هذه الأيام مفصلا، وكانوا يحبّون ذلك الكتاب ويصدّقون إلهاماتٍ مذكورة ولا يُعرضون كالمنكرين. فلما جاء ميقات ربي، وأُمرتُ لأصدع بما سُمّيتُ في الكتاب المذكور انقلبوا منكرين مكفّرين، كأنهم سمعوا كلمة غريبة أو جاءهم ذكرٌ مُحدَثٌ وكأنهم ما كانوا مُطّلعين على ما كتبت في "البراهين". ولو كانوا عاقلين منصفين طالبين للحق مفتّشين للحقيقة لَتَفكَّروا في قول قد كُتِبَ من قبل وطُبع وأُشيع في زمان ما كان أثرُ هذه الدعاوي فيه، ولَتَفَكَّروا في سوانح عمري، ولقد لبثتُ فيهم عُمُرًا من قبل، ولتَفكّروا في رأس المئة وضرورة المجدد بما وعد الله ورسوله، ولتَفكّروا في مفاسد الزمان وبدعاتها، ونَسْلِ النصارى مِن كل حدب. فيا حسرة عليهم! إنهم ظنوا ظن السوء بغير فكر وتحقيق وإمعان، وما كان لهم أن يتكلموا في المؤمن إلا بحسن الظن، وما

كان لهم أن يُسارعوا عليَّ مجترئين. وما حمَلهم على الإنكار إلا استعجالهُم وسوء ظنهم وبخلهم وعنادهم وقلة تدبرهم، فيا حسرة على الحاسدين والمعاندين والظانين ظن السوء والسالقين!

وأما ما قلتُ في وفاة المسيح فما كان لي أن أقول من عند نفسي، بل اتبعتُ قول الله تعالى وآمنت بما قال الله تعالى ﷻ: "يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ". فانظرْ كيف شهد الله على وفاته في كتابه المبين! ومعلوم أن الرفع وتطهير ذيل المسيح من إلزامات اليهود وبهتاناهم، وغلبةَ أهل الحق وضربِ الذلة على اليهود، وجعلهم مغلوبين مقهورين تحت النصارى والمسلمين.. لقد وقعتْ هذه الأنباء والمواعيد كلها وتمت وظهرت، وما وقعت إلا على صورها وترتيبها، وقد انقضت مدة طويلة على ظهورها ووقوعها، فكيف يعتقد عاقل بالغ ذو عقل سليم وفهم مستقيم بأن خبر التوفِّي الذي قُدِّمَ على هذه الأخبار في ترتيب الآية الموصوفة هو غير واقع إلى وقتنا هذا، وما مات عيسى بن مريم إلى هذا الزمان الذي فسد بضلالات أُمّته، بل يموت بعد نزوله في وقت غير معلوم؟ ولا يخفى سخافة هذا الرأي على المتفكرين.

والقائلون بحياة المسيح لما رأوا أن الآية الموصوفة تُبيّن وفاته بتصريح لا يُمكن إخفاؤه، جعلوا يؤوّلونها بتأويلات ركيكة واهية، وقالوا إن لفظ **التوفي** في آية: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ...﴾ كان

مؤخَّرا في الحقيقة من كل هذه الواقعات، يعني مِن رفع عيسى وتطهيره من البهتانات ببعث النبي المصدِّق وغلبةِ المسلمين على اليهود وجعلِ اليهود من السافلين، ولكن الله قدَّم لفظَ "المتوفي" على لفظ "**رافعك**" وعلى لفظ "مطهّرك" وغيرها مع حذف بعض الفقرات الضرورية رعايةً لصفاء نظم الكلام كالمضطرين. وكان اللفظ المذكور.. يعني: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ في آخر ألفاظ الآية، فوضَعه الله في أوّلها اضطرارا لرعاية النظم المحكم، وكان الله في هذا التأخير والتقديم من المعذورين، فلأجل هذا الاضطرار وضَع الألفاظ في غير مواضعها وجعَل القرآن عضين. والآية بزعمهم كانت في الأصل على هذه الصورة: يا عيسى إني رافعك إليَّ، ومطهّرك من الذين كفروا، وجاعلُ الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم مُنــــزلك من السماء ثم متوفّيك. فانظرْ كيف يبدّلون كلام الله ويحرّفون الكلم عن مواضعها، وليس عندهم من برهان على هذا.. إن يتّبعون إلا أهواءهم، وما كان لهم أن يتكلموا في القرآن إلا خائفين. **وأنت تعلم** أن الله مُنــــزَّه عن هذه الاضطرارات، وكلامه كله مُرتَّب كالجواهرات، والتكلُّم في شأنه بمثل ذلك جهالةٌ عظيمة، وسفاهة شنيعة، وما يقع في هذه الوساوس إلا الذي نسي قدرة الله تعالى وقُوّته وحوله، واحتقره وما قدَره حقّ قدره، وما عرَف شأن كلامه، بل اجترأ وألحقَ كلام الله بكلام الشاعرين.

وكيف يجوز لأحد من المسلمين أن يتكلم بمثل هذا، ويبدّل كلام الله مِن تلقاء نفسه، ويُحرّفه عن موضعه من غير سند من الله ورسوله؟ أليست لعنة الله على المحرِّفين؟ ولو كانوا على الحق فلِم لا يأتون ببرهان على هذا التحريف من آية أو حديث أو قول صحابي أو رأي إمام مجتهد إن كانوا من الصادقين؟ وكيف نقبل تحريفاتهم التي لا دليل عليها من الكتاب والسُنّة ولا نجدها إلا كتحريف اليهود من تلبيس الشياطين. وأما السلف الصالح فما تكلموا في هذه المسألة تفصيلا، بل آمنوا مجملا بأن المسيح عيسى بن مريم قد تُوُفّي كما ورد في القرآن، وآمنوا بمجدّد يأتي من هذه الأمة في آخر الزمان عند غلبة النصارى على وجه الأرض اسمه عيسى بن مريم، وفوّضوا تفصيل هذه الحقيقة إلى الله تعالى، وما دخلوا في تفاصيله قبل الوقوع، وكذلك كانت سيرهم في الأنباء المستقبلة كما هي سُنّة الصالحين. فخلَف مِن بعدهم خَلْفٌ أضاعوا سُنّتهم وتركوا سيرهم، وأوَّلوا قول الله ورسوله إلى ما اشتهت أنفسهم، ثم أصرّوا عليه كأنهم عرفوا أسرار الله يقينا وكأنهم كانوا من المستيقنين. ألم يعلموا أن الله صرّح في القرآن العظيم بأن المتنصرين ما أشركوا وما ضلّوا إلا بعد وفاة المسيح كما يُفهَم من آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾؟ فلو لم يُتَوَفَّ المسيحُ إلى هذا الزمان للزم من هذا أن يكون المتنصرون على الحق إلى هذا الوقت ويكونوا مؤمنين موحِّدين.

يا حسرة عليهم! لِم لا يتفكرون في هذه الآيات؟ أليس فيهم رجل رشيد وفهيم وأمين؟ وأنت تعلم أن آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ قد دلّت بدلالة صريحة واضحة بيّنة على أن ضلالة النصارى واتخاذهم العبد إلها مشروطةٌ بوفاة عيسى عليه السلام، ولا يُنكره إلا من عانَدَ الحق بسوء تميُّزه واستعمل المكابرةَ والتحكم بجهله وحُمقه، وأبى متعمدا مِن أن يكون من المهتدين. وإذا قيل لهم آمِنوا بما صرّح الله في كتابه من وفاة المسيح وضلالة النصارى بعد وفاته لا في زمن حياته، قالوا أنؤمن بمعان تخالف الأحاديث؟ وقد كانوا يعلّمون الناسَ أن الخبر الواحد يُرَدُّ بمعارضة كتاب الله، فنسوا ما ذكّروا الناسَ وانقلبوا إلى الجهل بعدما كانوا عالمين. وما نجد في حديثٍ ذِكْرَ رفع المسيح حيًّا بجسمه العنصري، بل نجد ذكر وفاة المسيح في **البخاري** والطبراني وغيرهما من كتب الحديث، فليرجع إلى تلك الكتب من كان من المرتابين.

وأما ذكرُ **نزول عيسى** بن مريم فما كان لمؤمن أن يحمل هذا الاسم المذكور في الأحاديث على ظاهر معناه، لأنه يخالف قول الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾◈. ألا تعلم أن الربّ الرحيم المتفضّل سمّى نبيَّنا صلى الله عليه وسلم خاتَمَ الأنبياء بغير استثناء، وفسّره نبيُّنا في قوله **لا نبي بعدي** ببيان واضح

◈ الأحزاب: ٤١

للطالبين؟ ولو جوّزْنا ظهورَ نبي بعد نبيّنا ﷺ لجوّزْنا انفتاح باب وحي النبوة بعد تغليقها، وهذا خُلْفٌ كما لا يخفى على المسلمين. وكيف يجيء نبي بعد رسولنا ﷺ وقد انقطع الوحي بعد وفاته وختم الله به النبيّين؟ أنعتقد بأن عيسى الذي أُنزِلَ عليه الإنجيل هو خاتم الأنبياء، لا رسولُنا ﷺ؟ أنعتقد أن ابن مريم يأتي وينسخ بعض أحكام القرآن ويزيد بعضا، فلا يقبَل الجزية ولا يضع الحرب، وقد أمَر الله بأخذها وأمَر بوضع الحرب بعد أخذ الجزية؟ ألا تقرأ آية: ﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾*؟ كيف ينسخ المسيح محكماتِ الفرقان؟ وكيف يتصرّف في الكتاب العزيز ويطمِس بعض أحكامه بعد تكميلها؟ فأعجبني أنهم يجعلون المسيح ناسخَ بعضِ أحكام الفرقان ولا ينظرون إلى آية: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾، ولا يتفكرون أنه لو كانت لتكميل دين الإسلام حالةٌ منتظَرة يُرجى ظهورها بعد انقضاء ألوف من السنوات، لفسد معنى إكمال الدين والفراغ من كماله بإنزال القرآن، ولكان قول الله ﷻ: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم﴾ مِن نوع الكذب وخلاف الواقعة، بل كان الواجب في هذه الصورة أن يقول الرب تبارك وتعالى إني ما أنزلتُ هذا القرآن كاملا على **محمد** ﷺ بل سأُنزِلُ بعضَ آياته على عيسى

* *التوبة:٢٩*

بن مريم في آخر الزمان، فيومئذ يكمل القرآن وما كمل إلى هذا الحين.

وأنت تعلم أن هذا القول فاسد بالبداهة، ولا يظن كمثل هذا إلا الذي هو من أكابر المعتدين. نعمْ، يوجد في بعض الأحاديث لفظ نزول عيسى بن مريم، ولكن لن تجد في حديثٍ ذِكر نزوله من السماء، بل ذِكر وفاته موجود في القرآن، وما جاز أن يكون هذا التوفِّي بعد النـــزول، لأن الفتن التي أشير إليها في آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ إنما هاجت وظهرت على وجه الأرض من مدة طويلة، وتمتْ كلمة ربك كما قال، وترى النصارى ينحتون لهم إلها وابن إله، وكذلك تدل آية: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ على أن عيسى قد تُوُفِّي وكان الله خليفة له إلى يوم القيامة، فكيف يمكن نزوله بعد الموت وقد قال الله تعالى: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾◈، وقال: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾*. ولا يوجد في حديثٍ أن عيسى يجيء بعد وفاته ويخرُج جسمه من القبر. والجسم الذي دُفن في القبر كيف ينـــزل من السماء؟ فهذه القرائن دالة على أن للنـــزول معنى آخر، وإلا فكيف يمكن أن يُخبر الله أوّلاً بوفاة المسيح ويخبر بأنه خليفته بعد وفاته، وبأنه متمِّمُ أغراضه بعده وجاعلُ أتباعه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة بإرسال رسوله

◈ الزمر:٤٣ * الأنبياء:٩٦

الكريم ﷺ، وبإرسال عباد مُحدَّثين مُلهَمين الذين يُصدّقون المسيح، ثم يرجع فيناقض قولَه الأول ويقول إنه لم يمتْ بل هو نازل من السماء؟ فكأنه نسِي قوله السابق ونسي آياته. ولكنك لن تجد اختلافا في كلامه، فلا تنسب إليه أقوالا قد وقعت في غاية الضد والتناقض، ووجب علينا أن نصرف مثل هذه الكلمات عن الظاهر، ولو كانت موجودة في حديث بالفرض والتقدير، ونرجع إلى تأويل يوافق القرآن.

فانظرْ كيف بيَّن الله تعالى وفاة المسيح في كتابه، ثم انظرْ هل يكون من البيان والشرح والإيضاح والتصريح أكثر من هذا؟ ثم انظر أنه عز اسمه ما قال رافعك إلى السماء، بل قال: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، وقوله: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ يُشابه قولَه: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾◈، وما معنى هذا إلا الوفاة، فاستيقظْ وكن من المتدبرين.

أيها العزيز! كيف نقبل عقيدة يخالف نصوص القرآن ويعارض بيانه، ولا دليل معه ولا سبيل إليه، ولا يأتون بحجة عليه ولا برهان ساطع، وأظن أنك تفهم إذا أنصفتَ وفكّرت، وقد كتبتُ كل ذلك في كتبي مع الدلائل، وأكره التطويل في مكتوبي هذا فإنه يوجب الملال، فاقتصرتُ على ما كتبت. ومن يدرس كتاب الله حق دراسته فأتيقن أن يصل إلى أعلى مراتب اليقين في هذا الأمر، ويتفق رأيه

◈ *الفجر: ٢٩*

برأيي ويُكشَف بين يديه كلُّ ما قلتُه. فتدبَّرْ، أنار الله عقلك وجعلك من المستيقنين. وينبغي لك – رحمك الله – أن تُقدّم القرآن وتعظّم آياته، فإنه يقيني، وكل آية قطعية متواترة، وما مسّتْه أيدي الناس، وما اختلطَ به شيء من أقوال بني آدم، وإنه كلام رباني لا شك فيه، وإنه آيات إلهية لا ريب فيها. وأما الأحاديث فأنت تعلم أن كلها آحاد إلا القدر القليل الذي هو كالنادر، فتفكَّرْ في هذا بطهارة النفس وصحة النية وسلامة القلب، وأدعو أن يؤيدك الله بإلهامه، ويهَب لك لُطْفَ النظر ودقة الفكر، ويكون معك ويجعلك من العارفين.

وأما إيمان قومنا وعلمائنا بالملائكة وغيرها من العقائد فلسنا نجادلهم فيه ولا نخطّئهم في ذلك، وليس في هذه العقائد عندنا إلا التسليم، وإنما نحن مناظرون في أمر نزول المسيح من السماء، ولا نُسلّم أنه ثابت من الكتاب والسُنّة، وإن كان ثابتا فلا ينبغي لنا ولا لأحد أن يأبى ويمتعض من قبوله، فإنه لا يفر من قبول الحق إلا ظالم مُعتد لا يُحب الصداقة، أو ضال جاهل لا يعرف قدرها. وأما إن كان غير ثابت فلا ينبغي لصالح أن يختاره لنفسه، فكيف يدعو إليه رجلا يمشي على صراط مستقيم، وكيف يحسبه من الكافرين؟ وإن أمر الدين أمرٌ جليل الخطب عظيم القدر، لا ينبغي لأحد أن يستعجل فيه، بل اللازم الواجب على كل مسلم مؤمن أن يطرح من بينه البخلَ والشحناء، ويدعو الله ويسأله بالتضرعات والابتهالات

هدايتَه من لدنه، ومن يهدي إلا الله وهو أحسن الهادين؟ ومن نظَر في القرآن، وفكّر في الفرقان بالتدبر والإمعان، فيظهر عليه كل ما سَوّلتْ للعلماءِ أنفسهم وقد عتوا عُتُوّا كبيرا، وعاندوا الحق وأشاعوا كذبا وزورا، وإن الحق يعلو ولو دفنوه تحت الأرضين.

ولندَع الآن ذِكر هؤلاء ونأخذ في ذكر ادعائنا مكررا لينظر المنصفون هل يجب عليهم قبولُ ذلك أو ردُّه، فنقول إن ديننا هذا الذي اسمه الإسلام.. ما أراد الله أن يتركه سُدى، وما أراد أن يُبطله ويخرّبه من أيدي الأعداء، **بل** قال وهو أصدق الصادقين: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾*، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾°، وقال: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾•، وقال: ﴿ثُلَّــةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾◈. فهذه كلها مواعيد صادقة لتأييد الإسلام عند ظهور الفتن وغلبة المعاصي والآثام، وأيّ فتن أكبر من هذه الفتن التي ظهرت على وجه الأرض؟ وإن النصارى قد دخلوا على الناس من باب لطيف، وسحروا أعين الناس وقلوبهم وآذانهم بالمكائد التي هي دقيقة المآخذ، وأضلّوا خلقا كثيرا وجاءوا بسحر مبين.

---

* النور:٥٦ ° الحجر:١٠ • الجمعة:٤ ◈ الواقعة:٤٠-٤١

ثم اعلم أن للمسيح الموعود كما جاء في الأحاديث ثلاث علامات:

الأول: أنه يجيء عند غلبة النصارى وعند غلبة مكائدهم وشدة جهدهم لإشاعة مذهب التنصر، فيأتي وينـــزل فيهم ويكسر صليبهم ويقتل خنازيرهم، ولا يغزو ولا يحارب، بل كل ذلك يفعل بالقوة السماوية، والطاقة الروحانية، والأسلحة الفلكية، ويضع الحرب ويظهر كالمساكين.

والثاني: أنه يتزوج، وذلك إيماء إلى آية يظهر* عند تزوُّجه من يد القدرة وإرادة حضرة الوتر، وقد ذكرناها مفصلا في كتابنا **التبليغ** والتحفة، وأثبتْنا فيهما أن هذه الآية سيظهر* على يدي، ولولا هذه الآية لما كان سبب معقول لذِكر هذه العلامة، فإن التزوج ليس من أمور نادرة متعسرة، لكي يُقال إنه لا يقدر عليه كاذب إلا المسيح الصادق الذي جاء من رب العالمين، بل التزوج أمر عام يقدر عليه كل رجل ذي مال وثروة حتى الكافر والفاسق، فضلاً من أن يكون محدودا في نبيّ أو وليّ. فثبت أنه إشارة إلى آية عظيمة يظهر* عند تزوُّجه، وقد فصلناها في كتابنا للناظرين.

الثالث: أنه يولد له، وهذا أيضا كلام إيماضي كمثل قوله يتزوج، وفيه إشارة إلى أنه يولد له ولدٌ صالح يُضاهي كمالاتِه، وإلا

---

* *سهو، والصحيح: تظهر. (الناشر)*

فما التخصيص في الأولاد فقط؟ أوجود الأولاد أمرٌ مستبعَد في غير المسيح؟ بل يوجد في كل قوم، وكاذب وصادق.

فهذه علامات للمسيح الصادق أنبأ بها خير المنبئين، وهي كلها صدقت في نفسي، وهذه من علامات يُعرَف بها صدقي.

ومن علامات أخرى أن الله تعالى أظهر على يدي بعض آيات، وأنبأني أخبارا قبل وقوعها، وقد استجاب كثيرا من أدعيتي، ونصرني في كل موطن، وقد فُتحتْ عليّ أبواب إلهاماته وأنا يومئذ ابن أربعين، فما تركني، وما ودّعني، وما أضاعني، بل خصّصني بالتحديث والمكالمة، وأمرني لأتمّ حجته على المتنصرين.

ولو كان عيسى حيا بجسده العنصري في السماء الثانية كما هو زعم قومي، فكان الواجب أن ينـــزل في هذا الوقت، فإن الأمم قد هلكت بمكائد النصارى، وبلغت المفاسد منتهاها، والقعودُ على السماوات مع ضلالةِ أهل الأرض وفسادِ أُمّته شيءٌ عجيب، وما نعلم ما الفائدة في هذا القعود وإضاعة العمر. وما كان الله ليضيع عمره في زاوية السماوات وقد رأى أُمّته قد وقعت في هوة الهلاك، وأفسدت في الأرض أكثر مما أفسد الدجالون من قبل، ولا نظير لهم في إشاعة الكذب والشرك من آدم إلى هذا الوقت. ألا **ترى** أن موسى عليه السلام لما كلّم ربّه على طور سينين، واتخذت أُمّتُه مِن بعده عِجلاً جسدا له خُوار، كيف أنبأ الله موسى عليه السلام بهذه الواقعات كلها، وقال ارجِعْ إلى قومك بقدم العجلة، فإنهم قد هلكوا باتخاذ

العِجل إلها، فرجع موسى غضبانَ أسفًا، وأخذ بلحية أخيه، ووقع ما تقرأ في القرآن، وما كان فتنةُ العجل أشدَّ من فتنة المتنصرين.

وأنت تعلم أن فتنة النصارى مع شدّة أهوالها وكثرة ضلالها وغلبتها على وجه الأرض كلها، قد امتدّتْ ومكثتْ إلى ألفَين من سَنةٍ وفاة المسيح، ولكن ما نزل عيسى عليه السلام إلى هذا الوقت الذي أخبر عنه أهل الكشف كلهم، وما نرى آثار نزوله، فهذه أمور لا نرى جوابها عند هذه العلماء. وقد رأوا مني آيات فلم يلتفتوا إلى ذلك، وقالوا استدراج أو رمل، وبُهتوا لشدة إعجابهم، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوّا، وكان لها من قلوبهم مكان، وفي أعينهم قدر، ولكنهم كذّبوا حسدا من عند أنفسهم، فنعوذ بالله من الحاسدين. وتركوا الحق المبين، واعتصموا بأقاويل ضعيفة. ألا يتدبرون أن الله ما رأى واقعة من معظّمات الواقعات الآتية إلا ذكرها في القرآن؟ فكيف ترَك واقعة نزول المسيح مع عظمة شأنها وعُلوّ عجائبها؟ ولِم ترَكها إن كانت حقًّا؟ وقد ذكَر قصّة **يوسف** وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصَ﴾◈، وذكَر قصة أصحاب **الكهف** قال: ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾*، ولكن لم يذكر شيئا من ذكر نزول عيسى من السماء من غير ذكر الوفاة، فلو كان النزول حقًّا لما ترَك القرآنُ هذه القصة، ولذَكَرَها في سورة طويلة،

◈ يوسف:٤ * الكهف:١٠

وجعَلها أحسن من كل قصة، لأن عجائبها مخصوصة بها، ولا نظير لها في قصص أخرى، وجعَلها آية لأُمّة آخر الزمان. فهذا هو الدليل الصريح على أن هذه الألفاظ غير محمولة على الحقيقة، والمراد منها في الأحاديث مجدِّدٌ عظيم يأتي على قدم المسيح ويكون نظيره ومثيله، وأُطلقَ اسم المسيح عليه كما يُطلَق اسم البعض على البعض في عالم الرؤيا، وهذه سُنّة جارية في الوحي والرؤيا، وتجد نظيرها بكثرة في كتب الأحاديث وكتب تأويل الرؤيا، فالمراد منه مثيلٌ يكون للمسيح كوجوده، وينزل بمنزلة ذاته من شدة المماثلة، ويخرج عند غلبة النصارى، ويتم على يده حجة الله، ويُعلي كلمة الإسلام، ويُظهِر الدين على الأديان كلها بالحجج والبراهين. ومع ذلك نجد في القرآن أن في آخر الزمان تغلب النصارى على وجه الأرض، وينسلون من كل حدب، ويهيجون الفتن، ويصولون على الإسلام بمكائدهم، ويجلبون عليه رَجِلَهم وخَيْلَهم، ولا يتركون من كيد في إطفاء نور الإسلام، فعند ذلك ينظر الرب الكريم إلى هذه الأمة المرحومة الضعيفة التي لا حول لها ولا قوة، فينفخ في الصور، ويُعلِّم أحدًا منهم من عنده علما وعقلا، ويُعطي له آيات، ويُنزله منزلةَ عيسى بن مريم، فينير الحق ويُبطل كيد الخائنين. وأما إقامته في مقام عيسى وتسميته باسمه فله وجهين[o]:

[o] *سهو، والصحيح: "وجهان". (الناشر)*

الأول: أن المجدد لا يأتي إلا بمناسبة حال قوم يريد الله أن يتم حجته عليه، فلما كانت الأعداء قوم النصارى، اقتضت الحكمةُ الإلهية أن يُسمّى المجدّد مسيحا.

والثاني: أن المجدّد لا يأتي إلا على قدم نبي يشابه زمانُ المجدد زمانَه، فهنا قد شابَهَ زمانُ قومنا بزمان المسيح، فإن عيسى عليه السلام قد جاء في وقت ما بقيت فيه رياسة اليهود، وتملكت السلطنةُ الرومية عليهم، ومع ذلك جاء في وقت قد فسدت قلوب علماء اليهود، وزاغت آراؤهم، وكثرت فيهم المكائد والفسق والفجور وحبّ الدنيا والخسّة والسفاهة والنفاق والجدال، وغير ذلك من الأخلاق الرديّة، وكذلك كان حال قومنا في هذا الوقت، فاقتضت حكمة إلهية أن تسمي المجدِّدَ عيسى ابن مريم، رعايةً لحالات المخالفين والموافقين.

وقالوا إن المسيح ينــزل من السماء ويقتل الدجّال ويُحارب النصارى، فهذه الآراء كلها قد نشأت من سوء الفهم وقلة التدبر في كلماتِ خاتم النبيين. وأما النــزول من السماء فقد فهمتَ حقيقتَه، وقد بيّنتُ لك أن النــزول من السماء لا يثبت من القرآن العظيم، ولا من حديث النبي الكريم. والعجب منهم أنهم يؤمنون بأن الله أنزل في القرآن آيات فيها ذكرُ وفاة المسيح، ثم يظنون أنه حيّ جالس في السماء الثانية مع ابن خالته يحيى النبي الشهيد – على نبيِّنا وعليهم السلام – ولا يتفكرون ولا ينظرون إلى أن يحيى قد قُتل

ولحِق بالموتى، فكيف جمع الله الحي بالميت؟ وما للموتى والأحياء؟! فالعجب كل العجب أنهم يجمعون في عقائدهم اختلافات كثيرة، ولا يتنبهون على ذلك، ولا يتقون الأقوال المتهافتة المتناقضة، ويتكلمون كالسكارى أو كالمجانين.

وما نجد في أقوال المفسرين أنهم اتفقوا في أمر حياة عيسى، بل لهم في هذه المسألة اختلافات كثيرة. فذهب بعضهم أنه قد مات ثم أُحيِيَ، ولكن هذا قولهم بأفواههم، وما أتوا بدليل على الحياة بعد الموت من النصوص القرآنية أو الحديثية. وبعضهم ذهب إلى أنه صعد بجسمه العنصري إلى السماء قبل الموت، فخالفَ بيانَ القرآن في قوله من غير حجة ولا برهان، ولا دليل شاف ولا سلطان مبين. فالحاصل أنهم نطقوا في أمره بحسب ظنهم كهائم واد، وما اتفقوا على رأي واحد في أمر صعوده، وما استطاعوا أن يأتوا بآية أو حديث أو قول صحابي على صحة عقيدة الصعود بالجسم العنصري. ثم انصرفوا قبل إثبات هذا الأصل العظيم إلى عقيدة النزول، وما عرفوا أن النزول فرع للصعود، وثبوته فرع لثبوته، وإذا ثبت أن القرآن لا يصدِّق **صعودَ عيسى** بجسمه العنصري، بل يخالفه ويُبيّن وفاتَه في كثير من آياته، فتارة يقول: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، وتارة يشير إلى وفاته بقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾، وتارة يقول: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾ أي ماتوا كلهم – ولو لم نختَرْ هذا المعنى في هذه

الآية المؤخرة يبطُل الاستدلال المطلوب - فكيف نترك القرآن وشهاداته؟ وأيّ شهادة أكبر من شهادة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ فهل تريد - أصلحك الله - دليلا أوضح من هذا؟ فالأنسب والأولى أن يُعرَض غيرُ القرآن على القرآن، ولو كان حديث رسول الله ﷺ، أو كشف وليّ، أو إلهام قُطْب، فإن القرآن كتاب قد كفَل الله صحّتَه، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾*، وإنه لا يتغير بتغيُّرات الأزمنة ومرور القرون الكثيرة، ولا ينقص منه حرف ولا تزيد عليه نقطة، ولا تمسّه أيدي المخلوق، ولا يُخالطه قول الآدميين. ومع ذلك لا شك أن القرآن وحي متلوٌّ، وكله متواتر قطعي، حتى النقاط والحروف، وأنزله الله باهتمام شديد كامل بحراسة الملائكة. ثم ما ترَك النبي ﷺ دقيقة من الاهتمامات في أمره، وداومَ على أن يكتب أمام عينه آيةً آية كما كان ينزل حتى جمَع كله، ورتَّب الآيات وجمَعها بنفسه النفيسة، وكان يُداوم على قراءته في الصلاة وغيرها، حتى ارتحل من دار الدنيا ولحِق بالرفيق الأعلى، ولاقى محبوبه رب العالمين. ثم بعد ذلك قام الخليفة الأول **أبو بكر الصدّيق** رضي الله عنه لتعهُّد جميعِ سوره بترتيب سمع من النبي ﷺ، ثم بعد الصدّيق الأكبر وفّق الله الخليفة الثالث فجمَع القرآن على قراءة واحدة بحسب لغة قريش وأشاعه

* الحجر: ١٠

في البلاد. ومع ذلك كان الصحابة كلهم يقرأون القرآن كالحفّاظ، وكان كثير منه في صدور المؤمنين، وكـــانوا يقرأونـــه في الـــصلاة وخارجها، بل كانوا بعضهم حافظ القرآن كله، وكانوا يتلونـــه في آناء الليل والنهار، وكانوا على تلاوته مداومين.

فتفكَّرْ أيها العبد الصالح، أين حصل هذا المقام الأعلى والأسنى لحديث في زمان من الأزمنة؟ وإن الأحاديث كلها آحاد° وما توجه رسول الله ﷺ إلى جمعها وكتابتها، ولا صحابته الكرام، وما كفَلها الله وما ضمن وما وعَد لعصمتها وحفاظتها كوعده لحفاظة القرآن. ومع ذلك كُتبت الأحاديث بعد زمان طويل، وبعد قرون من وفاة نبينا ﷺ. ومع ذلك يوجد في بعضها اختلاف كثير وتناقض عسير، فهذا هو السبب الذي جعَل هذه الأُمّةَ فرقةً فرقة، فبعضهم **حنفي**، وبعضهم **شافعي**، وبعضهم **مالكي**، وبعضهم **حنبلي**. ولو كانت الأحاديث متفقة متوافقة، لما اختلف الناس فيها وما افترقوا، ولكنهم وجدوا الأحاديث بعضها يُخالف بعضا، فأخذ كل واحد حديثا باجتهاد وفوَّض الأمر إلى الله، ففريق ذهب إلى رفع اليدين في الصلاة والتأمين بالجهر وقراءة الفاتحة خلف الإمام، وفريق آخر خالفه في

° **حاشية**: اعلم.. أرشدك الله.. أن الإمام البخاري مع شدة اهتمامه في تصحيح الأحاديث وتوفيقها وتنقيدها وتفتيش رُواتها عجز عن رفع التناقض الذي يوجد في أحاديث صحيحة حتى تُوُفِّيَ، ثم ما كان لأحد أن يتدارك ما فاته. ألا تنظر إلى أحاديث المعراج كيف يوجد فيها اختلافات عظيمة، حتى إن بعضهم ذهب إلى أن المعراج كان في اليقظة، وبعضهم ذهب إلى أنه كانت رؤيا صالحة. فتدبَّرْ ولا تكن من النائمين. **منه**

اجتهاده، وكل منهما يستدل بحديث، فكذلك في ألوف من الأحاديث يوجد اختلاف المذاهب. فالأحاديث التي متنـــزلة من مراتب التواتر والقطعية واليقين، ولا تخلو من الاختلافات والتناقضات والأضداد.. كيف نحسبها قاضية على القرآن؟ أهذه علامات القُضاة؟ فتفكّروا إن كنتم متفكرين.

وإنّا لا ننظر إلى الأحاديث بنظر الاستخفاف والتوهين، بل نحن نشكر أئمة المحدِّثين ونحمدهم على سعيهم، ولا شك أن للأحاديث شأنا عظيما، وهي حاملة لتواريخ الإسلام ولأكثر مسائل الدين وجزئياته، ونُعظّمها ونعزّها ونقبَلها بالرأس والعين، ولكنّا لا نقدّمها على كتاب الله الإمام المهيمن، وإذا تخالَفَ الحديث والفرقان في أمر من القصص فنُشهِد الثَّقَلينِ أنَّا مع الفرقان ولا نبالي طعن الطاعنين. ونعلم أن الخير كله والسلامة كلها في جَعْل القرآن معيارا لمثل هذه الأخبار، فالقانون الصحيح العاصم من الخطأ أن نعرِض كل قصة على القرآن، فإن كان ذكرُها في القرآن أو ذكرُ أمر يُشاكلها ويُشابهها فيُقبَل ويُؤمَن به ويُعتقد عليه، وإن لم يوجد شبيه في القرآن، لا في هذه الأُمّة ولا في أمم أخرى، بل يوجد فيه شيء يعارضه، فمن الواجب أن لا يُقبَل مثل هذه القصص إلا في زيّ التأويل. فانظرْ اقتداءً لهذا القانون العاصم الذي بلَغنا من رسول الله ﷺ، هل تجد لقصة صعود المسيح مع جسمه العنصري ولقصة نزوله من السماء واضعا كفيه على جناحي الملَكين أصلاً أو أثرًا في القرآن

أو قصة مما يُشابه هذه القصة؟ بل القرآن يُنـــزّه شأن الله عن مثل تلك الأفعال في هذه الدنيا ويقول: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إلا بَشَرًا رَّسُولاً﴾◈. وإنه خالفَ قصة النـــزول جهرا بحيث ذكر بشاراتٍ بشّر بها المسيح في كلامه المرتّب المرصّع، فبلغ الكلام من قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ إلى قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، وما ذكَر فيه قصة صعود المسيح ولا نزوله، ولو كانت صحيحة لذكرها في ضمن هذه البشارات، فهذا دليل واضح على أن الفرقان ما صدّق تلك القصص، بل كذّبها لذِكره المواعيد والتبشيرات للمسيح إلى يوم القيامة، وتركِه تلك القصة، وفي ذلك وجوه شافية للطالبين.

واعلم أن القرآن لا يجوِّز لأحد أن يرقى في السماوات بجسمه العنصري ويبقى فيها حيًّا إلى يوم القيامة. وأنت تعلم أن طائفة من قريش اقترحوا سؤالات من عند أنفسهم، فكان منها أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: إنّا لا نؤمن بك حتى ترقى في السماء، فنـــزل في جوابهم: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إلا بَشَرًا رَّسُولاً﴾◈. وأنت تعلم أن رسولنا ﷺ أفضل الرسل وخاتمهم وأحبُّهم إلى الله، فالأمر الذي لم يجُزْ له.. فكيف يجوز لغيره؟ فتدبر يا أخي.. أيدك الله بإلهام مبين.

◈ *الإسراء: ٩٤*

وأما **معراج** رسولنا ﷺ فكان أمرا **إعجازيا** من عالم اليقظة الروحانية اللطيفة الكاملة، فقد عرج رسول الله ﷺ بجسمه إلى السماء وهو يقظان **لا شك فيه** ولا ريب، ولكن مع ذلك ما فُقد جسمه من السرير كما شهد عليه بعض أزواجه - رضي الله عنهن- وكذلك كثير من الصحابة. فأنت تعلم وتفهم أن قصة المعراج شيء آخر لا يضاهيه قصةُ **صعود** عيسى عليه السلام إلى السماء، وإن كنت تشك فيه فارجع إلى **البخاري**، وما أظن أن تبقى بعده من المرتابين.

وأما قوله تعالى في قصة **إدريس:** ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾* فاتفق المحققون من العلماء أن المراد من الرفع ههنا هو الإماتة بالإكرام ورفع الدرجات، والدليل على ذلك أن لكل إنسان موت مُقدّر لقوله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾◇ ولا يجوز الموت في السماوات لقوله تعالى: ﴿**وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ**﴾●، ولا نجد في القرآن ذِكر نزول إدريس وموته ودفنه في الأرض، فثبت بالضرورة أن المراد من الرفع الموتُ. فحاصل الكلام أن كل ما يخالف القرآن ويعارض قصصه فهي أباطيل وأكاذيب، وإنما هو تقَوُّلُ المفترين.

ثم اعلم.. أيدك الله تعالى.. أن عقيدة نزول المسيح من السماء.. مع عدم ثبوته من النصوص القرآنية ومخالفة القرآن فيها، يضر عقائد التوحيد ويربي عقائد قوم أهلكوا الناس بمثل هذه القصص، فإنه إن

---

* مريم:٥٨ ◇ الرحمن: ٢٧ ● طه: ٥٦

كان هذا هو الأمر الحق.. أن عيسى لم يمت كإخوانه من الأنبياء، بل هو حيّ موجود في السماء، ومع ذلك كان يخلق الطيور كمثل خلق الله، ويُحيي الأموات كإحياء رب العالمين، فأيّ ابتلاء أعظم من هذا للذين يدْعون إلى ربوبية المسيح في هذا الزمان الذي تتموج فيه فتن النصارى من كل جهة، ويجاهدون بأموالهم وجميع مكائدهم ليضلوا الناس ويجعلوهم من المتنصرين!

ثم اعلموا.. أيها الأعزة.. أن **حياة رسولنا** ﷺ ثابت بالنصوص الحديثية، وقد قال رسول الله ﷺ إني لا أُترَك ميّتًا في قبري إلى ثلاثة أيام أو أربعين باختلاف الرواية، بل أُحيا وأُرفَع إلى السماء. وأنت تعلم أن جسمه العنصري مدفون في المدينة، فما معنى هذا الحديث إلا الحياة الروحاني والرفع الروحاني الذي هو **سُنّة الله** بأصفيائه بعدما توفاهم؟ كما قال ﷻ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾*، وما معنى قول: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ إلا المعنى الذي يُفهم من قول: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾؟ فإن الرجوع إلى الله راضية مرضية والرفعُ إلى الله أمرٌ واحد، وقد جرت عادة الله تعالى أنه يرفع إليه عباده الصالحين بعد موهم، ويؤويهم في السماوات بحسب مراتبهم، ولأجل ذلك لقي نبينا ﷺ كل نبي خلا من قبله في ليلة المعراج في السماوات، فوجد آدم في السماء الدنيا، ووجد عيسى وابن خالته

* الفجر: ٢٩

يحيى في السماء الثانية، ووجد موسى في السماء الخامسة. وهذه الأحاديث صحيحة تجدها في البخاري وغيره من الصحاح، ثم الذين لا يريدون الحق يتعامون وينسون رفع الأنبياء كلهم، ويصرون على حياة عيسى ورفعه، ويقرأون حديث المعراج ثم ينسونه، ويضيعون أعمارهم غافلين.

أعيسى **حيٌّ ومات** المصطفى؟ تلك إذًا قسمة ضيزى! اعدلوا هو أقرب للتقوى. وإذا ثبت أن الأنبياء كلهم أحياء في السماوات، فأيّ خصوصية ثابتة **لحياة** المسيح؟ أهو يأكل **ويشرب** وهم لا يأكلون ولا يشربون؟ بل حياة **كليم الله** ثابت بنص القرآن الكريم.. ألا تقرأ في القرآن ما قال الله تعالى ﷻ: ﴿**فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ**﴾،● وأنت تعلم أن هذه الآية نزلت في موسى، فهي دليل صريح على حياة موسى عليه السلام، لأنه لقي رسول الله ﷺ، والأموات لا يلاقون الأحياء. ولا تجد مثل هذه الآيات في شأن عيسى عليه السلام، نعمْ جاء ذكر وفاته في مقامات شتى، فتدبر فإن الله يحب المتدبرين.

ولعلك تقول: لِم ذكَر الله تعالى قصة رفع عيسى عليه السلام بالخصوصية، وكذلك قصة نفي صلبه في القرآن؟ وأيّ سرّ ومصلحة في ذِكرهما وأيّ حاجة اشتدت لهذا البيان؟ فاعلم أن علماء اليهود وفقهاءهم - غضب الله عليهم - كانوا ظانين ظن السوء في شأن

● *السجدة:* ٢٤

عيسى عليه السلام، وكانوا يقولون إنه مفترٍ كذاب، وكان مكتوبا في التوراة أن المتنبئ الكاذب يُصلَب ويُلعَن ولا يُرفَع إلى الله تعالى كالأنبياء الصادقين. فأرادوا أن يصلبوا المسيح ليُثبتوا كذبه بحسب أحكام التوراة، وليبيّنوا للناس أنه ملعون كذاب ولا يُرفَع إلى الله.. قاتلهم الله ولعنهم.. كيف احتالوا في نبي من المقربين! فسعوا لصلبه، وبذلوا له كل كيد ومكرٍ لعله يُصلَب ويحصُل لهم حُجةٌ على كذبه وعدمِ رفعه بكتاب الله التوراة، فبشّر الله عيسى عليه السلام قائلا: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يعني مميتك حتف أنفك، ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ يعني رافعك إلى حضرة القرب كالأنبياء الأصدقاء، ولستَ بنعمة الله من الملعونين والكذابين. فهذه مواعيدُ تسلية من الرب الكريم لعيسى عليه السلام وردٌّ على اليهود، وقولٌ مبشِّر بأن الله لا يهدي كيد الخائنين. والرفع.. كما علمتَ آنفا.. ليس مخصوصا بعيسى عليه السلام، والأنبياء كلهم قد رُفعوا وكان مقعدهم عند مليك مقتدر، وقد وجد نبينا ﷺ كل نبي مرفوعا إلى سماء من السماوات، بل وجد بعض الأنبياء أرفع من عيسى عليه السلام.

وفي آية: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ**﴾ إشارة أخرى، وهي أن النصارى زعموا أن عيسى صُلِب لأجل تطهيرهم من المعاصي، وظنوا كأنه حمل بعد الصلب جميع ذنوبهم على نفسه، وهو كفّارةٌ لهم ومطهِّرهم من جميع المعاصي والخطيئات، ففي نفي الصلب ردٌّ على النصارى وهدمٌ لعقيدة الكفّارة، ومع ذلك ردٌّ على اليهود

واستئصال لكيدهم الذي احتالوا اعتصاما بالتوراة، وإظهارٌ لبرية◈ عيسى عليه السلام من بهتان تلك الأقوام. فهذا هو السبب الذي ذكَر الله قصةَ صلب عيسى في القرآن وكَذَّبَه، وإلا فما كان فائدة في ذكره، وكم من نبي قُتل في سبيل الله وما جاء ذِكر قتلهم في القرآن. فخُذْ مني هذه النكتة وكن من المصدقين.

وربما يختلج في قلبك أن رسول الله ﷺ لم اختار لفظ النـــزول عند ذكر مجيء المسيح الموعود في كل مقام، وترَك لفظ البعث والإرسال وغير ذلك. فاعلم أن فيه سر عظيم قد أشار إليه القرآن في مقامات شتى، وهو أن أنبياء الله - عليهم السلام - يُرفعون إلى الله بعد وفاتهم منقطعين من هذا العالم، لا يكون لهم اهتمام ولا فكر لعالم تركوه، بل يصلِون ربهم فرحين، ويقعدون عند مليك مقتدر بطيب العيش والحبور والسرور، ويلحَقون بالواصلين. وقد يتفق أن أمّةَ أحد منهم تُفسد إفسادا عظيما في الأرض ويرجعون إلى جاهليةٍ أولى بل إلى أقبح وأشنع منها، فيرتعد النبي المتبوع بسماع هذا الخبر عن الله تعالى، ويدركه همٌّ وغمّ واضطراب، ويقصد أن ينـــزل إلى الأرض ويُصلح أُمّته، فلا يجد سبيلا إليه لِما سبَق قول الله تعالى: ﴿**أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ**﴾، فالله يجعل له مثيلا في الأرض ويجعل إراداته في إراداته، وتوجهاته في توجهاته، ويجعلهما كشيء واحد كأنهما من

◈ سهو الناسخ، والصحيح: *"لبراءة"*. (الناشر)

جوهر واحد، ويُنـــزِل روحانيته على روحانيته، فيظهر **المثيلُ** بشأن وأخلاق وصفات كان الممثَّل به يوصف بها. فهذا هو الوجه الذي اُختير له لفظ النـــزول ليدل على أن المسيح الموعود يجيء على قدم المسيح الأصلي كأنه هو، فمعنى لفظ النـــزول الذي جاء في البخاري أن المسيح الآتي ينـــزل منـــزلةَ المسيح الحقيقي.

ومع ذلك لما كان الدجّال المفسد المضل خارجا من الأرض بأنواع المكائد والحيل والفنون الأرضية السفلية.. أُختيرَ لفظ النـــزول للمسيح الموعود مناسبةً ومحاذاة للخارج الأرضي، وإشارةً إلى أن الدجّال يُهيِّج فتنته من الحِيَل الأرضية والمكائد السفلية، والمسيح الموعود لا يأتي بشيء من الأرض من سيف أو سهم أو رمح بل يأتي بالأسلحة الفلكية، وينـــزل على أجنحة الملائكة، لا يكون معه شيء من الأسباب الأرضية، ويؤيَّدُ بآيات السماء وبركاتها، فكأنه ملَكٌ نزل من السماء لإهلاك العفريت الأرضي● وإطفاءِ شعلة شروره.

واعلم أن لفظ النـــزول تبشير سماوي للمسلمين لئلا ينقطع رجاؤهم في زمان تُصبّ عليهم المصائب، وتقل الحيَل الأرضية والوسائل السفلية، وترتعد قلوبهم برؤية غلبة النصارى ودولتهم

● **الحاشية**: قد جاء في بعض الأحاديث أن الدجّال لا يكون من نوع الإنس بل إنما هو شيطان يوسوس في صدور تابعيه في آخر الزمان، فتوابعه يكونون مظاهره ومظهر إرادته. منه.

وشدة قوتهم، وقوة مكائد أئمة دينهم الذين هم الدجّال الأكبر المعهود، والمظهر الأتم للشيطان، لم يُرَ مثلهم ومثل مكائدهم في العالمين.

فبشّر الله المسلمين المستضعفين في آخر الزمان وقال إنكم إذا رأيتم أن أئمة دين النصارى قد غلبوا على وجه الأرض، وأهلكوا أهلها بأنواع مكائدهم وحيلهم وعلومهم، وجذبِهم قلوب الناس إليهم، ورفقِهم ولين قولهم، ومداراتِهم التي بطريق النفاق، واستعمالِهم ضروبا من الحيل، وتأليفِ القلوب بالتعليم والأموال والنساء والمناصب والمداواة والتشويقات والأماني والخداع، وإراءةِ حكومة الدنيا وسلطانها، ومواعيدِ القرب من دولتهم والتعزز عند أمرائهم، ووجدتم أنهم قد أحاطوا على البلاد كلها وأفسدوا فسادًا كبيرا بسحر كلماتهم وعجائب تلبيساتهم، وفنونهم الأرضية التي بلغت منتهاها، فلا تخافوا ولا تحزنوا، فإنّا نرى ضعفكم وكسلكم في دينكم، وقلةَ علمكم وعقلكم وهمتكم ومالكم، وقلةَ حيلكم في تلك الأيام، ونرى أنكم صرتم قوما مستضعَفين، فنُنـــزِل في تلك الأيام نصرةً من عندنا من السماء، وعبدًا من لدُنّا، ويأتيكم مددنا من العرش خالصا من أيدينا ومن نفخنا، لا يُخالطه سبب من أسباب الأرض، فنُتِمُّ حجة ديننا على الظالمين.

وقد أشير في بعض الأحاديث أن المسيح الموعود والدجّال المعهود يظهران في بعض البلاد المشرقية، يعني في ملك **الهند**، ثم

يُسافر المسيح الموعود أو خليفة من خلفائه إلى أرض دمشق، فهذا معنى القول الذي جاء في حديث مسلم أن عيسى ينـــزل عند منارة دمشق، فإن النـــزيل هو المسافر الوارد من مُلك آخر. **وفي** الحديث.. يعني لفظ المشرق.. إشارة إلى أنه يسير إلى مدينة دمشق من بعض البلاد المشرقية وهو مُلك الهند. وقد أُلقِيَ في قلبي أن قول عيسى "عند المنارة دمشق"، إشارةٌ إلى زمان ظهوره، فإن أعداد حروفه تدل على السنة الهجرية التي بعثني الله فيه⊙. واختار ذكر لفظ المنارة إشارةً إلى أن أرض دمشق تنير وتشرق بدعوات المسيح الموعود بعدما أظلمت بأنواع البدعات، وأنت تعلم أن أرض دمشق كانت منبع فتن المتنصرين.

وتفصيله كما رأيناه في أناجيل النصارى أن **بولص** الذي كان أول رجل أفسد دين النصارى وأضلهم، وأجاح أصولهم، ومكر مكرا كُبّارًا، وسار إلى دمشق وافترى من عند نفسه قصة طويلة ليعرضها على بعض سادات النصارى الذين كانوا غافلين من مكائده، وكانوا سفهاء بادي الرأي، ذوي الآراء السطحية والعقول الناقصة الضعيفة، سريعي الإيمان بالخرافات المنقولة والعجائبات المروية، ولو كان ناقلها وراويها امرأً كذّابا مفسدًا، فلقي بولص في دمشق رجلا منهم الذي كان اسمه أنانيا، وكان أولهم غباوة وسريع

⊙ *سهو، والصحيح: "فيها". (الناشر)*

الميل إلى مثل هذه المزخرفات، فقال يا سيدي إني رأيت كشفًا عجيبا.. أني كنت أسير مع جملة فرسان إلى جهة من الجهات، وكنت من أشد الأعداء لدين المسيح، أروح وأغدو في هذا الفكر، فنـــزل عليّ المسيح وناداني من الضوء، وسمعت صوته وعرفته، فقال لم تؤذيني يا بولص؟ أتطيق أن تضرب يدك على رمح الحديد؟ فزجرني وخوّفني حتى خفت وارتعدت، فقلت: يا ربي إني تبت مما فعلت، فأْمُرْ ما أفعل بعد ذلك. فأمرني وقال: سِرْ إلى مدينة دمشق، وابحثْ فيها عن رجل اسمه أنانيا، واقصصْ عليه هذه القصة، فهو يعرّفك ما يكون عملك. فالحمد لله أني وجدتك ورأيتك على صفات عرّفني بها ربي المسيحُ. ثم قال بعد تمهيد هذه المكائد يا سيدي إني بريء من دين اليهود، فأدخِلْني في الملة المقدسة النصرانية، فإني جئتك مؤمنا ومبشرا من المسيح. فتنصّرَ على يد أنانيا، وأجابه أنانيا في كل ما طلبه وعظّمه وأشاع هذه القصة في مدينة دمشق. فأولُ أرضٍ غُرِسَ فيه◈ شجرة ربوبية المسيح هي مدينة دمشق، وغرَس بولص فيها هذه الأشجار الخبيثة وأهلك أهلها، فالنصارى كلهم أشجار بذر بولص الذي بذره في دمشق، فأراد رسول الله ﷺ أن يذكر مدينة دمشق في نبأ المسيح الموعود تنبيهًا إلى أن تلك الأرض كانت مبدأً للفساد، ومنبعًا أولاً لفتن التنصر ولجعلِ العبد

◈ *سهو، والصحيح: "فيها". (الناشر)*

إلهاً. ثم سيصل عبدٌ مُوَحّدٌ إليه في آخر الزمان لإشاعة التوحيد كما وصل بولص لإشاعة الشرك والكفر والخبث، تلبيسًا من عند نفسه، ليكون له مكانا في أعين النصارى.

فالحاصل أن دمشق كان أصلا ومنبعا لفتن المتنصرين، وكان مبدأ الفساد ومبدأ كيد الكائدين. فبشّر الله لعباده أن فتنة ألوهية المسيح تُجاح وتُزال من وجه الأرض كلها حتى من دمشق الذي كان مبدأها ومنبعها، وينتهي كمال التوحيد إليه كما ابتدأت الفتن منه. وهذا فعل الله وعجيب في أعين الذين لا يؤمنون بعجائب رحمة أرحم الراحمين.

وأما قتل الدجّال الذي هو من **علامات** المسيح.. فاعلموا أيها الأعزة أيدكم الله.. أن لفظ الدجّال ليس اسم أحد سماه أبواه به، بل هو في اللغة فئة عظيمة يقطعون نواحي الأرض سيرا، ويُغطّون الحق على الباطل ويُرُونه كالحق الخالص المحض، وينجّسون وجه الأرض بالتمويهات والتلبيسات، ويفُوقون مكرًا وكيدًا كلّ مكّار وكائد، وتعمّ الأرضَ كلها بليّاتُهم وآفاتهم. ولو كان المراد من لفظ الدجّال رجلا خاصّا لبيّن النبي ﷺ اسم ذلك الرجل الذي لُقّب بالدجّال، أعني الاسم الذي سماه والداه، وبيّن اسم والديه، ولكن لم يُبين ولم يصرّح اسم أبيه وأمه. فوجب علينا أن لا ننحت من عند أنفسنا رجلا خاصا، بل ننظر في لسان العرب، ونقدم معنى يهدي إليه لغة قريش، فإذا ثبت معناه أنه فئة الكائدين فوجب بضرورة التزام معنى

اللفظ أن نقر بأنه فئة عظيمة فاقوا مكرا وكيدا وتلبيسا أهلَ زمانهم، ونجّسوا الأرض كلها بخيالاتهم الفاسدة.

ثم إذا رجعنا إلى القرآن ونظرنا فيه.. هل هو يبين ذكر رجل خاص مسمى دجّالا، فلا نجد فيه منه أثرًا ولا إليه إشارة، مع أنه كفَل ذِكْرَ واقعات عظيمة لها دخلٌ في الدين، وقال: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾•، وقال في مقامات كثيرة إن في القرآن تفصيلَ كل شيء، ولكن لا نجد في القرآن ذكر الدجّال - الذي هو فرد خاص بزعم القوم - إجمالا، فضلا عن التفصيلات. نعم إنّا نرى أن القرآن قد ذكر صريحا فئة مفسدة في الدين، وذكر أن في آخر الزمان يكون◈ قوما مكّارين مفسدين، ينسلون من كل حدب، ويهيّجون الفتن في الأرض كأمواج البحار، فتلك هي الفئة التي سُمّيت في الأحاديث دجّالا. والله يعلم أن هذا الأمر حق وظهرت العلامات كلها. ألا ترى أنهم أشاعوا الكفر والشرك أكثر مما أشاع الكفار كلهم من وقت **آدم** إلى هذا الوقت؟ والأماكن التي مرّوا بها وتسلّطوا عليها فقد بذروا فيها بذر الكذب والفتنة والفساد والتنازعات على جيفة الدنيا وأموالها وأراضيها وعماراتها وإماراتها. وقد هيّجوا بعض الناس على بعض بلطائف الحِيَل والتدابير المُوقِعة في المجادلات، وقد أشاعوا الفسق والإلحاد والزندقة، وعلّموا أهل الدنيا

• *الأنعام: ٣٩*

◈ *يبدو أن لفظ "يكون" زيد هنا سهوًا. (الناشر)*

سِيَرًا دجّالية وفتنًا لطيفة، وما بقيت الأمانة في هذه الديار ولا الديانة ولا الصدق ولا الوفاء ولا العهد ولا الحياء ولا فِكر الآخرة إلا ما شاء رب العالمين. يتوادّون للدنيا، ويتباغضون للدنيا، ويلاقون للدنيا، ويفارقون للدنيا، ولا يستبشرون إلا بذكر الدنيا وزخارفها. وفيهم لصوص وخدّاعون وغاصبون. يتمنون موت الشركاء بل موت الآباء لمتاع قليل من الدنيا وعرضها، وأراهم من موهم غافلين.

والحاصل أن قوم النصارى قومٌ قويٌّ الهمّة في إشاعة الفتن والضلالات، وإلقاء التفرقة في الأقوام والقبائل، شديدُ الهيبة صاحب البطش وصاحب الدولة والمال الجزيل، مبدأ الفتن كلها، لا يأمنهم قريب ولا بعيد. وجدوا أهل هذه الديار كعصفور، فنتفوا من ريشهم وأكلوا من لحمهم، وتركوهم في مَكاره الدنيا وشدائدها، وجعلوهم كأنفسهم ضالين ومضلين. وقد تعسّرت عليهم تجاراهم وسوقهم وكسبهم، ونهبتْ إيمانَهم رياحُ الضلالات، وقد ضل أحداثهم ونساؤهم وذراريهم من هذه الفتن الهائجة كالطوفان العظيم. وتنصّرَ خلق كثير من سادات القوم ومن أولاد مشائخهم وعلمائهم وأمرائهم، فبعضهم ارتدوا طمعًا في أموالهم، وبعضهم طمعًا في نسائهم، وبعضهم طمعًا في الخمر وطرق الفسق والحرية النصرانية التي قد بلغت إلى الغاية، وبعضهم من الترغيب في حكومة الدنيا وسلطانها ومناصبها ولذاها وشهواها. وأمّا الذين حماهم فضل

الله وعنايته فأبرياء منهم، وقليل ما هم. فهذه مصيبة عظيمة على الإسلام، وداهية يرتعد منه° روح الكرام، ولا تَخَلُّصَ منها إلا بعناية تنــزل من السماء، لأن همم المسلمين قد تقاصرت، والمصائب عليهم قد نزلت، والمعاصي قد كثرت، أكبّوا على الدنيا وزخارفها، وأكثرهم هلكوا مع الهالكين.

فلا تكن من الممترين في كون النصارى دجّالا معهودا ومظهرا عظيما للشيطان. وانظرْ إلى فتنتهم وسحرهم وتسخيرهم المياهَ والأدخنة والجبال والبحار والأنهار، وإخراجِهم خزائن الأرض ومكائدهم وإضلالاتهم، هل تجد نظيرهم في الأولين والآخرين؟

وأمّا قول بعض علماء الإسلام إن المسيح الموعود يُحارب النصارى، ولا يرضى إلا بقتلهم أو إسلامهم، فهذا افتراء على كتاب الله ورسوله. فإنّا إذا نظرنا الصحاح بنظر الإمعان فما وجدنا أثره فيها، ونعلم مستيقنًا أن العلماء اخطأوا في فهم تلك الأحاديث، ووضعوا الألفاظ في غير موضعها. ألم يعلموا أن القرآن لا يصدّق هذا البيان.. والبخاري الذي هو أصحّ الكتب بعد كتاب الله يكذّبه بالبيان الصريح؟ وقد جاء فيه حديثٌ ذُكِر فيه أن عيسى يضع الحرب، فهذه إشارة صريحة إلى أنه لا يحارب بالسيف والسنان. ثم أَنصِفوا – رحمكم الله – أن النصارى لا يحاربون المسلمين لإشاعة

° *سهو، والصحيح: "منها". (الناشر)*

دينهم في زماننا هذا، ولا يصُدّونهم عن دين الله بأيديهم، فكيف يجوز للمسلمين أن يحاربوهم مع كونهم ممنوعين؟

بل الدولة البرطانية محسنةٌ إلى المسلمين، والملكة المكرّمة التي نحن رعايا لها يرجَح الإسلامُ في باطنها على ملل أخرى، بل سمعنا أزيد من هذا، ولكن لا نرى أن نذكرها. فالحاصل أنها كريمة، وألقى الله في قلبها حب الإسلام، فلهذا السبب جعلها الله مواسية للمسلمين، حتى إنها تحب أن يُشاع الإسلام في بلادها، وتقرأُ بعض كتب لساننا من مسلم آواه° عندها، وسُرّتْ بشيوع ديننا في بلادها المغربية، بل أسلمت طائفةٌ من قومها في بلدة قريبة من دار دولتها، فرحمتْهم وأحسنت إليهم، وأشاعت كتبهم في أقاربها، وتريد أن تؤوي بعضهم في أعزة أمرائها، وأمرتْهم **أن يعمّروا مساجد** لعبادتهم ويعبدوا ربهم آمنين.

ونحن نعيش تحت ظلها بالأمن والعافية والحرية التامة. نصلي ونصوم، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونردّ على النصارى كيف نشاء، ولا مانع ولا حارج ولا مزاحم، وهذا كله من حسن نيتها وصفاء قلبها وكمال عدلها. ووالله لو هاجرنا إلى بلاد ملوك الإسلام لما رأينا أمنًا وراحةً أزيدَ من هذا. وقد أحسنتْ إلينا وإلى آبائنا بآلاء لا نستطيع شكرها. ومن أعظم الإحسانات أنها وأمراءها

° *سهو، والصحيح: "آوته". (الناشر)*

لا يُداخلون في ديننا مثقال ذرّة، ولا يمنعنا أحد منهم من فرائضنا وسُنننا ونوافلنا وردِّنا على مذهب قومهم، ولا يبخلون في النعماء الدنيوية، وإنهم لمن العادلين.

فلا يجوز عندي أن يسلك رعايا الهند من المسلمين مسلك البغاوة، وأن يرفعوا على هذه الدولة المحسنة سيوفهم، أو يعينوا أحدا في هذا الأمر، ويعاونوا على شر أحد من المخالفين بالقول أو الفعل أو الإشارة أو المال أو التدابير المفسدة، بل هذه الأمور حرام قطعي، ومن أرادها فقد عصى الله ورسوله وضل ضلالا مبينا. بل الشكر واجب.. ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله. وإيذاء المحسن شر وخبث وخروج من طريق الإنصاف والديانة الإسلامية، والله لا يُحب المعتدين.

نعم إن علماء النصارى يفسدون في الأرض باتخاذهم العبد إلهًا ودعوتِهم إلى طاغوتهم وإشاعتهم مذهب التنصر في الأكناف والأقطار والقريب والبعيد، ولكن لا شك أن ذيل هذه الدولة منـــزه عن مثل هذه الأمور وتحريكاتها، وما أظن أن أحدا من عقلائهم يعتقد بأن عيسى إله في الحقيقة، بل يضحكون على مثل هذه الاعتقادات ويميلون إلى الإسلام يوما فيوما. بل إنّا نرى أن في دار دولة الملكة المكرّمة قد هبت رياح نفحات الإسلام، ونرى الناس يدخلون فيه أفواجا في كل سنة، ويردّون على النصارى بالحرية التامة. وأن أمراءها الذين أُرسِلوا إلى ديار الهند لنظمها ونسقها لا

يظلمون الناس كظلم الجبارين، ولا يستعجلون في فصل القضايا، وينظرون إلى رعاياهم بعين واحدة، ولا يظلمون الناس، ويعيش كل قوم تحتهم آمنين.

والذين من القسّيسين يدعون إلى الإنجيل وتعاليمه الباطلة المحرفة، فهم لا يظلموننا بأيدينا*، ولا يرفعون السيف علينا، ولا يقتلون لمذهبهم قومنا، ولا يسْبون ذرارينا، ولا ينهبون أموالنا، بل يصل شرهم إلينا من طريق التأليفات المفسدة، والتقريرات المضلة، وتوهين سيدنا ونبينا ﷺ، والردِّ على الفرقان الكريم وتعليمه. والدولة البرطانية لا تعينهم في أمر من الأمور، ولا ترجحهم على المسلمين، بل نرى أن هذه الدولة العادلة قد أعطت كل قوم حرية تامة، وأجازهم إلى حد القانون، فيفعل الناس برعاية قانونهم ما يشاءون، ويرد كل مذهب على مذهب آخر، وتجري المناظرات في هذه الديار كأمواج البحار، والدولة لا تداخل فيهم وتتركهم مجادلين. ثم لم أزلْ أتحدق في هذا السر الغامض.. أعني في أن الله تعالى لِمَ لَمْ يُرسل المسيح الموعود بالسيف والسنان، بل أمره للرفق والغربة والتواضع ولين القول والمجادلة بالحكمة والمداراة وحسن البيان، بل منعه أن يزيد على ذلك، فكنتُ أُفكر في هذا الأمر حتى كشف الله عليّ هذا السرّ، فعلمت أن الله تبارك وتعالى لا يُرسل مصلحا.. رسولا كان

* *سهو، والصحيح: "بأيديهم". (الناشر)*

أو مجددا.. إلا بإصلاحات اقتضتْها كوائفُ مفاسد الزمان وأهل الأرضين. فقد يتفق أن الناس مع شِركهم وفساد عقيدتهم يكونون قوما جبّارين معتدين فاسقين، يظلمون الضعفاء ويُعادون أهل الحق عداوةً منجرّة إلى القتل والنهب والسبي، ويسفكون دماءهم، وينهبون أموالهم، ويسْبون ذراريهم، ويعثون في الأرض مفسدين. ويعطيهم الله ابتلاءً من عنده قوةً في الجسم، وكثرة في المال، وإمارة في الأرض، فيكفُرون نعم الله، ولا يتوجّهون إلى وعظِ واعظ، ولا نداءِ مناد، ولا إلى أسرارِ حكمة تخرج من أفواه الحكماء، بل عندهم جوابُ كلِّها السيفُ أو الرمح. ويعيشون كالأنعام أو كالسكارى، ولهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، ولهم أعين لا يُبصرون بها، ويتكبرون بما أعطاهم الله من مُلك ورياسة ومال وثروة، ويؤذون الذين يدخلون في دين الله وكادوا يقتلونهم، ويصدّون عن سبيل الله مستكبرين. ويتعامون بعد رؤية الآيات ومشاهدة البينات، وقد تمّت عليهم حُجّة الله فلا يبالونها، بل يزيدون في الظلم والعصبية وحمية الجاهلية والقساوة وإيذاء المبلّغين. فيغضب الله غضبا شديدا على تلك الأقوام، ويريد أن يفكّ نظامهم، ويجعل أعزّتَهم أذلّةً، ويُنـــزل عليهم عذابا من الأرض أو من السماء، أو يجعلهم شِيَعًا ليذيق بعضَهم بأسَ بعض، ويأمرُ رسولَه ليؤدّبهم بالسيف والسنان، ويستخلص المسلمين منهم ويكسر هامة الظالمين. فيقتل الرسولُ المأمور قتلا مهيبا، ويُثخن في الأرض إثخانا عجيبا،

حتى يضعف المستكبرون ويتقوّى المستضعفون، ويُبدّلهم الله من بعد خوفهم أمنًا، فيعبدونه مطمئنين، ويدخلون في دينه آمنين. وإن تطلب نظير هذا النوع من الفساد فتجد في زمان كليم الله وخاتم النبيين.

وقد يتفق أن الناس يضيّعون دينهم وديانتهم، ولكنهم لا يقاتلون أنبياء الله ومرسليه للدين، ولا يفسدون في الأرض بالسيف والسّنان، بل بتقارير المُضلّةِ وزيغ البيان، ولا يريدون أن يُبطلوا شعائر الإسلام بالرماح والسهام، بل بالمكائد وسحر الكلام، ولا يؤذون طالب الحق إذا أراد أن يقبل الحق، وكذلك يفعلون لوجه من الوجهين: **أحدهما** إذا كانت تلك الأقوام الذين أُرسل إليهم رسول أو مُحدَّثٌ ضعفاءَ غير قادرين على إيذاء أحد، فلا يظلمون المرسلين لعدم قدرة الظلم وفقدان أسباب البطش والقتل والسفك، ويرى الله أنهم مع خبث نفسهم وكثرة مكائدهم، لا يستطيعون أن يؤذوا أحدًا ويظلموا مُصلحا، ويرى أنهم مستضعفون مغلوبون. وقد يكون سبب هذا الضعف مشاجرات وقعت بينهم وسلبت طاقتهم، وقد يكون سببه استيلاء قوم آخرين، وقد يجتمعان فيزيدان عجزا وضعفا. **وثانيهما**: إذا كانت تلك الأقوام مهذبين مع كونهم ملوكا وسلاطين، فلا يمنعون رُسُلَ الله من دعواتهم ولا يظلمون ولا يؤذون، بل تكون حكومتهم حكومة الأمن ولا يعثون في الأرض ظالمين سفّاكين، صادّين عن سُبل الله، ولا يسلّون السيوف لإشاعة

الباطل كالمعتدين، بل يكيدون ويمكرون، ويدعون الناس إلى دينهم بلطائف الحِيل، ويفسدون النفوس ولا يؤذون الأجسام، بل يتركون الناس منعمين. وإن تطلب نظير هذا النوع من الأقوام فتجد في زمان عيسى عليه السلام، لأن عيسى أُرسل إلى قوم قد مُزّقوا كل ممزّق من قبل مجيئه، وضُربت عليهم الذلة والمسكنة، واضمحلت رياساتهم وبطلت إماراتهم، وكانت الدولة الرومية لا تداخل في دين اليهود، فما رأى عيسى عليه السلام أن يُقاتلهم، لأن المرسلين يدعون بالرفق والحلم والرحمة، ولا يرفعون السيف إلا على الذين يرفعون عليهم، ويصلحون فساد العقل بالعقل، وفساد السيف بالسيف، ويداوون كل مرض كما يليق وينبغي: السيف بالسيف والكلام بالكلام، ولا يحبّون أن يكونوا من المعتدين.

وكذلك أُرسلتُ **مجدِّدًا محدَّثًا** لآخر الزمان، ووجدتُ أعداء دين الإسلام لا يقاتلون المسلمين للدين، وما سلّوا سيوفا وما قوَّموا رماحا لإشاعة دينهم، بل يُشيعون دينهم بالمكائد والحِيل العقلية، وتأليفِ الكتب المضلِّة المغلِّطة، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين. فما كان الله أن يسلّ عليهم السيف، وكيف يقتل الله قوما لا يبارزون بالسيوف، بل يطلبون الدلائل كالفيلسوف؟ ومع ذلك إنهم قوم غافلون، جاءوا من أقصى البلاد لا يعرفون شيئا من حقائق القرآن وأنواره ولطائفه ودقائقه، وقد نشأوا في الديار البعيدة من الإسلام، فلما لاقوا المسلمين ووردوا في ديارنا وجدوا المسلمين في

أنواع الظلام من الآثام، فقست قلوبهم برؤية المبتدعين، وكانوا من كلام الله غافلين. وما آذونا وما قتلونا وما سعوا في الأرض سفاكين. فلا يرضى عقل سليم وفهم مستقيم، أن ندفع الحسنة بالسيئة، ونؤذي قوما أحسنوا إلينا، ونرفع السيف على أعناقهم قبل أن نتم الحجة على قلوبهم، وقبل أن نسكّتهم بالبراهين العقلية والآيات السماوية، وقبل أن يظهَر أنهم عصوا عمدًا بعدما رأوا الآيات وبعدما تبين الرشد من الغي. فلو نترك الرحم والرفق والمداراة ونقوم عليهم سفاكين جبارين، فلا يكون ذنب أكبر منه، وإذًا كنّا أخبث الظالمين.

فهذا هو السبب الذي أرسلني الله تعالى على قدم المسيح. فإنه رأى زماني كزمانه، وقوما كقومه، ورأى النعلَ طابَقَ بالنعل، فأرسلَني قبل عذاب من السماء لأنذر قوما ما أُنذرَ آباؤهم ولتستبين سبيل المجرمين. وأنت ترى أن أكثر المسلمين اتبعوا شهواتهم، وأضاعوا الصوم والصلاة، وقست قلوبهم، وفسدت طبائعهم، وما بقي فيهم إلا اسم الإسلام ورسمُ الدخول في المساجد، ولا يعلمون ما الإخلاص وما الذوق وما الشوق، وكثير منهم يزنون ويشربون الخمر ويكذبون، ويحبون المال حبا جما، ويعملون السيئات، ويؤثرون البدعات على هدي رسول الله ﷺ، فكيف الكافرون الغافلون الذين لا يعلمون شيئا ولا يعقلون، ولا يتكلمون إلا كغطيط النائم، وما يدرون ما سبل الإسلام وما البراهين! فظهر من

ههنا أن العقيدة التي استحكمت في قلوب العوام أن **المهدي والمسيح** يظهران في آخر الزمان ويقتلان كل من لم يسلم، ليس بشيء، بل إنه لخطأ مبين.

أيُفتي العقل السليم أن الله، الذي هو الرحيم والكريم، يأخذ الغافلين في غفلتهم، ويُهلكهم بالسيف أو عذاب السماء، ولَمَّا يفهموا حقيقة الإسلام وبراهينه ولم يعلموا ما الإيمان ولا الدين؟ ثم إذا كان مدار الرحم والشفقة إزالةَ آفة قد أحاطت وكثرت، فكيف يجوز علاج مفاسد الأقلام بالسيوف والسهام؟ بل هذا إقرار صريح بأننا لا نقدِر على الجواب، وليس عندنا جواب الأدلّة المضلّة إلا ضرب السيف البتّار وقتل الكفّار. وكيف يطمئن قلب المعترض الشاكّ الغافل بضرب من السيف أو السوط أو جرح من الرمح والسهم، بل هذه الأفعال كلها تزيد ريب المرتابين.

ثم اعلم أن غضب الله ليس كغضب الإنسان، وهو لا يتوجّه إلا إلى قوم قد تمّت الحجّة عليهم، وأزيلت شكوكهم، ودُفعت شبهاتهم، ورأوا الآيات ثم جحدوا مع استيقان القلب، وقاموا على ضلالاتهم مبصرين. والعجب من إخواننا أنهم يعلمون أن عذاب الله لا ينــــزل على قوم إلا بعد إتمام الحجة، ثم يتكلمون بمثل هذه الكلمات. والعجب الآخر أنهم ينتظرون المهدي مع أنهم يقرأون في صحيح ابن ماجه والمستدرك حديث: "لا مهدي إلا

عيسى"، ويعلمون أن الصحيحين قد تركا ذِكره لضعفِ أحاديث سُمعت في أمره، ويعلمون أن أحاديث ظهور المهدي كلها ضعيفة مجروحة، بل بعضها موضوعة، ما ثبت منها شيء، ثم يُصرّون على مجيئه كأنهم ليسوا بعالمين.

وأما الاختلافات التي وقعت في خبر نزول المسيح، فالأصل في هذا الباب أن الأخبار المستقبلة المتعلقة بالدنيا لا تخلو عن الابتلاء، وكذلك يريد الله منها فتنةَ قوم واصطفاء قوم، فيجعل في مثل هذه الأخبار استعاراتٍ ومجازات، ويُدقّق مأخذها ويجعلها غامضة دقيقة فتنةً للذين يُكذّبون المرسلين، ويظنون ظن السوء كالمستعجلين. ألا ترى إلى اليهود كيف شَقُوا في ردِّ الرسول الصادق الذي جاء كطلوع الشمس مع وجود خبر مجيئه في كتبهم. ولو شاء الله لكتب في التوراة كل ما يهديهم إلى صراط مستقيم، ولأخبرهم عن اسم خاتم الأنبياء ﷺ وعن اسم والده واسم بلدته وزمان ظهوره واسم صحابته واسم دار هجرته، ولكتب صريحا أنه يأتي من بني إسماعيل، ولكن ما فعل الله كذلك بل كتب في التوراة أنه يكون منكم من إخوانكم، فمالت آراء اليهود إلى أن نبي آخر الزمان يكون من بني إسرائيل، ووقعوا من هذا اللفظ المجمل في ابتلاء عظيم، فهلك الذين ما نظروا حق النظر، وظنوا أن يخرج النبي من قومهم ومن بلادهم، وكذّبوا خاتم النبيين.

واعلم أن هذه السُنّة ليست من قبيل الظلم بل من جميل إحسانات الله على عباده الصالحين، لأنهم يُبتلون عند الأنباء النظرية الدقيقة بابتلاء دقيق من ربهم، ثم يعرفون بنور عقلهم ولطافة فراستهم الصراطَ المستقيم، فيتحقق لهم الأجر عند ربهم، ويرفع الله درجاتهم، ويميّزهم من غيرهم ويُلحقهم بالواصلين. ولو كان الخبر مشتملا على انكشاف تام وعلامات بديهة واضحة لجاوز الأمر من حدّ الإيمان، ولأقرّ به المفسد المعاند كما أقرّ به المؤمن المطيع، وما بقي على وجه الأرض أحد من المنكرين. ألا ترى أن أهل المِلل والنِّحل كلهم مع اختلافاتهم الكثيرة لا يختلفون في أن الليل مظلم والنهار منير، وأن الواحد نصف الاثنين، وأن لكل إنسان لسان* وأذنين، وأنف* وعينين، ولكن الله ما جعل الإيمانيات من البديهيات، ولو جعل لضاع الثواب وبطل العمل، فتَفكّرْ فإن الله يهدي المتفكرين. ومن كان عالما صالحا مجتهدا في طلب الحق ينوِّر الله قلبَه، ويُريه طريقه، ويعطيه فراسة من عنده، وإن الله لا يضيع أجر المحسنين. والذين كفروني ولعنوني ما تدبروا في كتاب الله حق التدبر، وظنوا ظن السوء، وما تفكروا في أنفسهم أن العاقل لا يختار السوء والضلالة لنفسه، ولا يفتري على الله، وكيف يختار طريقا ويعلم أن فيه هلاكه؟ وأي شيء يحمله على ذلك الوبال

---

* سهو، والصحيح: "لسانا" و "أنفا". (الناشر)

مع علمه أنه طريق الخسران في الدنيا والآخرة؟ ولا يخفى على أعدائي أني امرؤ قد نفد عمري في تأييد الدين حتى جاءني الشيب من الشباب، فكيف يظن عاقل أن أختار الكفرَ والإلحاد في كبر سني ووهن جسمي وقربي من القبر؟ سبحان ربي! إن هذا إلا ظلم مبين. وها أنا بريء من بهتانهم، وما أجد عند النظر في عقائدي من سريان الوهم بهذا، والله يعلم ما في قلبي وقلوبهم، وتوكلت عليه. وما حمل عقلاءهم على مخالفتي إلا حبُّ الدنيا وناموسها، والحسدُ الذي لا ينفكّ من أكثر العلماء إلا من حفظه الله برحمته. وقد جرت عادة أكثر العلماء هكذا أنهم إذا رأوا رجلا يقول قولا فوق أفهامهم فلا يتفكرون فيه، ولا يسألون القائل ليبين لهم حقيقته، بل يشتعلون بمجرد السماع، ويكفرونه في أول مجلس، ويلعنونه ويُكثرون القول فيه، وكادوا أن يقتلوه مشتعلين. وقال الله عز وجل: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾●.

والأمر الحق الذي يعلمه الله أن المسلمين كانوا في هذا الزمان كأفراخ العصافير ما بلغوا أشُدَّهم الروحانية، وسقطوا من أكنانهم وأوكارهم وأعشاشهم، فأراد الله أن يجمعهم تحت جناحي، ويذيقهم حلاوة الإيمان، ولذةّ أُنس الرحمن، ويجعلهم من العارفين. فمن كان عاقلا طالبا للنجاة فليبادرْ إليّ، ولا يُبادرُ إليّ إلا الذي

● يس: ٣١

يخاف الله وينبذ الدنيا من أيديه وعِرضها وناموسها، ويبادر إلى الآخرة، ويرتضي لنفسه كل لعن وطعن، وأقوال الأعداء وهجر الأحباء، وسبّ السّابّين.

التنبيـــه

اعلم يا أخي.. أراك الله من عنده طرق الصواب.. أن الذين يعتقدون نزول عيسى عليه السلام وصعوده بجسمه العنصري إلى السماء قد يستدلّون على حياته بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾◈، والله يعلم أنهم خاطئون في هذا الاستدلال وإن هم إلا يظنون، ويُضلّون الناس بغير علم، ثم ينهضون لإيذاء أهل الحق بألسنة حداد، ولا يخافون الله ويسمّون المؤمنين كافرين. إنما مثلهم كمثل قوم اتخذوا مسجدا ضِرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين.

وأنت تعلم أنّا لو فرضنا أن اليهود كلهم يؤمنون بعيسى عليه السلام قبل موته كما فهموا من هذه الآية للزم المحال الصريح من هذا المعنى، وللزم أن يبقى بني• إسرائيل كلهم إلى نزول عيسى عليه السلام أحياء سالمين، لأن أمر إيمان اليهود كلهم لا يتم بحياة المسيح فقط، بل يجب لإتمامه حياةُ كفّار بني إسرائيل كلهم من أول الزمان إلى يوم القيامة، ومع ذلك يجب حياة المسيح إلى يوم الدين. ومعلوم أن كثيرا من اليهود قد ماتوا ودفنوا ولم يؤمنوا بعيسى عليه السلام، فكيف يستقيم أن يُقال أن اليهود كلهم يؤمنون بالمسيح قبل موته؟ فلا

◈ *النساء: ١٦٠*

• *سهو، والصحيح: "بنو". (الناشر)*

شك أن هذا المعنى بديهي البطلان وظاهر الفساد ولا سبيل إلى صحته، فتفكر إن كنت من المتفكرين.

ثم إذا نظرنا نظرا آخر وتأملنا في قولهم وعقيدهم واتفاق ندوهم على أن الموجودين في زمان نزول المسيح يدخلون في دين الإسلام كلهم ولا تبقى نفس واحدة منهم منكرة للإسلام، وتهلك المِلل كلها إلا الإسلام، فما وجدنا هذه العقيدة موافقة لتعليم القرآن، بل وجدناها مخالفة لقول رب العالمين؛ فإن القرآن يعلّم بتعليم واضح، ويشهد بصوت عال على أن اليهود والنصارى يبقون إلى يوم القيامة كما قال ﷻ: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾●. ومعلوم أن وجود العداوة والبغضاء فرعٌ لوجود المعاندين والمباغضين، ولا يتحقق إلا بعد وجودهم. ولقد وصّلْنا لهم القول وقلنا غير مرة لعلهم يتذكرون أو يكونون من الخائفين. فكيف نؤمن بأن أهل الملل كلها تهلك في وقت من الأوقات؟ أنكفر بآيات كتاب مبين وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾◈، وقال: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾○. ومعلوم أن كون اليهود مغلوبين إلى يوم القيامة يقتضي وجودهم وبقاءهم وكفرهم إلى يوم الدين. ومعلوم أن كل ما يُعارض أخبارَ القرآن ويُخالفه فهو كذب صريح وليس من

● المائدة:١٥ ◈ المائدة:٦٥ ○ آل عمران:٥٦

أحاديث أصدق الصادقين. بل المراد من هلاك الملل كلها هلاكهم بالبينة، ولا شك أنه من هلك من البينة فقد هلك، ومن أتم الحجة على أحد فقد أهلكه، فتفكر كالمتوسمين.

واعلم أن حديث هلاك المِلل صحيح، ولكن أخطأ العلماء في فهمه، وما فهموا من هلاك أهل الأديان فهو ليس بصحيح، بل المعنى الصحيح هو الذي يشير إليه القرآن في آية: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾*، فقد أشار في هذه الآية إلى غلبة دين الإسلام على كل مذهب ودين. وأنت تعلم أن دينًا إذا صار مغلوبا مقهورا فهو نوع من هلاك أهله بسلطان مبين. فثبت من هذا التحقيق أن تأويل آية ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ بنحوٍ ذَكَرَه العلماءُ تأويلٌ فاسد، وقد بلغك كلام رب العالمين.

وأما ما رُوِيَ في البخاري عن **أبي هريرة** رضي الله عنه في هذا الباب، فلا تحسبه شيئا يُتوَجّه إليه، وعندنا كتاب الله فلا تطلب الهدي من غيره، فترجع بالخيبة ولن تكون من المهتدين. قال صاحب التفسير **المظهري** إن أبا هريرة صحابي جليل القدر، ولكنه أخطأ في هذا التأويل، ولا يوجد في حديث ما يؤيد زعمه، ولا نرى مستفادًا من الآية ما فهمه، فلا شك أنه خالفَ الحق المبين.

---

* *الصف: ١٠*

وما ثبت أن مأخذ قوله من مشكاة النبوة والسُنّة المطهرة، بل هو رأي سطحي، وكان ﷺ كثير الخطأ في بعض اجتهاداته كما ثبت خطؤه في حديث ذكره البخاري في صحيحه، قال حدثني **عبد الله** بن محمد قال **حدثنا** عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن مسيب عن أبي هريرة قال إن النبي ﷺ قال: ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسّه حين يولد، فيستهلّ صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها، يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم: ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾. هذا ما زعم أبو هريرة، ولكن الذي اغترف شيئا من بحر كلام الله فيعلم بالبداهة أن هذا الزعم فاسد، ويعلم أن أبي* هريرة استعجل في هذا الرأي، وما أرصد نفسه لشهادة بينات القرآن. ألم يعلم أن الله تعالى جعل نبينا أول المعصومين؟ وقد طعَن **الزمخشري** في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته، وكيف يجوز أن نخص ابن مريم وأُمَّه في العصمة من مسّ الشيطان وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾،○ وقال: ﴿وسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾؟◈ وما معنى السلام إلا الحفظ والعصمة؟ وقال: ﴿إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾●. فلا يصح هذا الحديث إلا أن نريد من ابن مريم وأُمّه معنى عاما، ونقول إن كل تقيّ ونقيّ كان في صفتهما

* سهو، والصحيح: "أبا". (الناشر)

○ الحجر:٤٣ ◈ مريم:١٦ ● الحجر:٤١

فهو ابن مريم وأمه، وإليه أشار الزمخشري رحمه الله. ولا يُستبعد هذا التأويل، فإن الأنبياء قد يتكلمون في حُلل المجازات والاستعارات، ومثل ذلك كثير في كلام سيدنا ومولانا خاتم النبيين، ومن هذا الباب قوله ﷺ إن عيسى ابن مريم لينـــزلن فيكم، يعني يُبعث رجل منكم على صفته فينـــزل منـــزلة عيسى. فما فهِم أكثر الناس معنى هذين الحديثين، واعتقدوا أن عيسى الذي كان نبيًّا من بني إسرائيل ينـــزل من السماء، وإنْ هذا إلا خطأ مبين.

ثم القرينة الثانية على خطأ أبي هريرة في آية: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ ما جاء في قراءة أُبَيّ بن كعب.. أعني: موقم، فإنه يقرأ هكذا: "وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موقم"، فثبت من هذه القراءة أن ضمير لفظ ﴿موته﴾ لا يرجع إلى عيسى عليه السلام، بل يرجع إلى أهل الكتاب. فإلى أي ثبوتٍ حاجةٌ بعد قراءة أُبَيّ بن كعب لقوم طالبين؟

ثم مع ذلك قد اختلف أهل التفسير في مرجع ضمير ﴿بِهِ﴾، فقال بعضهم إن هذا الضمير الذي يوجد في آية ﴿لَيُؤْمِننَّ بِهِ﴾ راجع إلى نبينا ﷺ، وهذا أرجح الأقوال. وقال بعضهم إنه راجع إلى الفرقان، وقال بعضهم إنه راجع إلى الله تعالى، وقيل إنه راجع إلى عيسى، وهذا قول ضعيف ما التفت إليه أحد من المحققين. فيا حسرة على أعدائنا المخالفين! إنهم يتركون القرآن وبيّناته، بل قلوبهم في غمرة

من هذا ويقولون بإخوانهم● إنّا نتبع أخبار رسول الله ﷺ، وليسوا بمتّبعين، بل يتركون أقوالا ثابتة من رسول الله ﷺ، ويبدّلون الخبيث بالطيب، ويكتمون الحق وكانوا عارفين.

إنما مثلهم كمثل سَبُعٍ اعتاد أكل الميتة، فلا يتوجه إلى الأغذية اللطيفة النظيفة من الثمرات وسواها، ويسعى في البراري لها ويحتفر القبور ويطلب كل جيفة من حمار أو كلب أو خنــزير، فإن وجدها فيكون بها أصفى فرحا، وأوفى مرحا، ولا يفارقها بطرد الطاردين. ألا يعلمون أن لفظ التوفّي الذي يوجد في القرآن قد استعمله الله للموتى الذين خلوا من قبله أو ماتوا من بعده؟ أو لم يكفِ شهادةُ رب العالمين؟ أو لم يكفِ لهم ما اعتاده العرب إلى هذا الوقت؟ وإذا قيل لجاهل أُمِّيّ من العرب أن الفلاني تُوفي فيعرف أنه مات. فانظرْ، أما ترى هذه المحاورة جارية فيهم؟ ثم انظرْ أنهم كيف فرّوا معرضين.

وقال بعضهم أن آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ حقٌّ، ولا شك أنها يدلّ* على وفاة عيسى عليه السلام بدلالة قطعية، وإنه مات وإنّا نؤمن به، وكتبُ التفسير مملوءة من هذا البيان، ولكنه عليه السلام ما بقي ميتًا بل بُعِثَ حيًّا بعد ثلاثة أيام أو سبع ساعات، ثم رُفع إلى السماء بجسده العنصري، ثم ينــزل في آخر الزمان على الأرض ويمكث أربعين

● سهو، والصحيح: "لإخوانهم". (الناشر)

* سهو، والصحيح: "تدلّ". (الناشر)

سنة، ثم يموت مرة ثانية ويُدفن في أرض المدينة في قبر رسول الله ﷺ. فحاصل كلامهم أن للخَلق كلهم موت واحد⊙ وللمسيح موتين. ولكننا إذا نظرنا في كتاب الله سبحانه فوجدنا هذا القول مخالفا لنصوصه البينة. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى قال في كتابه المحكم حكايةً عن مؤمن مغبطًا نفسه بما أعطاه الله من الخُلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة بلا موت: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إلا موتَتَنا الأُولى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾●.

فانظر أيها العزيز.. كيف أشار الله تعالى إلى امتناع الموت الثاني بعد الموتة الأولى، وبشّرَنا بالخلود في العالم الثاني بعد الموت، فلا تكن من المنكرين. وأنت تعلم أن الهمزة في جملة: ﴿**أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ**﴾ للاستفهام التقريري، وفيها معنى التعجب، والفاء ههنا للعطف على محذوف، أي: أَنَحْنُ مخلّدون مُنعَمون مع قلة أعمالنا وما نحن بميتين؟

واعلم أن هذا سؤال من أهل الجنة حين يسمعون قول الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾◈، كما رُوِيَ عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿هَنِيئًا﴾، فعند ذلك يقولون ﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى﴾. واعلم أن قولهم هذا يكون على طريقة الابتهاج والسرور.

⊙ سهو، والصحيح: "موتا واحدا". (الناشر)

● الصافات: ٥٩-٦١ ◈ المرسلات: ٤٤

ثم اعلم أن الاستثناء ههنا مُفرَغ، وقيل منقطع بمعنى لكن. وفي كل حالٍ يثبت من هذه الآية أن أهل الجنة يُبشَّرون بالدوام والخلد ويُبشَّرون بأن لهم **لا موت** إلا موتتهم الأولى. وهذا دليل صريح على أن الله ما جعل لأهل الجنة موتين، بل بشّرهم بالحياة الأبدية بعد الموت الذي قد قُدّرَ لكل رجل.

وقال في آخر هذه الآية: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، فأشار إلى أن دوام الحياة وعدم الموت مع نعيم وسرور وحبور من التفضلات العظيمة. فإذا تقرر هذا فكيف يُتصَوَّر ويُظَنُّ أن نبيا كمثل عيسى.. مع كونه من المقربين.. محروم من هذا التفضل العظيم؟ وكيف يُتصَوَّرُ أن الله يُخلِف وعده ويردّه إلى الدنيا وآلامها وآفاتها ومصائبها وشدائدها ومراراتها، ثم يُميته مرة ثانية، سبحانه هذا بهتان عظيم. وما كان لأحد أن يعود لمثله بعدما اطّلع على خطئه إن كان من المؤمنين.

وإن الأنبياء لا يُنقَلون من هذه الدنيا إلى دار الآخرة إلا بعد تكميل رسالات قد أُرسِلوا لتبليغها، ولكل برهة من الزمان مناسبة بوجود نبي، فيُرسَل كل نبي برعاية المناسبات، وإلى هذا إشارة في قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنْ رَّسولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾●. فلو لم يكن لرسولنا ﷺ وكتاب الله القرآن مناسبة لجميع الأزمنة الآتية وأهلها

● *الأحزاب: ٤١*

علاجا ومداواة.. لما أُرسِل ذلك النبي العظيم الكريم لإصلاحهم ومداواتهم للدوام إلى يوم القيامة. فلا حاجة لنا إلى نبي بعد محمد ﷺ، وقد أحاطت بركاته كلَّ أزمنة، وفيوضُه واردةٌ على قلوب الأولياء والأقطاب والمحدَّثين، بل على الخَلق كلهم، وإن لم يعلموا أنها فائضة منه، فله المنّة العظمى على الناس أجمعين.

والذين كثر عليهم فيضان العلوم والمعارف من هذا النبي الرسول الأُمّيّ، فمنهم قوم توجّهوا إلى كتاب الله والتدبر فيه واستنباطِ دقائقه، وقوم آخرون كانت همّتهم أَخْذَ العلوم من الله تبارك وتعالى، فهم الحكماء المحدَّثون أهلُ الحكمة الربّانية. وكل يأخذون من تلك العين المباركة، ويُرَبّون من فيوضه إلى يوم الدين. وإلى هذا أشار الله ﷻ في قوله: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾[⊙]، يعني يُزكّي النبيُّ الكريم آخرين من أمته بتوجّهاته الباطنية كما كان يُزكّي صحابته، فتفكرْ في هذه الآية واستعذ بالله من شر كل مستعجل ولو كان عندك له كرامة وعزازة أو كان من عشيرتك الأقربين. ولن تجد في الأرض أحدا من الصالحين أن يتبدّى مُرشدًا وما تفوّقَ من كأس النبي ﷺ. فدَعْ عنك الالتفاتِ إلى غيره نبيًّا كان أو من المرسلين. وعليك أن تقبل ما قيل، وتتحامى القال والقيل، واعلم أنه خاتم

[⊙] الجمعة: ٤

الأنبياء، ولا يطلع بعد شمسه إلا نجم التابعين الذين يستفيضون من نوره. هو منبع الأنوار، وكاد يحل نوره بساحة قوم منكرين.

ثم نرجع إلى كلماتنا الأولى ونقول إن الآية التي ذكرناها آنفا.. أعني قوله تعالى: ﴿إلا مَوْتَتَنَا الأُولَى﴾، قد استدل بها الخليفةُ الأول أبو بكر الصدّيق ﷺ إذا تُوفّيَ رسول الله ﷺ واختلف الناس في وفاته، وقال عمر ما مات رسول الله ﷺ بموت حقيقي، بل يأتي مرة ثانية في الدنيا ويقطع أنوف المنافقين وأيديهم وآذاهم، فأنكره الصدّيق ومنَعه من ذلك، ثم بادرَ إلى بيت عائشة رضي الله عنها وأتى رسولَ الله ﷺ، وكان ميتًا على الفراش، فنـــزَع عن وجهه الرداء وقبّله وبكى، وقال: إنك طيب حيا وميتا، لن يجمع الله عليك الموتين إلا موتتك الأولى. فرد بذلك القول قولَ عمر، وكان مأخذُ قولِه قولَه تعالى: ﴿إلا مَوْتَتَنَا الأُولَى﴾. وكانت لأبي بكر ﷺ مناسبة عجيبة بدقائق القرآن ورموزه وأسراره ومعارفه، وكان له ملكة كاملة في استنباط المسائل من القرآن الكريم، فلذلك هُدِيَ قلبه إلى الحق وفهِم أن الرجوع إلى الدنيا موتة ثانية، وهي لا يجوز° على أهل الجنة بدليل قوله تعالى حكايةً عن أهلها: ﴿إلا مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾. فإن رجوع أهل الجنة إلى الدنيا ثم موهم وورود آلامِ السكرات والأمراض عليهم نوعٌ من التعذيب، وقد نجّى الله

° سهو، والصحيح: "تجوز". (الناشر)

إياهم من كل عذاب، وآواهم عنده بإعطاء كل حبور وسرور من يوم انتقالهم إلى الدار الآخرة، فكيف يمكن أن يرجعوا إلى دار التعذيبات مرة ثانية؟ فهذا معنى قول أهل الجنة: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾●.

فحاصل الكلام.. أن أبا بكر الصدّيق ردَّ بهذه الآية قولَ عمر رضي الله عنه. ثم ما اكتفى على ذلك بل قصد المسجد وانطلق معه رهط من الصحابة، فجاء وصعد المنبر، وجمَع حوله كلَّ من كان موجودا من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم أثنى على الله وصلى على رسوله ﷺ وقال: أيها الناس.. اعلموا أن رسول الله ﷺ قد تُوفّيَ، فمن كان يعبد محمدا ﷺ فليعلم أنه قد مات، ومن كان يعبد الله فإنه حيّ لا يموت، ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾▣. فاستدل بهذه الآية على موت رسول الله ﷺ بناءً على أن الأنبياء كلهم قد ماتوا. فلما سمع الصحابة قول الصدّيق رضي الله عنه ما ردَّ أحد على قوله، وما قال أحد له: أيها الرجل.. إنك كذبت أو أخطأت في استدلالك أو ذكرت استدلالا ناقصا وما كنت من المصيبين.

فلو كانوا معتقدين بأن عيسى حيّ إلى ذلك الزمان لردّوا على أبي بكر، وقالوا كيف تفهم من هذه الآية موت الأنبياء كلهم؟ ألا

● الشعراء:١٣٩ ▣ آل عمران:١٤٥

تعلم أن عيسى قد رُفع إلى السماء حيا ويأتي في آخر الزمان؟ فإذا كان عيسى راجعا إلى الدنيا مرة ثانية وأنت تؤمن به، فأي حرج ومضايقة في أن يأتينا رسولنا ﷺ أيضا كما زعمه عمر.. الذي يجري الحق على لسانه، وله شأن عظيم في الرأي الصائب، ولرأيه موافقة بأحكام القرآن في مواضع، ومع ذلك هو مُلهَم ومن المحدَّثين؟ وإن وفاة نبينا ﷺ للمسلمين مصيبة ما أصيبوا بمثله.. فليس من العجب أن يرجع نبينا ﷺ إلى الدنيا، بل رجوعه إلى الدنيا أحق وأولى وأنفع من رجوع المسيح، وحاجة المسلمين إلى وجوده المبارك أشدّ وأزيَد من حاجتهم إلى وجود المسيح. لكنهم ما ردّوا على الصدّيق ﵁ بهذه الكلمات، بل سكتوا كلهم ونبذوا من أيديهم سهام الإنكار، وقبلوا قوله، وبكوا وقالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون. ونظروا إلى موت الأنبياء كلهم واطمأنوا بها، فإنهم ماتوا كلهم وما كان أحد منهم من الخالدين.

وإذا ثبت أن رجوع أهل الجنة والذين قعدوا عند مليك مقتدر بحبور وسرورٍ ممنوعٌ، وخروجهم من نعيمهم ولذّاتهم يُخالف وعد الله، فكيف يجوِّز العاقل المؤمن أن المسيح ؑ محروم من هذا الفوز العظيم، ولكل بشر موت وله موتان؟ أليس هذا مما يخالف نصوص القرآن؟ فتدبرْ وسَلِ اللهَ يهَبْ لك فهم المتدبرين. وقد قال الله تعالى

في مقامات أخرى: ﴿وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾●، وقال: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾◈، وقال: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾●. فانظر أيها العزيز! كيف نترك هذا الحق الصريح بناء على خيالات واهية وتحكّمات فاسدة؟ فتفكرْ واتق الله، إن الله يحب المتقين.

وربما يختلج في قلبك أن رجوع الموتى إلى الدنيا بعد دخولهم في الجنة ممنوع، ولكن أي حرج في رجوعٍ كان قبل دخول الجنة؟ فاعلم أن آيات القرآن كلها تدل على أن الميت لا يرجع إلى الدنيا أصلاً، سواء كان في الجنة أو في جهنم أو خارجا منهما، وقد قرأنا عليك آنفا آية: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ و﴿أَنَّهُمْ لا يَرْجَعُونَ﴾. ولا شك أن هذه الآيات تدل بدلالة صريحة على أن الذاهبين من هذه الدنيا لا يرجعون إليها أبدا بالرجوع الحقيقي. وأعني من الرجوع الحقيقي رجوعَ الموتى إلى الدنيا بجميع شهواتها ولوازمها، ومع كسب الأعمال من خير وشر، ومع استحقاق الأجر على ما كسبوا، ومع ذلك أعني من الرجوع الحقيقي لُحوقَ الموتى بالذين فارقوهم من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة الذين هم موجودون في الدنيا، وكذلك رجوعهم إلى أموالهم التي كانوا اقترفوها، ومساكنِهم التي كانوا بنَوها، وزروعِهم التي كانوا

● الحجر:٤٩ ◈ الزمر:٤٣ ● الأنبياء:٩٦

زرعوها، وخزائنهم التي كانوا جمعوها. ثم من شرائط الرجوع الحقيقي أن يعيشوا في الدنيا كما كانوا يعيشون من قبل، ويتزوجوا إن كانوا إلى النكاح محتاجين، وأن يؤمنوا بالله ورسوله فيُقبَل إيمانهم ولا يُنظَر إلى كفرهم الذي ماتوا عليه، بل ينفعهم إيمانهم بعد رجوعهم إلى الدنيا وكونهم من المؤمنين. ولكنا لا نجد في القرآن شيئا من هذه المواعيد، ولا سورةً ذُكرتْ فيها هذه المسائل، بل نجد ما يخالفه كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين * خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ◉. فانظر كيف وعد الله للكافرين لعنة أبدية، فلو رجعوا إلى الدنيا وآمنوا بكتبه ورسله لوجب أن لا يُقبَل عنهم إيمانهم، ولا يُنـزَع عنهم اللعنة الموعودة إلى الأبد كما هو منطوق الآية. وأنت تعلم أن هذا الأمر يُخالف هدايات القرآن كما لا يخفى على المتفقهين.

وأما إحياء الموتى من دون هذه اللوازم التي ذكرناها، أو إماتة الأحياء لساعة واحدة ثم إحياؤهم من غير توقف كما نجد بيانه في قصص القرآن الكريم فهو أمر آخر، وسرٌّ من أسرار الله تعالى، ولا توجد فيه آثار الحياة الحقيقي ولا علامات الموت الحقيقي، بل هو من آيات الله تعالى وإعجازات بعض أنبيائه، نؤمن به وإن لم نعلم حقيقته، ولكنا لا نسمّيه إحياءً حقيقيا ولا إماتة حقيقية. فإن رجلا

◉ البقرة:١٦٢-١٦٣

مثلا أُحيِيَ بعد ألف سنة بإعجاز نبي ثم أُميت بلا توقف، وما رجع إلى بيته، وما عاد إلى أهله وإلى شهوات الدنيا ولذّاتها، وما كان له خِيَرةٌ مِن أن تُرَدّ إليه زوجه وأمواله وكل ما ملكت يمينه من ورثاء آخرين، بل ما مَسَّ شيئا منها ومات بلا مكث ولحق بالميتين، فلا نسمي مثل هذا الإحياء إحياءً حقيقيا، بل نسميه آية من آيات الله تعالى ونفوّض حقيقته إلى رب العالمين.

ولا شك أن إحياء الموتى وإرسالهم إلى الدنيا يقلِّب كتاب الله بل يُثبت أنه ناقص، ويوجب فتنًا كثيرة في دين الناس ودنياهم، وأكبرها فتن الدين. مثلا كانت امرأة نكحتْ زوجا فتُوفِّيَ، فنكحت زوجا آخر فتُوفِّيَ، فنكحت ثالثا فتُوفِّيَ، فأحياهم الله تعالى في وقت واحد، فاختصموا فيها بعولتُها، وادّعى كل واحد منهم أنها زوجته، فمَن أحقُّ منهم في كتاب الله الذي أكمل أحكامه وحدوده؟ وكيف يحكم فيهم القاضي؟ وكيف يحكم في أموالهم وأملاكهم وبيوتهم من كتاب الله؟ أتؤخذ من الورثاء وترد إلى الموتى الذين صاروا من الأحياء؟ بيِّنُوا تؤجَروا، إن كنتم على قول الله ورسوله مطّلعين.

وكذلك الإماتة التي كانت لساعة أو ساعتين ثم أُحْيِيَ الميت، فليست إماتة حقيقية بل آية من آيات الله تعالى، ولا يعلم حقيقته إلا هو. وأنت تعلم أن الله ما وعد بحشر الموتى في القرآن إلا وعدًا واحدًا وهو الذي يظهر عند يوم القيامة، وأخبر عن عدم رجوع الموتى قبل يوم القيامة، فنحن نؤمن بما أخبر وننـــزه القرآن عن

الاختلافات والتناقضات، ونؤمن بآية: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾، ونؤمن بآية: ﴿وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

وإنّا لا نقول أن أهل الجنّة بعد انتقالهم إلى دار الآخرة يُحبَسون في مكان بعيد من الجنة إلى يوم القيامة، ولا يدخل الجنة قبل القيامة إلا الشهداء، كلاّ.. بل الأنبياء عندنا أول الداخلين. أيظن المؤمن الذي يُحب الله ورسوله أن النبيين والصدّيقين يُبعَدون عن الجنة إلى يوم البعث ولا يجدون منها رائحة، وأما الشهداء فيدخلونها من غير مكثٍ خالدين؟

فاعلم يا أخي أن هذه العقيدة رديئة فاسدة، ومملوءة من سوء الأدب. أما قرأت ما قال رسول الله ﷺ إن الجنة تحت قبري؟ وقال إن قبر المؤمن روضة من روضات الجنة، وقال عَزَّ وَجَلَّ في كتابه المحكم: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[◙]، وقال في مقام آخر: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ﴾[•]. وقصَّ علينا قصة رجل مات ودخل الجنة، وكان له صاحب في الدنيا فاسق، فمات صاحبه أيضا ودخل النار، فذكَر الذي دخل الجنة قصةَ صاحبه عند أصحاب الجنة وقال: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللهِ إِنْ كِدْتَّ لَتُرْدِينِ * وَلَوْ لا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[◉].

[◙] الفجر: ٢٨-٣١ [•] يس: ٢٧ [◉] الصافات: ٥٥-٥٨

وأنت تعلم أن هذه القصة تدل بدلالة صريحة على أن المؤمنين يدخلون الجنة بعد موتهم من غير مكث، ثم لا يُخرَجون منها ويتنعّمون فيها خالدين. وكذلك يثبت من القرآن أن أهل جهنم يدخلونها بعد الموت من غير مكث، كما لا يخفى على الذين يتدبرون في آية: ﴿فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾، وكما قال الله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾●. وإن كنت تطلب شاهدا من الحديث فانظر إلى أحاديث المعراج، فإن النبي ﷺ رأى جهنم في ليلة المعراج، وكذلك رأى الجنة، فرأى في الجنة أهلها، وفي جهنم أهلها، فريقا في النعيم وفريقا من المعذبين.

وإن قلتَ إن كتاب الله والأخبار الصحيحة شاهدة على أن البعث حق، والميزان حق، وسؤال الله عن عباده حق واقع لا شبهة فيه، ثم بعد كل هذه الواقعات.. يعني بعد حشر الأجساد والحساب ووزن الأعمال يدخلون أهلُ الجنة مقامَ جنتهم، ويدخلون أهلُ النار مقام نارهم، وإن كان هذا هو الحق فكيف يمكن دخول أهل الجنة وأهل جهنم في مقامهم إلا بعد حشر الأجساد ووزن الأعمال وغيرها كما تقرر في عقائد المسلمين؟

قلنا لو حملنا ألفاظ تلك الآيات على ظواهرها لاختلّ نظام كتاب الله وما بقي توافُقُ آيات الله، بل وجب في هذه الصورة أن

● نوح:٢٦

نُقرّ بأن القرآن مملوء من الاختلافات والتناقضات وبعض آياته يُعارض بعضا. ألا ترى الآيات التي تدل على دخول أهل الجنة وأهل جهنم في رياض الخلد ونيران السعير من غير مكث وتوقف؟ فاعلم أن في هذه الآيات ليست مُخالفَة، وليس المراد من الحساب ووزن الأعمال وحشر الأجساد أن يخرج أهل الجنة من جنتهم ومقام عزهم، وأنهم يؤخذون ويُحاسَبون لعلهم كانوا من أهل النار، ويُخرَج أهل النار من نارهم، ويُنظَر في أمرهم لعلهم كانوا من أهل الجنة، لأن الله تعالى يعلم الغيب ويعلم إيمان الناس وكفرهم قبل أن يُخلَقوا، ولا يعجز علمه عن درك المغيبات، بل الحساب والميزان لإظهار مكارم المكرمين وإراءة مفاسد المفسدين. ولا شك أن أهل الصلاح وأهل المعصية يرون ثمرات أعمالهم بعد الموت بغير مكثِ طرفةِ عين، وجنّتُهم ونارهم معهم حيثما كانوا، ولا تفارقانهما◈ في آن. ألا تنظر إلى ما قال رسول الله ﷺ إن القبر روضة من روضات الجنة أو حفرة من حفر النار؟ والميت قد يُدفن وقد يُحرق وقد يأكله الذئب وقد يغرق في البحر، وفي كل صورة لا يفارقه روضةُ جنته أو حفرةُ ناره. وقد ثبت أن كل مؤمن وكافر يُعطى من جسم بعد موته، ويوضع جنته أو جهنمه في قبره، ثم إذا كان يوم القيامة فيبعث كل ميت ببعث جديد، ويحضرون لوزن أعمالهم، وتمشي معهم

◈ سهو، والصحيح: "تفارقانهم". (الناشر)

جنتهم ونارهم ونورهم وغبارهم، ثم بعد حساب الأعمال والسؤال بطريق إظهار العزة أو إراءة الذلة والوبال، وبعد الوزن وغيرها من الأمور التي نؤمن بها، تقتضي رحمة الله تعالى وغضبه تجليات جديدة، فيُمثّل الله الجنةَ في أعين أهلها بصورة ما رأتها أعينهم قط كما وعد في كتابه للمسلمين، فيكون لهم ذلك اليوم يومَ المسرّة العظمى والسعادة الكبرى، فيدخلونها فرحين آمنين. وكذلك تُمثَّلَ جهنم في أعين أهلها، ويُريها في صورة يفجعهم رؤيتُها، ويسمعون تغيُّظَها وزفيرها وشهيقها، ويحسبون أنهم ما رأوا مثلها من قبل وما دخلوها، فيكون لهم ذلك اليوم يوم الفزع الأكبر. ولله مَجالي كثيرة في أقداره وأسراره وحِكمه، فلا تعجبوا من مَجالي الله، وادعوا الله يلهمكم طرق المهتدين.

وكل ذلك مكتوب في كلام الله، وما كتبنا حرفا من عندنا، وما حرّفنا وما افترينا. ومن كذّب القرآن فهو هالك، ومن اختار سبيلا غيره فيُتَبّ وتأكله السماء بأنيابها. فاستمسكْ بكتاب الله ولا تركنْ إلى غيره فتضلّ، وحسبُنا كتاب الله إن كنا مؤمنين. ويكفي لك في شأن كتاب الله ما أثنى الله عليه وقال: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[⊙]، فيه تفصيل كلّ شيء، وما جاء في حديث مسلم عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماءٍ يُدعى خُمًّا بين

[⊙] الأنعام: ٣٩

مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثم قال: أما بعد.. ألا يا أيها الناس! إنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم الثَّقَلينِ، أوّلها كتابُ الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذَكِّركم الله في أهل بيتي. وكتاب الله هو حبل الله، من اتّبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة. فانظر كيف رغّب فيه وخوّف مَن تركه مُعرضا عنه بحيث أخذ غيره الذي يعارضه. فاعلم أن القرآن إمامٌ ونورٌ، ويهدي إلى الحق، وأنه تنـــزيل رب العالمين.

والذين يؤثرون الأحاديث على كتاب الله هم ينسون عظمة كتاب الله ولا يتبعونه إلا قليلا، ويريدون أن يجعلوا مقام الأحاديث أرفع من مقام كتاب الله، ولا يخافون الله ولا يبالون ولا يتقون. ويقولون إنّا ألفينا على هذا آباءنا، ولو كانوا آباؤهم من الغافلين المتعصبين. لا يخفى على الله المعوّقون منهم والخادعون الذين يقولون للغافلين الأُمّيّين هَلُمَّ إلينا إنّا كنا مهتدين، وإن هؤلاء لمن الكافرين. أيجعلون قصص الأحاديث كقصص كتاب الله؟ لا يستوون عند الله، وبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون إن كانوا مؤمنين؟ أم حسبوا أن يرضى عنهم ربهم بالأحاديث وما يُسألون عن ترك كلام الله؟ كلا.. بل إنهم من المسؤولين. وكم من دلائل أقمتُ على هذه المسألة في

كتبي، وأسرّوا الندامة لما رأوا أنها الحق، ولكن ما رجعوا وما كانوا راجعين.

اعلم أيها العزيز أن مدار النجاة تعليم القرآن، ولا يدخل أحد الجنة أو النار إلا من أدخله القرآن، ولا يبقى في النار إلا من قد حبسه كتاب الله، فاعتصموا بكتاب فيه نجاتكم وقوموا لله قانتين. وقد قال رسول الله ﷺ في آخر وصاياه التي تُوفي بعدها: خذوا بكتاب الله واستمسكوا به، وأوصى بكتاب الله. وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم فخُذوا به تهتدوا. ما عندنا شيء إلا كتاب الله، فخذوا بكتاب الله. حسبكم القرآن. ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل. قضاء الله أحق. حسبنا كتاب الله. انظروا صحيح البخاري ومسلم، فإن هذه الأحاديث كلها موجودة فيهما، وقال صاحب "التلويح": إنما خبر الواحد يُرَدّ مِن معارضة الكتاب. واتفق أهل الحق على أن كتاب الله مقدَّم على كل قول، فإنه كتاب أُحكمت آياته، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد حفظه الله وعصمه، وما مسّه أيدي الناس، وما اختلط فيه شيء من أقوال المخلوقين.

ولنرجعْ إلى بياننا الأول فنقول إن القرآن كما منع من رجوع أهل الجنة إلى الدنيا، كذلك منع من رجوع أهل النار إليها، فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ

بخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾.● ثم قال في مقام آخر: ﴿لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾*. ثم قال في مقام آخر: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾▣. ثم قال في مقام آخر: ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾◉. وقد علمتَ آنفا أن أهل الجنة والسعير يدخلون مقاميهما بعد موهم من غير مُكث ولا يُنظَرون القيامة، وقال رسول الله ﷺ: من مات فقد قامت قيامته. ولولا كان الإنعام والإيلام واصلا إلى الميت بمجرد موته، فما معنى قيام القيامة في حقه؟ وإذا أقررنا بأن الميت يُعذَّب أو يُنعَم عليه بعد الموت من غير توقف، فقد لزمنا أن نُقرّ بأن عذاب جهنم وإنعام الجنة يبدو بمجرد واقعة الموت من غير مكث، ولأجل ذلك جاء في الأحاديث أن أدنى نعيم المؤمنين في القبر أن الجنة تُزلَف لهم، وتُفتَح له غرفة من غرفاتها، فيأتيهم في كلّ وقت رَوحُ الجنة وريحانها من هذه الغرفة، وأن أدنى عذاب الكافر في القبر أن تُبرَز الجحيم له وتُفتَح له حفرة منها، فيأتيه في كلّ وقت لظى النار من تلك الحفرة. ويوسع الله للمؤمنين بفضله ورحمته الوسيعة غرفة الجنة من خيرات جارية وباقيات صالحات تركها المؤمن لنفسه في الدنيا، أو من دعاء أبنائه وإخوانه الصالحين، فيزيد الغرفة يوما فيوما حتى يصير قبر المؤمن روضة من روضات الجنة.

● *البقرة:١٦٨* * *الكهف:١٠٩* ▣ *المائدة: ٣٨* ◉ *يس:٥١*

فانظر إلى هذه الأحاديث كيف يبين رسول الله ﷺ، ثم انظر إلى الذين يقولون لإخوانهم إنّا نحن المؤمنون بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، ومع ذلك يُصرّون على أن الدخول في الجنة مخصوص بالشهداء، والذين هم غيرُهم من الأنبياء والصدّيقين حتى سيدنا المصطفى ﷺ فهم مُبعَدون عن الجنة لا يصل إليهم رَوحها وريحانها، وما كان لهم أن يدخلوها إلا بعد يوم القيامة. فتَعْسًا لهم ولأقوالهم! ما اتقوا الله وفضّلوا الشهداء على خاتم النبيين.

ثم لا يخفى عليك أن الموتى بعد وفاتهم لا يُحبَسون معطّلين، بل يكونون إما في نعيم وإما في عذاب، وما هذا إلا الجنّة والنار، فتدبر مع المتدبرين*.

---

* اعلم أن وفاة عيسى عليه السلام ثابت بالنصوص القطعية اليقينية، وإن تطلب الثبوت من القرآن۞ فتجد فيه آية: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، وآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، وآية: ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾، وآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، وآية: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾. وهذه الآية الأخيرة تدل بمنطوقها على أن بني آدم يحيون في الأرض خاصة ولا يصعدون إلى السماء بجسمهم العنصري، لأن لفظ ﴿فِيهَا﴾ الذي هو مقدّم على لفظ ﴿تَحْيَوْنَ﴾ يوجب تخصيص الحياة بالأرض ويُقيّد بها، وفيه ردٌّ على الذين يقولون: لِم لا يجوز أن يُرفَع أحد بجسمه العنصري إلى السماء ويحيا فيها إلى مدة أرادها الله؟

والعجب منهم أنهم يفترون علينا ويحسبون كأنّا تركنا النصوص القرآنية في رفع المسيح بجسمه العنصري، فليتدبر العاقل ههنا.. أنحن تركنا القرآن ونصوصه في هذه العقيدة أم هم كانوا تاركين؟ وقالوا إن الله عز وجل قال: ﴿بَلْ رَّفَعَهُ اللهُ﴾،

ويحتجّون بهذه الآية على رفع جسم المسيح، ولا يتدبرون أن الأمر لو كان كذلك لتعارضَ الآيتان.. أعني آية: ﴿بَلْ رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ وآية: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾. وأنت تعلم أن القرآن منــزّه عن التعارض والتخالف، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾، فأشار في هذه الآية أن الاختلاف لا يوجد في القرآن، وهو كتاب الله وشأنه أرفع من هذا، وإذا ثبت أن كتاب الله منــزّه عن الاختلافات فوجب علينا ألا نختار في تفسيره طريقا يوجب التعارض والتناقض، وما كان لليهود غرض وبحث في رفع جسمه أو عدم رفعه، فلا بد من أن نفسر الرفع في آية: ﴿بَلْ رَّفَعَهُ اللهُ﴾ بالرفع الروحاني كما هو مفهوم آية: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾، فإن الرجوع إلى الله تعالى راضية مرضية والرفع إليه أمر واحد لا فرق بينهما معنًى.

ثم انظرْ وتدبّرْ.. وهبك الله من عنده قوة الفيصلة.. إن النــزاع كان في الرفع الروحاني لا في الرفع الجسماني، فإن اليهود كانوا منكرين من رفع عيسى إلى الله كما يُرفَعُ المطهَّرون المقرَّبون من النبيين، وكانوا يصرّون - لعنهم الله - على أن عيسى عليه السلام من الملعونين لا من المرفوعين، كما أنهم يقولون إلى هذه الأيام. وكانوا يستدلون - غضب الله عليهم - على ملعونيته عليه السلام من مصلوبيته، فإن المصلوب ملعون غير مرفوع في دينهم كما جاء في التوراة في كتاب الاستثناء. فأراد الله تعالى أن يُبرّئ نبيَّه عيسى من هذا البهتان الذي بُني على آية التوراة وواقعة الصلب، فإن التوراة يجعل المصلوب ملعونا غير مرفوع إذا كان يدّعي النبوة ثم مع ذلك كان قُتل وصُلب، فقال عز وجل لذبّ بهتانهم عن عيسى: ﴿مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبوهُ﴾، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾، يعني الصلب الذي يستلزم الملعونيةَ وعَدْمَ الرفع من حكم التوراة ليس بصحيح، بل رفعَ الله عيسى إليه، يعني إذا لم يثبت الصلب والقتل لم يثبت الملعونية وعدم الرفع، فثبت الرفع الروحاني كالأنبياء الصادقين وهو المطلوب.

هذه حقيقة هذه القصة، وما كان ههنا جدال ونزاع في الرفع الجسماني، وما كان هذا الأمر تحت بحث اليهود أصلا، وما كان غرضهم متعلقا به، بل علماء اليهود كانوا يمكرون لتكذيب المسيح وتكفيره، ويُفتّشون لتكذيبه وتكفيره حيلةً شرعية، فبدا لهم أن يصلبوه ليُثبتوا ملعونيته وعدم رفعه الروحاني كالأنبياء الصادقين بنص التوراة لئلا يكون حجة لأحد بعد كتاب الله، فصلبوه بزعمهم، وفرحوا بأنهم أثبتوا ملعونيته وعدم رفعه بالتوراة، ولكن الله نجّاه من حيلهم وقتلهم، فأخبر عن هذه القصة في كتابه الذي أنزل بعد الإنجيل حَكَمًا عَدْلاً ومُبيِّنًا لظلمِ كلِّ قوم وإيذائهم وكيدهم ومُكذِّبًا للكافرين. فكأنه يقول: يا حزب الماكرين! يا أعداء الصدق والصادقين! لم تقولون إنّا قتلنا المسيح ابن مريم وصلبنا وأثبتنا أنه ملعون غير مرفوع؟ فأُخبرُكم أيها القوم الخبيثون، أنكم ما قتلتموه وما صلبتموه ولكن شُبِّه لكم، وأنت تعلمون في أنفسكم أنكم ما قتلتموه يقينا، بل نجّاه الله من مكركم ورزَقه الرفعَ الروحاني الذي كنتم لا تريدون له وتمكرون لئلا يحصل له ذلك المقام، فقد حصل له ورفعه الله وكان الله عزيزا حكيما. وهذا القول.. يعني قوله تعالى: ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.. إشارةٌ إلى أن الله يُعزّ من يشاء، ويحفظ عزة أصفيائه بحكمته الدقيقة البالغة اللطيفة، لا يضرها مكرُ ماكر كما ما أضرّ عزّةَ عيسى مكرُ اليهود، بل أعزّه ورفعه ودمّر الماكرين.

فاعلم أيها العزيز! هذا تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾، ولكن لا يقبله قومنا ويُحرّفون كلام الله ولا يتدبرون في شأن نزوله، ويمشون على الأرض مستكبرين. وإذا قيل لهم إن الله ورسوله قد شهدا على وفاة المسيح وكذلك شهدوا عليه أكابر المؤمنين من الصحابة والتابعين وأئمة المحدثين، فكان آخر جوابهم أن الله قادر على أن يحييه بعد وفاته مرة أخرى، ولا يتفكرون أن قُدرة الله تعالى لا يتعلق بما يُخالف مواعيده الصادقه، وقد قال: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾، وقال: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾، وقال: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾، ولا شك أنه من مات من الصلحاء فإنه نال حظًّا من الجنة وحُرّم عليه الموتة الثانية، فكيف

يجوز أن يُرَدّ عيسى إلى الدنيا ويُخرَج من حظ الجنّة ونعيمها أو يُسَدّ عليه غرفتُها ثم يُتوَفّى مرة ثانية؟ مع أن الآية المتقدمة.. أعني: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾ تدل على دوام الحياة وعدمِ ذوق الموت. وإلى هذا يُشير الاستثناء المنقطع، فإنه جرى مجرى التأكيد والتنصيص على حفظ العموم وجعَل النفي الأول العام بمنـــزلة النص الذي لا يتطرق إليه استثناء البتة، إذ لو تطرّق إليه استثناء فردٍ من أفراد لكان أولى بذكره من العدول عنه إلى الاستثناء المنقطع، فاحفظْه فإنه من أسرار مفيدة للمحققين. **منه**.

======================

◈ **الحاشية تحت الحاشية:** وأمّا ثبوت وفاة عيسى عليه السلام من قول رسول الله ﷺ فينكشف عليك إذا تدبّرت في حديث البخاري الذي جاء في تفسير آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾. والبخاري ذكر هذا الحديث في كتاب التفسير ليشير إلى أن قول رسول الله ﷺ واستعماله آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ لنفسه كما استعمل عيسى لنفسه نوعٌ من التفسير، ولأجل ذلك أيّد البخاري هذا التفسيرَ بقول ابن عباس: متوفيك مميتك. والبخاري أشار إلى مذهبه المختار بهذا الاجتهاد.

فالحاصل أن لفظ "توفي" ليس كلفظ يُفسره أحد برأيه، بل أوّل مفسِّره القرآنُ من حيث إنه ذكر هذا اللفظ في كل مقامه بمعنى الإماتة وقبض الروح، والمفسر الثاني رسولُ الله ﷺ، والمفسر الثالث أبو بكر الصدّيقُ رضي الله عنه، والمفسر الرابع ابن عباس رضي الله عنه، والمفسر الخامس جماعة من التابعين، والمفسر السادس الإمام البخاري في صحيحه، والمفسر السابع إمام المحدثين ابن القيم، بل إنه كتب في كتابه: "مدارج السالكين": لو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباع نبينا ﷺ، وأشار إلى الحديث النبوي، والمفسر الثامن محدّثُ وقته ولي الله الدهلوي، فإنه فسّر معنى ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ في كتابه: "الفوز الكبير" وقال: متوفيك مميتك. ومع ذلك قد ذهب حزب كثير من الأولين والآخرين إلى هذا المعنى، وقد اتفقوا على أن معنى التوفي في هذه الآية هو الإماتة لا غير. ثم الذين في قلوبهم مرض لا يُبالون قول الله ولا تفسير رسوله ولا ما فسره صحابته ولا أقوال التابعين والأئمة والمحدّثين. فلا نعلم كيف نقبل معناهم الذي لا دليل عليه من بيان الله وتفسير رسوله، وأين نفرّ من الرشد الذي قد تبيّن؟ أنترك الله ورسوله لقول قوم ضالين؟ منه.

هذا ما ذكرنا من نصوص القرآن على وفاة المسيح وعلى نفي صعوده مع الجسم العنصري، ونفيِ رجوعه إلى الدنيا●. وأما الأحاديث النبوية فلن تجد فيها أثرًا من رفع المسيح بجسمه العنصري، وتجد في كل مقامٍ ذِكْرَ وفاته كما ذكرنا قليلا منها ولا حاجة إلى الإعادة. وما نجد في حديثٍ معنى التوفي رَفْعُ رجلٍ إلى السماء مع جسمه، بل جاء في البخاري عن ابن عباس في تفسير آية ﴿يَا عِيسَى

● **حاشية:** قال بعض الناس الذي لا علم عنده إن آية: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾، وآية: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ دليل على أن المسيح رُفع حيًّا بجسمه العنصري. هذا قوله واستدلاله، ولكن لو كان هذا الرجل مطلعا على شأن نزول هذه الآية لرجع من قوله، بل ما التفتَ إلى معنى يخالف طريق المعقول والمنقول، وما تكلَّمَ بالفضول، وكان من المتندمين.

فاسمع أيها العزيز! إن اليهود كانوا يقرأون في التوراة أن الكاذب في دعوى النبوة يُقتَل، وإن الذي صُلِبَ فهو ملعون لا يُرفَع إلى الله. وكانت عقيدتهم مستحكمة على ذلك، ثم شُبّه لهم ابتلاءً من عند الله كأنهم صلبوا المسيح ابن مريم وقتلوه، فحسبوه ملعونا غير مرفوع، ورتبوا الشكل هكذا: المسيح ابن مريم مصلوب، وكل مصلوب ملعون وليس بمرفوع، فثبت عندهم من الشكل الأول الذي هو بيّنُ الإنتاج أن عيسى - نعوذ بالله - ملعون وليس بمرفوع. فأراد الله أن يزيل هذا الوهم ويبرّئ عيسى من هذا البهتان فقال ما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم... بل رفعه الله. وحاصل كلام تعالى أن شأن عيسى منـــزه عن الصلب والنتيجةِ التي هي الملعونيةُ وعدمُ الرفع، بل هو مات حتف أنفه، ورُفع إلى الله كما يُرفَع المقرّبون وما كان من الملعونين. وهذا هو السبب الذي ذكر الله تعالى لأجله قصة عدم صلب عيسى، وبرّأه مما قالوا، وإلا فأيّ ضرورة كانت داعية إلى ذكر هذه القصة، وما كان موت القتل نقصًا لأنبيائه وكسرًا لشأنهم وعزمهم، وكأين من النبيين قُتلوا في سبيل الله كيحيى عليه السلام وأبيه، فتفكرْ واطلبْ صراط المهتدين ولا تجلس مع الغاوين. منه.

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: مميتك، وما خالفه في هذا التفسير أحد من أصحاب رسول الله ﷺ. فإذا تحقق أن معنى التوفّي الوفاةُ لا غيره فلا يُقال إن إماتة المسيح التي رُوِيَت عن ابن عباس وعدٌ غير واقع إلى هذا الوقت بل يقع في آخر الزمان، لأن المواعيد التي ذُكرتْ في هذه الآية بالترتيب قد وقعت وتمت كلها على ترتيبها الذي يوجد في تلك الآية، ووعدُ التوفّي مقدَّم عليها في الترتيب. وأنت تعلم أن وعد ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قد وقع، وهكذا وعدُ ﴿مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقَع وتم ببعث نبينا ﷺ، وقد شهد القرآن على أن المسيح وأمّه مبرَّءان مما قالت اليهود، فقال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾◉، وقال: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾◈، وكذا تم وعد ﴿وَجَاعِلُ الَّذِين اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ⭘، وقد وقع كما وعد، وما نرى اليهود إلا مغلوبين ومقهورين.

وأنت تعلم أن في ترتيب هذه الآية كانت هذه المواعيد كلها بعد وعد التوفي، وكان وعد التوفي مقدَّما على كلها، وقد اتفق القوم على أنها وقعت بترتيب يوجد في الآية، فلو فرضنا أن لفظ التوفي مؤخر من لفظ الرفع، للزمنا أن نقر بأن عيسى عليه السلام قد توفى بعد الرفع وقبل وقوع المواعيد الباقية، وهذا مما لا يعتقد به أحد من

◉ المائدة:٧٦ ◈ آل عمران:٤٦ ⭘ آل عمران:٥٦

المخالفين. ولو قلنا إن لفظ التوفي مؤخر من جملة: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومقدَّم من وعد وقع في ترتيب الآية بعدها، للزمنا أن نقر بأن وفاة عيسى عليه السلام كان بعد نبينا ﷺ من غير مكث قبل غلبة أتباعه على أعدائهم، وهذا باطل أيضا بزعم القوم، فإنهم قد اعتقدوا أن المسيح لا يموت إلا بعد هلاك الملل كلها. فلو رجعنا من هذه الأقوال كلها وقلنا إن المسيح لا يموت إلا بعد تكميل وعد الغلبة الممتدة إلى يوم القيامة كما صرحت آية: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِين اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، للزمنا أن نقر بأن المسيح لا يموت إلا بعد يوم القيامة، فإن الوعد قد امتد إلى يوم القيامة، ولا يمكن نزول المسيح إلا بعد وقوعه على الوجه الأتم والأكمل، فما نجد له موضعَ قدم في كتاب الله إلا بعد يوم الحشر على طريق فرض المحال. وليت شعري.. إن أعداءنا يقولون بأفواههم إن لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ في آية: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ مؤخر في الحقيقة، وليس هذا الموضع موضعه، ولكنهم لا يُنبئوننا بأن◉ لو نرفع هذا اللفظ من هذا المقام فأين نضعه، أنسقطه من كتاب الله كالمحرّفين؟

والذين يقولون إن لفظ التوفي مؤخر من لفظ الرفع ومقدم على مواعيد أخرى، فيضحك العاقل من قولهم، ويتعجب من حمقهم. ألا يعلمون أن هذا القول خلاف ما يعتقدون في وقت وفاة المسيح

◉ *سهو، ولعل الصحيح: "بأنا". (الناشر)*

بزعمهم؟ وإنّا ذكرنا آنفًا أنهم يعتقدون أن وعد التوفي لا يظهر ولا يقع إلا بعد هلاك أهل الملل كلها، فلزمهم أن يعتقدوا أن لفظ التوفي مؤخر من هذا الوعد الآخر لا من الرفع فقط، فإن التأخر الوضعي يتبع التأخر الطبعي، كما لا يخفى على المتفكرين.

ثم ما كان لنا أن نؤخر من عند أنفسنا ما قدّم الله تعالى في كتابه المحكم من غير سند من الله ورسوله، وما هذا إلا التحريف الذي لعن الله لأجله اليهود؛ فاتقوه ولا تقلِبوا آيات الله بعد ترتيبها إن كنتم خائفين.

وقد علمتم أن آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ شاهدة أخرى على وفاة عيسى عليه السلام، فإن رسول الله ﷺ استعمل لنفسه جملة ﴿فلما توفيتني﴾ من غير تغيير وتبديل ومن غير تفسير يُخالف أصل التفسير، وكان رسول الله ﷺ أعلمَ الناس بمعاني القرآن ورموزه وأسراره. فلو كان معنى التوفي في هذه الآية رَفْعَ الجسم حيًّا إلى السماء، لما جعل نفسه مصداقَ هذه الآية، ولكنه نسب هذه الآية إلى نفسه كما هي نُسبت إلى المسيح، فهذا أول دليل على أن لفظ ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ في هذه الآية بمعنى: أَمَتَّني. فهذا هو السبب الذي استدل البخاري في صحيحه على وفاة المسيح بهذه الآية، وأكّد هذا المعنى بقول ابن عباس: متوفيك: مميتك. فأي دليل أوضح من هذا على موت عيسى عليه السلام لقوم طالبين؟ وقد بيّن الله في هذه الآية وقت وفاة المسيح فكأنه قال أيها الناس، إذا رأيتم أن النصارى اتخذوا عيسى إلها،

وأفسدوا مذهبهم، فاعلموا أن عيسى قد مات. فانظر كيف اتضح وانكشف معنى التوفي بتفسير رسول الله ﷺ، ثم بتفسير ابن عباس، وانظر كيف ثبت وقوع موته من قبل فساد مذهب النصارى واتخاذهم عيسى إلهًا. وأنت تعلم أنّا إذا فرضنا أن عيسى حيّ إلى هذا الوقت فلزمنا أن نقر بأن مذهب النصارى صحيح خالص إلى هذا الزمان، ما اختلط به شيء من الشرك، فتفكرْ وسَلِ المتفكرين.

قال بعض المستعجلين إن لفظ "التوفي" قد جاء في القرآن بمعنى الإنامة أيضًا، كما قال الله تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَم تَمُتْ في مَنَامِهَا﴾◉، وكما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ باللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾◈.

فاعلم أن الله تعالى ما أراد في هذه الآيات من لفظ التوفي إلا الإماتة وقبض الروح، فلأجل ذلك أقام القرائن، وقال: ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ في مَنَامِهَا﴾، يعني والتي لم تمت بموت حقيقي يتوفاه الله في منامها بموت مجازي. فانظر كيف أشار في هذه الآية إلى أن قبض الروح في النوم موت مجازي. فذكَر لفظ التوفي ههنا بإقامة قرينة المنام تنبيهًا على أن لفظ التوفي ههنا قد نُقل من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، وإشارةً إلى أن معنى لفظ التوفي حقيقةً هو الموت لا

◉ الزمر: ٤٣ ◈ الأنعام: ٦١

غيره. وكذلك أقام قرينةَ قولِه: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ وقرينةَ الليل في آية أخرى.. أعني آية: ﴿**هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِالَّيْلِ**.. الخ﴾، تنبيهًا على أن لفظ التوفي ههنا ليس بمعنى الإنامة بل المقصود الإماتة، والبعث بعد الإماتة ليكون دليلا على بعث يوم الدين، فلأجل ذلك ذكر بعث يوم القيامة بعد هذه الآية وقال: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعكُمْ﴾، ليجعل هذا الموت المجازي والبعث المجازي دليلا على الموت الحقيقي والبعث الحقيقي. فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين. ألا تنظر كيف ذكر لفظ **البعث** بعد ذكر التوفي وقال: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾؟ ومعلوم أن للنائمين يُستعمل لفظ **الإيقاظ** لا لفظ البعث، فلو كان مرادًا من لفظ التوفي ههنا **الإنامة** لقال: هو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم **يوقظكم** فيه، ولكنه تعالى ما قال: ثم يوقظكم فيه، بل قال: ﴿ثُمَّ **يَبْعَثُكُمْ** فِيهِ﴾. فأي دليل أوضح من هذا؟ فإن البعث يتعلّق بالموتى لا بالنائمين.

ومثل هذه الاستعارة كثير **في القرآن** كما قال ﷻ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾*، فلا يُقال إن لفظ ﴿يُحْيِي﴾ ههنا بمعنى يُنبت من حيث اللغة، بل هو استعارة، والمقصود منه تشبيه الإنبات بالإحياء، ليُستَدَلَّ به على بعث الموتى. وكما قال ﷻ: ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ *، فلا يُقال إن لفظ: ﴿أَصَمَّهُمْ

* الحديد:١١٨ * محمد:٢٤

وَأَعْمَى﴾ بمعنى **أضلهم** من حيث اللغة، بل هي استعارة، والمقصود منها تشبيه الضالين المعرضين بالصُّمِّ والعُمْي. فلا تطمَعْ ولا تُتعِبْ نفسك في أن تجعل معنى التوفي الإنامةَ من حيث اللغة، فإنه إن كان ذلك هو الحق فلزمك أن تقرّ بأن لفظ ﴿يُحْيي﴾ في آية: ﴿يُحْيِي الأَرْضَ﴾ بمعني يُنبت، ثم تثبتها من كتب اللغة، وكذلك إن أصررت على هذا فلزمك أن تقر بأن لفظ ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ ولفظ ﴿وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ بمعنى أضلهم وأبعدهم عن الحق وأزاغ قلوبهم، ثم تُرِيَنا من كتب لغة العرب هذه● المعنى، وأين لك هذا؟ فلا تتّبع الفكرَ المشوب بالوهم، ولا بد أن تقبل ما ثبت وتلحق بقوم صادقين.

واعلم أنك لن تجد أثرا من هذه المعاني التي تتخيل في بادي النظر في الآيات المتقدمة في كتاب من كتب لسان العرب على وجه الحقيقة، والقرآن مملوء من هذه النظائر إن كنت من الناظرين. وقد تقرر عند القوم أن المعنى الحقيقي هو الذي كثرت* استعماله في موضع من غير أن يُقام القرينة عليه، فعليك أن تنظر القرآن تدبّرًا ليتبين لك أن استعمال لفظ التوفي مطلقا من غير إقامة قرينة.. ما جاء في القرآن إلا في معنى الإماتة، ولن تجد في حديث أو في شعر شاعر.. إذا نُسب التوفي إلى الله تعالى وكان الإنسان مفعولا به..

● *سهو، والصحيح: "هذا". (الناشر)*

* *سهو، والصحيح: "كثر". (الناشر)*

معنى آخر من غير الإماتة، فأخرِجْ لنا وخُذْ منا ما وعدنا من الإنعام إن كنت من الصادقين.

والذين قالوا إن لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ في آية: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ بمعنى إني مُنيمك، ما كان خطؤهم خطأ واحدا، بل جمعوا أنواع العثرات في قولهم وتركوا تفسير رسول الله ﷺ، وهو خير البشر وكان تكلُّمُه بالروح الرحماني، وكان قوله خيرا من أقوال كلها، وقد أحاطت كلماته طرق الذوق والوجدان والعلم والعرفان والنور الذي أُعطي له من الرحمن، وتركوا ما قال ابن عباس في معنى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، وما نظروا إلى القرآن وطريق استعماله في هذا اللفظ، وورودِه فيه بمعنى الإماتة بالتواتر والتتابع، فضلوا وأضلوا وما كانوا من المهتدين.

ثم إذا فرضنا أن التوفي بمعنى الإنامة، فما نرى أن ينفعهم هذا المعنى مثقال ذرّة، فإن النوم مراد مِن قبض الروح وتعطُّلِ حواس الجسم مع بقاءِ تعلُّقٍ بين الروح والجسد، فمن أين يثبت من هذا أن الله قبض جسم المسيح؟ ألا تنظر إلى سُنّة الله القديمة.. فإنه يقبض الأرواح في حالة النوم ويترك الأجسام على الأرض. فمن أين علمت أن لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ مُشْعِرٌ برفع الجسد؟ والخَلق ينامون كلهم ولكن لا يقبض الله جسم أحد منهم. فاترُك التحكّمَ والمكابرة، وانظر إيمانا وديانة لينفخ الله في روعك ويجعلك من العارفين.

وعلى تقدير فرض هذا المعنى يلزم فساد آخر، وهو أن لفظ

التوفي في هذه الآية وعدٌ مُحدَثٌ من الله تعالى كمواعيد أخرى التي ذكرها الله فيها، ولو كان هذا المعنى هو الحق فيلزم منه أن يكون نوم المسيح عند الرفع أول أمر ورد عليه في عمره، ويلزمهم أن يعتقدوا أن عيسى عليه السلام كان لا ينام قبل الرفع قط، فإن الأمر الذي قد وقع عليه في حياته غير مرة.. كيف يمكن أن يذكره الله في مواعيد جديدة محدثة؟ فإن وعد الشيء يدل على عدم وجود الشيء قبل الوعد، وإلا فيلزم تحصيل حاصل، وهو فعل لغو لا يليق بشأن الله تعالى، ووجب أن يُنـــزَّه عنه وعدُ رب العالمين.

ثم لو كان هذا المعنى هو الصحيح.. فما تقول في آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾*؟ أتظن أن النصارى اتخذوا المسيح إلها بعد نومه لا بعد وفاته؟ وتظن أن المسيح ما نام قط في عمره إلا في وقت ضلالة النصارى.. ولم تذق عينه طعم النوم قط إلا عند الرفع وكان قبل الرفع مستيقظا دائما؟ فانظر منصِفًا.. أيستقيم هذا المعنى في هذا الموضع ويحصل منه ثلج القلب وسكينة الروح واطمئنان الباطن؟ وأنت تعلم أنه مستبعَد جدا وفاسد بالبداهة، وما كان أن يُصلِحه تأويل المؤولين. فهذه غفلة شديدة من العلماء المكفّرين حيث حكموا على المعنى الفاسد بالصلاح، فاسمعوا إن كنتم سامعين.

* المائدة: ١١٨

ثم مع ذلك قد جاء في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه في معنى التوفي شرح واضح فقال: متوفيك: مميتك، وتبِعه سائر الصحابة والتابعين ومن تبعهم، و لم يشذّ أحد منهم بخلاف، فأي دليل يكون أوضح من هذا إن كان رجل من الطالبين؟

وقد ذكرت آنفا أنّا لو فرضنا على سبيل التنـــزل وقلنا إن التوفي ههنا.. أعني في آية: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ بمعنى الإنامة.. لكانت هذه الواقعة واقعة أخرى، ولا ينفع الاستدلال بها قوما مخالفين. فإن مطلوب المخالفين من خبطهم أن يُثبتوا رفع المسيح مع جسمه العنصري، ولكن لا يحصل هذا المطلوب من هذا المعنى، بل يحصل ما يُخالفه؛ فإن معنى الآية في هذه الصورة يكون هكذا: يا عيسى إني قابض روحك وتارك جسدك على الأرض مع بقاء علاقة بين الجسد والروح، فإن النوم عبارة عن قبض الروح وترك الجسد مع بقاء علاقتهما على وجه تام. فانظر.. أنّى يحصل مطلوب المخالفين من هذا المعنى؟ وأين يثبت منه رفع جسد عيسى عليه السلام إلى السماء، بل الأمر بقِي على حاله مع حمل معنى التوفي على غير محله. ولا شك أن كل منصف يفهم قولنا هذا وينتفع به إلا الذي لم يبق إنصافه على صرافته، واختلطت به ظلمة التعصب ودخان الحقد، فلا ينفع الدلائل والبراهين قوما متعصبين.

ثم إن دققتَ النظر في هذه الآية، وتحملها على أحسن وجوهها ومعانيها، فلا يخفى عليك أن مفهومها وسياق عبارتها يدل على وفاة

المسيح كما يدل عليه منطوقها، فإن الله قد ذكر بعد قوله: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ كلماتٍ فيها تسلية للمسيح وتبشير له وإخبار عن أيامِ فتحِ متّبعيه وغلبتِهم على أعدائهم بعد وفاته؛ وهذا دليل واضح على أن موت عيسى عليه السلام كان قبل نصر من الله وقبل غلبة كان ينتظرها ويسأل الله فتحه.

والأصل في هذا الباب أن الله قد فطر أنبياءه على أنهم يحبّون أن تُعلى كلمة الحق على أيديهم، ويُجمَع شمل أمتهم بهم أمام أعينهم، ويريدون أن تهلك الملل كلها إلا الحق، وكذلك جرت عادة الله تعالى بهم، فإنه قد يُريهم غلبتهم وفتحهم وذلة أعدائهم ولا يتوفاهم إلا بعد الفتح المبين. ونظير ذلك سوانح رسولنا ﷺ، فإن الله لما رأى أن الكفار يكذّبون رسوله ويتلاعبون بوحي الله ويستهزئون ويؤذون.. فأيّد نبيّه ونصره وأخزى كل من عاداه وأهلكه حتى ماز الخبيثَ من الطيب، وأرى نبيَّه أن الناس يدخلون في دين الله أفواجا، وأراه أن الحق قد حق وأن الباطل قد بطل، وتبين الرشد من الغي وظهرت ذلة المفسدين.

وقد تقتضي حكمة الله تعالى ودقائق مصالحه أنه يتوفى نبيًا قبل مجيء أيام فتحه وإقباله، فلا يتوفاه حزينا يائسا، بل يبشّره بتبشيرات متوالية متتابعة بغلبة متّبعيه بعد وفاته، ليطمئن بها قلبه، ولكي لا يحزن ولكي لا يرجع إلى ربه بقلب أليم، بل ينتقل من هذا العالم بسكينة وسرور وحبور وقرة عين، ولا يبقى له همٌّ بعد تبشير الله

ومواعيده الصادقة، ويذهب إلى ربه فرحان غير حزين. فكذلك كان أمر عيسى عليه السلام.. فإنه ما رأى غلبة في زمن حياته، واقترب يوم وفاته فبشره الله تعالى بغلبة متّبِعيه بعد موته، وما بشره بغلبة في أيام حياته، فارجِعْ إلى الآية المتقدمة ودقّق النظر فيها.. هل ترى في هذا المعنى من فتور؟ فكأنه قال في هذه الآية يا عيسى إني متوفيك قبل أن ترى ظفرك وفتحك وغلبتك، وإني معطيك مقام العزة والرفع والقرب على خلاف زعم اليهود، فلا تبتئس بما تموت قبل رؤية غلبتك، ولا تخش على ضعف متبعيك وكثرة أعدائك، فإني خليفتك بعدك، فأمزق أعداءك كل ممزق، وأستأصلهم للأبد، وأجعل الذين اتبعوك وتصدوا لخلافتك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، هذا تفسير ما قال أحسن القائلين.

ولو كان عيسى نازلا من السماء في وقت من الأوقات لما قال كذلك، بل قال يا عيسى لا تخف ولا تحزن، فإنّا لا نميتك بل نرفعك حيا إلى السماء، ثم إنّا نُنــزلك إلى الأرض ونردك إلى أمتك، ونجعلك غالبا على أعدائك، ثم نجعل متّبعيك غالبين عليهم إلى يوم القيامة، فلا تحسب نفسك من المغلوبين. ولكن الله ما وعد له أن يُنــزله من السماء، ثم يجعله غالبًا على أعدائه، بل وعد له أن يجعل متبعيه غالبين على الكافرين إلى يوم القيامة، ففعل كما وعد ومضى عليه قرون كثيرة.

وأما النــزول فشيء لا ترى أثره إلى هذا الوقت، فتفكر.. لِم ما

نزل مع أن عمر الدنيا قد بلغ إلى آخر الزمان؟ فالسر الكاشف لهذا الإشكال هو أن النـــزول ما كان داخلا في مواعيد الله بل كان من مفتريات الطبائع الزائغة والأفكار المخطئة، فما خرج من زاوية العدم لأنه ما كان من الله تعالى، والمواعيد التي كانت من الله تعالى ظهرت كلها وتمت. ألا ترى أن الله تعالى كيف بعث رسولا أُمّيًّا بعد عيسى ليُصدق وعده، أعني قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؟ ثم كيف جعل متّبعي عيسى عليه السلام غالبين على اليهود ليصدق وعده: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ .. الخ﴾. فلو كان وعد النـــزول جزءا من هذه المواعيد لظهر معها، فانظرْ أين غاب وانعدم وعدُ النـــزول مع ظهور أجزاء أخرى. فوالذي نفسي بيده إن هذا الذي قلت هو الحق، وأما عقيدة النـــزول فليس من أجزاء هذه المواعيد، وما ذُكِر معها في القرآن، بل لا يوجد أثر منه في كتاب الله وإن هو إلا وهم المتوهمين. فلما تبيّن الحق فلا تَرَ الحق بعين الاحتقار والازدراء، واتق الله وكن من المتورعين. ولا تجدُ في القرآن إشارة إلى حياته بل القرآن يخبر عن وفاته بعدما ترعرع وتكلّمَ كهلاً، وبُعث وبلّغ رسالات الله وأتم حجته على المنكرين.

فأيها الناس! لا تكتموا شهادات الحق في وقت تبيينها، ولا تفسدوا في الأرض، وتَوادّوا ولا تَباغـــضوا، وأْتَمِروا بينكم في المعروف ولا تعاصوا، واتّبعوا الحق ولا تعتدوا، وفكِّروا في أنفسكم ولا تعجلوا، وإني أذكّركم الله ربكم فاتقون إن كنتم مؤمنين.

واعلموا أن الله يعلم ما تكتمون وما تقولون، ولا يخفى عليه خافية، فالذي عتا عن أمر ربه وعصاه فسوف يُريه عذابا نُكرًا، ويحاسبه حسابا شديدا، ويذيقه وبال أمره، ويُدخله في الهالكين.

لا يقال إن الجملة الآتية في الآية المتقدمة.. يعني ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ يدل على رفع الجسد بعد الإنامة، فإنه لما ثبت وتحقق أن معنى التوفي قبض الروح فقط لا قبض الجسم، ثبت من ههنا أن الرفع يتعلق بالروح لا بالجسم، فإن الله لا يرفع إلا الشيء الذي قبضه، ومعلوم أن الله لا يقبض الأجسام بل يقبض الأرواح فقط. وأنت تعلم أن القرآن يشهد على هذا في كل مواضعه، ولن تجد في القرآن لفظا من ألفاظ التوفي الذي كان معناه رفع الجسم مع الروح، وكذلك جرت عادة الله تعالى من يومِ خلقِ آدم إلى هذا اليوم، فإنه يقبض الأرواح ويترك الأجسام مطروحة على الأرض أو السرر أو الفُرش. فالشيء الذي ما قبضه الله تعالى.. كيف يُرفع إليه؟ فإن القبض شرط ضروري للرفع.

ثم إذا تفحصنا عن ألفاظ التوفي في القرآن فوجدناها في خمسة وعشرين موضعا من مواضعه، ولكن الله لم يستعمله في موضع إلا بمعنى قبض الروح. فانظر القرآن من أوله إلى آخره.. هل تجد فيه معنى يُخالف هذا البيان؟ وانظر في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا

صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾⊙، وفي قوله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ﴾◈، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾☆، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾●، وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾❃، وفي قوله تعالى: ﴿إذا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾✸، وفي أقوال أخرى. وتأمّلْ في هذه الألفاظ.. أعني التوفي.. هل تجد معناه الإماتة في هذه الآيات أو معاني أخرى؟ وأما نظائره في الصحاح الستّة وأحاديث أخرى وكلام الشعراء فلا تُحصى كثرةً، ففكّرْ ولا تكن من المستنكرين. وينبغي أن تحتاط في فكرك ولا تجيب كالمستعجلين.

واعلموا أن الذين خالفوا بياننا هذا وقالوا إن التوفي في آية: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ وفي آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ إنما جاء بمعنى الرفع مع الجسد، فهو قول لا دليل عليه، وما نصّوا على ذلك، وما استدلوا بمحاورة كلام الله وتفسير رسوله أو أصحابه أو شهادة أحد من أهل اللسان، فلا شك أنه تحكُّمٌ محضٌ كما هو عادة المتعصبين.

وإذا ثبت أن لفظ التوفي في القرآن في كل مواضعها ما جاء إلا للإماتة وقبض الروح، فما ظنك في هذا اللفظ الذي جاء في آية: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾؟ أهو عندك مثل هذه الألفاظ التي تجدها

⊙ الأعراف: ١٢٧ ◈ يوسف: ١٠٢ ☆ يونس:٤٧ ● يونس:١٠٥

❃ النساء:١٦ ✸ الأعراف:٣٨

في القرآن بمعنى الإماتة وقبض الروح بالتواتر والتتابع في كل موضع من مواضعه؟ أم له معنى مخصوص الذي لا يوجد في القرآن مثله ولا في حديث ولا في قول صحابي، ولا في كلمات بلغاء العرب وشعرائهم من الأولين والآخرين؟ فإن كنت تظن أن لهذا المعنى الذي نحته العلماء في لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ بالتكلفات الباردة الركيكة أمثالا أخرى في لسان العرب والقرآن المجيد وأحاديث رسول الله ﷺ فأْتِ بها إن كنت من الصادقين. وإن لم تأتوا بها.. ولن تأتوا بها.. فاتقوا الله الذي إليه تُرجَعون ثم تُسألون عما تعلمون وتعملون، والله يعلم ما في صدور العالمين.

وبوجه الله وعزّته.. إني قرأت كتاب الله آيةً آيةً وتدبرت فيه، ثم قرأت كتب الحديث بنظر عميق وتدبرت فيها، فما وجدت لفظ التوفي في القرآن ولا في الأحاديث - إذا كان الله فاعله وأحد من الناس مفعولا به - إلا بمعنى الإماتة وقبض الروح. ومن يُثبت خلاف تحقيقي هذا فله ألف من الدارهم المروَّجة إنعاما مني، كذلك وعدتُ في كتبي التي طبعتها وأشعتها للمنكرين وللذين يظنون أن لفظ التوفي لا يختص بقبض الروح والإماتة عند استعمال الله لعبد من عباده بل جاء بمعنى عام في الأحاديث وكتاب رب العالمين.

والحق أن لفظ التوفي إذا جاء في كلام وكان فاعله الله، والمفعول به أحد من بني آدم صريحا أو إشارة، مثلا إذا كان الكلام هكذا: توفى الله زيدا، أو توفى الله بكرا، أو تُوُفي خالد، فلا يكون معناه في

لسان العرب إلا الإماتة والإهلاك، ولن تجد ما يُخالفه في كلام الله ولا في كلام رسوله ولا في كلام أحد من شعراء العرب ونوابغهم. فانظرْ إلى كل جهة هل صدقنا في قولنا هذا أم كنا من الكاذبين. وقد أطنبنا في تقريرنا هذا ليتدبر من كان من المتدبرين.

والعجب من بعض الجهلاء أنهم إذا سمعوا منا هذه الحجة فما قبلوها كالمسترشدين، بل نهضوا معارضين، وقرأوا آية: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ ونحوها نقضًا منهم، ولم يعلموا مِن حمقهم وشدة جهلهم أنَّ هذه الآيات التي يقرأون ردًّا علينا هي كلها من باب التفعيل لا من باب التفعل الذي هو محل النـــزاع. فانظر كيف يسعون هؤلاء إلى كل جهة ليطفئوا نور الحق، ثم انظر كيف ينقلبون خائبين. وكأيّن من آية في القرآن يقرأونها ثم يمرون عليها غافلين، وأبطرَهم كثرتُهم فيظلمون الضعفاء متكبرين.

واعلم.. حماك الله وحفظك ورَحَضَ درن أوزارك.. أن للمخالفين اعتراضات أخرى قد نشأت من سوء فهمهم وقلة تدبرهم، فأردنا أن نكتبها في كتابنا هذا مع جوابها لينتفع بها كل من كان رشيدا من الناس، مُصطفى مُبرَّأً من دنس التعصب وكان من الطالبين.

فمنها أنهم يقولون إن الملائكة ينـــزلون إلى الأرض كنـــزول الإنسان من جبل إلى حضيض، فيبعُدون عن مقرهم، ويتركون مقاماتهم خالية إلى أن يرجعوا إليها صاعدين. هذه عقيدتهم التي

يبيّنون، وإنّا لا نقبلها ونقول إنهم ليسوا فيها على الحق. فاشتد غيظهم وقالوا إن هؤلاء خرجوا من عقائد أهل السُنّة والجماعة، بل كفروا وارتدوا، فقاموا علينا معترضين.

وأما الجواب فاعلم أنهم قد أخطأوا إذ قاسوا الملائكة بالناس، ولا يخفى على الذي خُلق من طينة الحرية، وتفوَّقَ دَرَّ الدراية اليقينية، أن الملائكة لا يشابهون الناس في صفة من الصفات أصلا، ولم يقم دليل من الكتاب ولا السُنّة ولا الإجماع على أنهم إذا نزلوا إلى الأرض فيتركون السماوات خالية كبلدة خرجت أهلها منها ويقصدون الناس بشقّ الأنفس، ويصلون الأرض بعد مكابدة الأسفار وآلامِ بُعدِ الشُقّة ومتاعبها وشدائدها، ومعاناةِ كل مشقة وجهد، بل القرآن الكريم يبيّن أن الملائكة يشابهون بصفاتهم صفاتِ الله تعالى كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[⊙]، فانظر.. رزقك الله دقائق المعرفة.. أنه تعالى كيف أشار في هذه الآية إلى أن مجيئه ومجيء الملائكة ونزوله ونزول الملائكة متحد في الحقيقة والكيفية. ولا حاجة إلى أن نذكّرك ما ثبت من نزول الله تعالى من العرش في الثلث الآخر من الليل فإنك تعرفه، ومع ذلك ما أظن أن تحمل ذلك النزول على النزول الجسماني وتعتقد أن الله تعالى إذا ما نزل إلى السماءِ الدنيا فبقِي العرش خاليا من وجوده. فاعلم أن نزول الملائكة

[⊙] الفجر: ٢٣

كمثل نزول الله كما تشير إليه الآيات المتقدمة، والله أدخلَ وجود الملائكة في الإيمانيات كما أدخل فيها نفسه وقال: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ والْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾◈، وقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلا هُوَ﴾✯. فبيّن للناس أن حقيقة الملائكة وحقيقة صفاتهم متعالية عن طور العقل، ولا يعلمها أحد إلا الله، فلا تضربوا لله ولا لملائكته الأمثال وأْتوه مسلمين.

وأنت تعلم أن كل مسلم مؤمن يعتقد أن الله ينـــزل إلى السماء الدنيا في الثلث الآخر من الليل مع وجوده واستوائه على العرش، ولا يتوجّه إليه لومُ لائم ولا طعنُ طاعن لأجل هذه العقيدة، بل المسلمون قد اتفقوا عليها وما حاجّهم أحدٌ من المؤمنين. فكذلك الملائكة ينـــزلون إلى الأرض مع قرارهم وثباتهم في مقامات معلومة، وهذا سرٌّ من أسرار قدرته، ولولا الأسرار لما عُرف الرب القهّار. ومقامات الملائكة في السماوات ثابتة لا ريب فيها كما قال عزّ وجلّ حكاية عنهم: ﴿وَمَا مِنَّا إلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾●. وما نرى في القرآن آية تشير إلى أنهم يتركون مقاماتهم في وقت من الأوقات، بل القرآن يُشير إلى أنهم لا يتركون مقاماتهم التي ثبّتهم الله عليها، ومع ذلك ينـــزلون إلى الأرض ويُدركون أهلها بإذن الله تعالى، ويتبرزون في برزات كثيرة، فتارة يتمثلون للأنبياء في صور بني آدم، ومرة يتراءون

◈ البقرة:١٧٨ ✯ المدّثّر:٣٢ ● الصافات:١٦٥

كالنور، وكرّة يراهم أهل الكشف كالأطفال وأخرى كالأمارد، ويخلق لهم الله في الأرض أجسادًا جديدة غير أجسادهم الأصلية بقدرته اللطيفة المحيطة، ومع ذلك تكون لهم أجساد في السماء، وهم لا يفارقون أجسادهم السماوية، ولا يبرحون مقاماتهم، ويجيئون الأنبياءَ وكل من أُرسِلوا إليه مع أنهم لا يتركون المقامات. وهذا سر من أسرار الله فلا تعجب منه، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير، فلا تكن من المكذبين.

وانظر إلى الملائكة.. كيف جعلهم الله كجوارحه، وجعلهم وسائط قدره في الأمور وكُنْفَيَكُونِيّتِهِ* في كل أمر، ينفخون في الصور على مكانتهم، ويبلّغون صيحتهم إلى من يشاءون، ولا يعجز أحد منهم عن أن يدرك كلَّ من في المشارق والمغارب في طرفة عين أو في أقل منها، ولا يشغله شأن عن شأن. فانظروا مثلا إلى ملك الموت الذي وُكِّل بالناس.. كيف يقبض كل نفس في الوقت المقدر، وإن كان أحد من الذين يُتَوَفَّون في آن واحد في أقصى المشرق والآخر في منتهى بلاد المغرب. فلو كانت سلسلة هذا النظام الإلهي موقوفة على نقل خطوات الملائكة من السماء إلى الأرض، ثم من بلدة إلى بلدة، ومن مُلكٍ إلى مُلكٍ، لفسد هذا النظام الأمريّ، ولتطرّقَ حرج عظيم في أمور قضاء الله وقدره، ولَمَا كان لمَلَكٍ عند

* *لقد ورد في النص فوق هذه الكلمة الجملة التالية: "وهذا لفظ مركب من كن فيكون". (الناشر)*

انتقاله من مكان إلى مكان أن يأمن إضاعة الوقت وفوت الأمر المقصود، ولَوَرَدَ في وقت من الأوقات مورد العتاب، ولأُرْهِقَ في يوم من الأيام بعتبة رب الأرباب، لأجل ما فاته فعلُ الأمر على وقته، ولأُخِذَ بأنواع العقاب. وأنت تعلم أن شأن الملائكة منـــزّهٌ عن هذا، وهم يفعلون من غير مُكْثٍ، وفعلُهم فعلُ الله من غير تفاوت، فتدبر ولا تكن من الغافلين.*

ثم تدبر.. نصرك الله ورزقك الإقبال على المعارف.. أن الملائكة أعظم جسما من كل ما في السماوات والأرض كما ثبت من

* ههنا سؤال ينشأ طبعًا في كل فهم سليم، وهو أن الملائكة.. هل يستطيعون أن يفعلوا ما أُمِروا في مقدار وقت لا يكتَفي◈ لانتقالهم من مكان إلى مكان، بل يمضي قبل أن يقوموا من مقامهم أو لا؟ فإن قيل في جوابه أنهم يستطيعون، فالنـــزول عبث وداخل في تضييع الأوقات، بل هو من أمارة العجز، بل الحق إنه نوع من العصيان والغفلة، ومن غفل متعمدا فقد عصى. فإن قيل أنهم لا يستطيعون.. فهذا يوجب أن ينتظر الله تعالى مطلوبه إلى مدةِ نزول الملائكة إلى الأرض، ولا يخفى فساد هذا القول على العقلاء، فإن نقص الانتظار على الله مُحال، ولا يصح عليه أن يتطرق في إرادته حرجٌ وفي مشيئته توقُّفٌ، ويأتي عليه زمان كالمنتظرين. فإن الوقت مقدار غيرُ قارٍّ، فلا شك أن وقت النـــزول غير جزء الذي كان هو وقت المقام وسماع الكلام من الله العلام، وأنت تعلم أنما أمره إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون. أتحسبون أن ملائكة الله كانوا أقل همة وقوة من صاحب سليمان الذي ما قام من مجلسه وما نُقل إلى مكان وأتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف سليمان؟ فتدبر، والإشارة مكتفية● للعاقلين. منه.

===============

◈ *يبدو أنه سهو، والصحيح: "يكفي". (الناشر)*

● *يبدو أنه سهو، والصحيح: "كافية". (الناشر)*

النصوص القرآنية والحديثية، فلا شك أنه لو نزل أحد منهم إلى الأرض بجسمه العظيم القوي لغشِي الأقاليم كلها، وأهلك أهلها، وما وسعته الأرض. فالحق أنهم ينـــزلون كنـــزول تمثلي، ولا تنـــزل أجسامهم الأصلية من السماوات، ولكن الله يخلق لهم أجسادًا أخرى على الأرض بحيث تسعها الأرض، وتقتضيها المعدات الخارجية بقدرٍ تدركه أبصار المبصرين. ففكر في قولنا هذا كما هو شرط الفكر ولا تعجل، بل تكلَّفْ للفهمِ لبثةً، وانظر كلامي هذا بنظر الإنصاف كرّةً، وتَفتّشْ حقيقةَ كلمتِي مرّةً، واستمعْ عني نفثتِي تارةً، ثم لك الخيار من بعد، وبيدك القبول والرد.

وحاصل قولنا أن الملائكة قد خُلقوا حاملين للقدرة الأبدية الإلهية، منـــزّهين عن التعب واللغب والمشقة، ولا يجوز عليهم مشقة السفر وتعبُ طيّ المراحل، والوصول إلى المنازل والمقاصد بشق الأنفس وصرف الأوقات، فإنهم بمنـــزلة جوارح الله لإتمام أغراضه بمجرد إرادته من غير مكث، فلو كان نزولهم وصعودهم على طرزِ صعود الإنسان ونزوله، لاختل نظام ملكوت السماوات وفسد كل ما فيهما، ولعادَ كل هذا النقص إلى الله الذي أقامهم مقامه في المهمات الربوبية والخالقية وغيرهما، فإنهم مدبّرات أمره، والحافظون من لدنه على كل شيء، وإنما أمرهم إذا أرادوا شيئا فيكون الشيء المقصود من غير توقف. فأنّى ههنا السفر؟ وأين طيّ المراحل وترك

المقامات والنـــزول إلى الأرض بصرف وقت؟ فلا تُمارِ في هذا ولا تَسْتَفْتِ الذين اعتراهم جنون التعصب فكانوا بجنونهم محجوبين.

وقد ثبت من رسول الله ﷺ ما يؤيد قولنا هذا من عدم نزول الملائكة، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: ما في السماء موضع قدم إلا عليه ملَكٌ ساجد أو قائم، وذلك قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ ⊙.

فاعلم.. رحمك الله.. أن هذا دليل قطعي على أن الملائكة لا يتركون مقاماتهم، وإلا فكيف يصح أن يُقال إنه لا يوجد في السماء موضع قدم إلا عليه ملَكٌ؟ وكيف تبقى هذه الصورة عند نزول الملائكة إلى الأرض؟ ألا تعتقدون أن لجَبْرَئِيل جسم◈ يملأ المشرق والمغرب؟ فإذا نزل جبرائيل بذلك الجسم العظيم إلى الأرض وبقيت السماء خالية منه، ففَكِّرْ في مقدارٍ خالٍ وتذكَّرْ حديثَ "موضع قدم"، وكن من المتندمين.

ثم إذا فكرت في سورة ليلة القدر فيكون لك ندامة وحسرة أزيد من هذا، فإن الله عز وجل يقول في هذه السورة أن الملائكة والروح تنـــزلون❁ في تلك الليلة بإذن ربهم، ويمكثون في الأرض إلى مطلعِ الفجر، فإذا نزلت الملائكة كلهم في تلك الليلة إلى الأرض فلزم بناءً

⊙ *الصافات: ١٦٥*

◈ *سهو، والصحيح: "جسمًا". (الناشر)*

❁ *سهو، والصحيح: "ينـــزلون". (الناشر)*

على اعتقادك أن تبقي السماء كلها خالية بعد نزولهم، وهذا كما تقدم في حديثِ "موضع قدم"، فلا تنقل قدمك إلى الضلالة البديهة وأنت تعلم أن الرشد قد تبـــيّن من الغي، ولن تستطيع أن تُخرج لنا حديثًا دالاًّ على أن السماء تبقى خالية بعد نزول الملائكة إلى الأرض، فلا تجترئ على الله ورسوله، ولا تقفُ ما ليس لك به علم فتقعد ملوما مخذولا، وتدخل في الضالين.

إن الذين يطلبون سبل الله لا يُصرّون على ما قالوا أو فعلوا، وإذا رأوا أنهم قد ضلوا فرجعوا إلى الحق مستغفرين، هنالك ترى أعينهم تفيض من الدمع ربنا اغفِرْ لنا إنّا كنا خاطئين، فيغفر لهم ربهم ويتوب عليهم رحمة وفضلا، والله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

واعلم أن الله ورسوله، الذي أُوتيَ جوامعَ الكَلِمِ، كثيرا ما يستعملان استعارات في الكلام، فيغلط فيها رجل لا ينظر حق النظر، والذي يفسّرها قبل وقتها ويعتقد أنها محمولة على الظاهر وما هي محمولة عليه، ولكنه يُخطئ لدخله قبل وقت الدخل، فيصرّ على خطئه أو تدركه عناية الله فيكون من المبصرين.

قد جرت عادة الله تعالى أنه قد يكون في أنبائه المستقبلة ومعارفه الدقيقة اللطيفة المزيَّنة بالاستعارات أجزاءٌ تُبلى بها الناس، فالذين يكون في قلوبهم مرض فيزيدهم الله مرضا بتلك الابتلاءات، فيستعجلون ويكذّبون كلام الله.. أو يكذّبون الذي رزقه الله علمه.. ظلمًا وعُلُوًّا ولا يتدبرون خائفين. ثم إذا ظهرت براءته وأنارت

حجته، فيرجعون إليه متندمين، أو يموتون في هوّة التعصب، ويستغني الله والله غنيّ عن العالمين. وأما من أوتي فراسة من عند الله ونُوِّرَ من لدنه، فيمهر في العلم الإلهي، ويعرف الحقيقة، وينظر بنور الله، ويرزقه الله إصابة المحفوظين.

ولنرجعْ إلى كلامنا الأول فنقول إن الله تبارك وتعالى قال في كتابه المحكم: ﴿**إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾⊙، فلما كانت الملائكة حافظين لنفوس النجوم والشمس والقمر والأفلاك والعرش وكل ما في الأرض، لزم أن لا يفارقوا ما يحفظونه طرفة عين، فانظر كيف ظهر من هذا الأمرُ الحقُّ، وبطل ما زعم الزاعمون من نزولهم وصعودهم بأجسامهم الأصلية. فلا مفر إلى سبيل من قبولِ دقيقةِ المعرفةِ التي كتبناها.. أعني أن الملائكة لا ينــزلون بنــزول حقيقي، ولا يرون وعثاء السفر، بل إذا أراد الله إراءهم في الناسوت فيخلق لهم وجودا تمثليا في الأرض، فتراهم العين التي تسرح في روضات الكشف. ولو لم يكن كذلك للزم أن يرى الملائكةَ الناسُ كلهم عند نزولهم إلى الأرض لقبضِ الأرواح وغيرها من المهمات، وللزم أن يرى مَلَكَ الموت مثلاً كلُّ من تُوُفِّيَ أحدٌ من أقاربه وممن يؤاخيه ومن عشيرته وعقبه وقومه وأصدقائه أمام عينه، فإن جسم الملائكة جسم كأجسام أخرى، فلا وَجْهَ لعدم رؤيتهم مع نزولهم بأجسامهم

⊙ *الطارق:٥*

الأصلية. وأنت تعلم أن خَلقًا كثيرا يموتون أمام أعيننا فلا نرى عند نزعهم وغمـــرةِ موهم الملائكةَ التي تَوفَّتْهم، وما نسمع ما يسألون الموتى وما يكلّموهم. فالحق أن هذا الأمر وأمثاله من عالم المثال الذي ما أراد الله كَشْفَ كُنْهِه على العقول والأعين. وأما نظائر عالم المثال فكثيرة ومنها نزول الملائكة، ومنها ما جاء في الأحاديث أن قبر المؤمن روضة من روضات الجنة أو حفرة من حفر النار، ومنها ما جاء في بعض الأحاديث أن الله يكشف لمؤمن غرفة إلى الجنة في قبره، ويكشف لكافر غرفة إلى جهنم، ولكنا ربما نزور القبور أو نحفر أرضها فلا نرى غرفة إلى الجنة أو إلى جهنم، ولا نرى فيها شجرة واحدة فضلا عن الروضات، ولا جمرة من النار فضلا عن النيران الموقدة المحرقة، ولا نرى هناك ميتًا قاعدا عائشا بعد الموت، كما أخبر عن قعود الموتى وحياتهم عند السؤال والجواب، بل نرى ميتًا مُكفَّنًا قد أكلت الأرض لحمه وكفنه. وقد جاء في الأحاديث أن الشهداء يُرزَقون من ثمرة الجنات وألبانها وشرابها الطهور، ولكنا لا نرى في قبورهم.. التي هي روضة من روضات الجنة.. من ثمرة أو ريحان أو من قدح لبن أو كأس خمر. وربما لا ندفن الموتى إلى أيام فلا نرى مجيء الملائكة عندهم ولا ذهابهم. وقد أخبر الله تعالى في كتابه أن الملائكة يضربون وجوه الكفار، ولكنا لا نرى مِلكًا ضاربًا ولا أثر الضرب، ولا نسمع صراخ المضروبين. وقد جاء في بعض الأحاديث أن الطفل الرضيع إذا مات قبل تكميل أيام الرضاعة فتتم

أيامها في القبر، ولكنا لا نرى مُرضِعًا قاعدة في القبر، ولا طفلا يمصّ لبنها. وقد جاء في بعض الآثار أن قبر المؤمن يُوسَّع عليه بمقدار كذا وكذا، ولكنا لا نرى أثرا من ذلك التوسيع، بل نراه كقبرِ كافر مِن غير تفاوُت سعة وضيق، فكيف ندعي الحقيقة ولا نرى آثارها؟ وكذلك قيل إن الشهداء أحياء يأكلون ويشربون ولكنا لا نرى أنهم لاقوا الناس كالأحياء ووثبوا من قبورهم ورجعوا إلى دورهم. فلو كانت هذه الأمور - أعني نزول الملائكة، وتوسيع قبور المؤمنين ووجود الجنات فيها، وقعود الموتى في القبور أحياءً، وغيرها التي يوجد ذكرها في القرآن والأحاديث - من الأمور الحقيقية الحسيّة التي هي من هذا العالم لا من عالم المثال.. لرأيناه كما نرى أشياء أخرى التي توجد في هذه الدنيا. وأنت تعلم أن أحدا منّا لا يرى هذه الواقعات بعين يرى بها أشياءَ هذا العالم، فإنّا نرى أشجار هذا العالم وبساتينها عن بعيد، ونرى ثمراتها معلقة بأغصانها، ولكنا إذا كشفنا قبر شهيد من الشهداء فلا نجد فيها أثرا منها، وقد آمنّا بأن قبورهم أُودِعَت لفائف النعيم، وضُمِّخت بالطيّب العميم، وسيقَ إليها شربٌ من تسنيم، وأريج نسيم، وفيها روضة من روضات الجنة، وكأس من كأس اللبن والخمر، ولكنّا ما شاهدنا شيئا منها بأعيننا، ولا تحسسناه بحاسّة أخرى، فلم نجد بُدًّا من تأويل، فقلنا إن هذه الأمور كلها.. أعنى نزول الملائكة ونزول الجنة وغيرها.. متشابهة يشابه بعضها بعضا، ولا شك أن لها حقيقة واحدة من غير

اختلاف وتفاوت، ولا شك أن هذه الواقعات كلها منسلكة في سلك واحد. فتبصَّرْ تسترحْ من سهام المعترضين، ولا تركنْ إلى الذين ظلموا واكتسَوا ثوب الذل والخطأ بعدما تبين الرشد من الغي، واتبعْ قولا قد انكشف كل الانكشاف ومزِّقْ رقعةَ تقليد الجهلاء شَذَرَ مَذَرَ، ولا تبالِ أعَذَلَ أحدٌ أو عَذَرَ، وكنْ من الذين يقومون لله قانتين.

ولا بد لك أن تؤمن وتعتقد أن نزول الملائكة، وحياة الموتى في قبورهم، وقعودهم في أجداثهم، ووجود الجنة والسعير فيها، ليس من واقعات هذا العالم ولا من مدركات هذه الحواس، بل هي من عالم آخر، ولا ينبغي لأحد أن يحملها على واقعات هذا العالم، أو يقيس عليه حقائقَ تلك◈ العالم، بل هي أمور متعالية عن طور هذا العالم ومُدرَكاته، ولا يعلم كُنْهَها إلا الله. فلا تضربْ لها الأمثال ولا تكن من المعتدين.

وأنت تعلم أن الله تعالى ما قال في كتابه إن الملائكة يشابهون الناس في صعودهم ونزولهم، بل أشار في كثير من مقامات كتابه المحكم إلى أن نزول الملائكة وصعودهم كنـــزوله تعالى وصعوده. ولا يخفى عليك أن الله تعالى ينـــزل في الثلث الأخير من الليل إلى السماءِ الدنيا، فلا يقال إن العرش يبقى خاليًا عند نزوله. وكذلك

◈ *سهو، والصحيح: "ذلك". (الناشر)*

أشار الله في كتابه إلى نزوله في ظُلل من الغمام مع الملائكة المقربين، فإذا حل الله الأرض مع جميع ملائكته.. فإن كان هذا النـــزول كنـــزول الأجسام فلا بد لك أن تعتقد أن العرش والسماوات تبقى خالية يومئذ.. ليس فيها الرحمن ولا ملائكته. فَادَّكِرْ إن كنت من المدّكِرين، وأحسِنِ النظر إلى ما قلنا، واستعِدّ لقبول المعارف إن كنت من الطالبين.

أفتظن أن السماء لا تبقى على حالة واحدة.. فقد تكون مملوّةً من الملائكة.. مكتظّة بحفلهم، وقد تكون كمواضع خالية ليس أحد فيها؟ فإن كنت تصدّق هذه العقيدة الباطلة وتصرّ على نزول الملائكة بأجسامهم، فعليك أن تُثبِتها من النصوص القرآنية أو الحديثية كما ادعيتَها أو تتوب كرجال متقين.

وقد جاء في بعض الأحاديث أن جبرائيل عليه السلام مكث على الأرض مع عيسى عليه السلام إلى ثلاثين سنة ما فارقَه في وقت، وجاء في أحاديث أخرى أنه لا يَلقَى الوحيَ إلا حالَ كونه في السماء، ويَلقَى الوحي مِن لدن ربّه ثم يُطلِع عليه آخرين. فهذه مصيبة أخرى عليك، ولن تقدر على تطبيق هذه الأحاديث وتوفيقها.

وربما يختلج في قلبك وهمٌ وتقول إني لست قائلا بخلوّ السماوات بعد نزول الملائكة. فيُقال لك إنك تنسى عقيدتك؛ ألستَ تعتقد أن الملائكة ينـــزلون بنـــزول حقيقي؟ فلزمك من هذا أن تقول إنهم ينـــزلون بأجسامهم الأصلية، وأنت تعلم أن نزولهم بأجسامهم

الأصلية يستلزم خُلوَّ السماوات بعد النـــزول. وإن كنت تعتقد أن الملائكة لا ينـــزلون بأجسامهم الأصلية بل يخلق الله لهم في الأرض أجساما أخرى التي لا تُدرَك ولا تُرى، فهذا هو مذهبنا. ولكنك إذا أصررت على نزولهم بأجسامهم الأصلية فهذا قول يُخالف القرآن العظيم، لأن القرآن يُدخِل وجودَ الملائكة في الإيمانيات، ويجعل لهم مقامات معلومة في السماء.. أعني المقامات التي أقامهم الله عليها، ولا يذكر أنهم يتركون مقاماتهم في حين من الأحيان. وأمّا ذكر نزولهم فهو كذكر نزول الله، لا تفاوُتَ بينهما، فمنهم الصافُّون، ومنهم المسبِّحون، ومنهم الراكِعون ومنهم الساجدون، ومنهم القائمون كما أشار إليه القرآن، وليس أحد منهم قاعدا كالفارغين. فإذا نزل أحد منهم بجسمه العنصري.. فلزم أن يترك مقامه خاليًا ويخرُج مِن صفّه، ويبعد عن مقام تسبيحه أو ركوعه أو سجدته الذي أقامه الله عليه، وينـــزل إلى الأرض كالمسافرين، وما نرى في القرآن أثرًا من هذا التعليم، بل جعل الله نزول الملائكة كنـــزول نفسه، وجعَل مجيئهم كمجيء ذاته. ألا تنظر إلى هذه الآية.. أعني قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾⊙، وقوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلا أَن يَأْتِيهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورِ﴾ ✸. وههنا نكتة أخرى.. وهي أن الله إذا

⊙ *الفجر:٢٣* ✸ *البقرة:٢١١*

نزل إلى الأرض مع ملائكته فلا بد من أن ينـــزل الملائكة كلهم، فإن الملائكة جند الله فلا يجوز أن يتخلف أحد منهم عند نزول رب العرش إلى الأرض، فإذا تقرر هذا فيلزم منه أن تبقى كل سماء من العرش إلى السماء الدنيا خالية عند نزول الله تعالى على الأرض، ليس فيها رب رحيم رب العرش ولا ملَكٌ من الملائكة، واللازم باطل فالملزوم مثله كما لا يخفى على المتفكرين.

ثم إذا فرضنا أن في الأرض مثلا مئة ألف من الأنبياء، بعضهم في المشرق وبعضهم في المغرب، وبعضهم في نواحي الجنوب وبعضهم في أقصى بلاد الشمال، وأمَر الله تعالى لجبرائيل أن يُوحي إليهم كلهم في آن واحد لا يتأخر منه أحد ولا يتقدم؛ أو إذا فرضنا أن الله أمَر مَلَكَ الموت أن يتوفى مئة ألف من الرجال الذين بعضهم في المشرق وبعضهم في المغرب في طرفة عين، لا يقدم ولا يؤخر، فما ظنك أن جبرائيل أو ملك الموت يعجز عن ذلك أو يقدر على إتمام أمر المغرب مع كونه في المشرق، فإن كان قادرا، فكذلك يقدر أن لا ينـــزل من السماء ويفعل كل ما يشاء كالنازلين.

ومثل آخر نستفسرك جوابه.. وهو أن ملك الموت حلَّ بلدة عظيمة من البلاد المشرقية في أيام الوباء ليقبض أرواح سكان تلك البلدة، فاشتدت الضرورة لقيامه فيها إلى الشهرين بما كثرت فيها واقعات الموت مسلسلة متواترة، وما فرغ مِن قبض نفس إلا وجاء وقت قبض نفس أخرى، فحبَسه هذه السلسلة المتواليه المتتابعة فيها،

وما كان أن يتحاماها قبل أن يتوفى أهلَها، فمكث فيها إلى أن تمادى المُقام وامتدت الأيام إلى شهرين، فما بال قوم قد جاء أجلهم في تلك الأيام في البلاد المغربية، وما قدر ملَكُ الموت على أن يصلهم على وقتهم، أهُمْ يموتون مِن غير أن يحضرهم قابض الأرواح أو تطيش سهام مناياهم؟ بَيِّنوا إن كنتم صادقين.

لا يُقال إن ملك الموت قادر على أن يقبض نفوس المغربيين مع كونه مقيما في المشرق.. لأنّا نقول إنه لو كان قادرا على مثل تلك الأفعال لما اضطر إلى النـــزول من السماء وما كان محتاجا إلى سير الأرضين.

وإذا قبلتم وسلمتم أن ملكا من الملائكة يتصرف على كل وجه الأرض مع كونه في بلدة من البلاد، ولا يشغله شأن عن شأن، ويتوفى المشرقي في المشرق مع كونه في المغرب، فأي حرج في ذلك أن تقول إن الملائكة مع كونهم في السماء يتصرفون في الأرض بإذن الله تعالى. فأي ضرورة اشتدت لنـــزولهم مع كونهم قادرين على أن يتصرفوا في سكان مكان مع كونهم في مكان آخر من الأرضين؟

وإن كنت تطلب منّا من مثلٍ ينكشف به عليك مذهبنا فاعلم أنه أمرٌ أرفعُ وأبعدُ عن ضرب الأمثال، وقد يقال تقريبا لا تحقيقا. إن مَثل نزول الملائكة إلى الأرض كمثل نجوم السماء.. تنطبع أشكالها في البحار والأنهار والحياض والمرايا التي قابلتْها، والحق أن أمر النـــزول أمرٌ متعالٍ عن طور العقل وضرب الأمثال، وإن هو إلا

خلق جديد من القادر الذي هو بكل خلقٍ عليمٌ، ولا تدرك الأبصار كُنْهَ حِكمه وكوائف أسراره. فتشبيه نزول الملائكة بنـــزول الناس حمقٌ وضلالة، والإنكار منه إلحادٌ وزندقة، وقبول معنى يليق بشأن الملائكة الذين هم كجوارح الله معرفةٌ تامة وصراط مستقيم، رزَقها اللهُ لنا ولجميع عباده الصالحين.

وهذا من أحسن العبارات عن معنى النـــزول الذي تشابهَ على أكثر الناس، فخُذْها مني شاكرا، فإنها من علوم نفثها الله في روعي وشرح بها صدري، وإنها هي السكينة التي تنطق على لسان المحدَّثين حين يحتاج الخَلق إلى إزالة أوهامهم، فتفكَّرْ ولا تَحِدْ منه إن كنت تطلب سبل اليقين. وقد جعلني الله إمامًا لحل تلك الغوامض، وإن كانت طبيعتي تأبى الإمامةَ وتأنف منها، ولكنه فعَل كذلك فضلا من لدنه ليُحسِن إلى مَن كُذِّبَ ولُعِنَ وكُفِّرَ، ويُحسِن إلى خَلقه، وليُرِي الأعداء أنهم كانوا كاذبين مخدوعين، وليرزقَ أبناءَ الزمان علوما اقتضت طبائعهم كَشْفَها، والله يفعل ما يشاء، ما كان للناس أن يسألوه عما فعل وهم من المسؤولين.

والذي نفسي بيده.. إنه نظَر إليَّ فقبِلني، وأحسن إليَّ وربّاني، وأعطاني من لدنه فهما سليما وعقلا مستقيما. وكم من نور قذف في قلبي، فعرفتُ من القرآن ما لم يعرف غيري، ودركت◈ منه ما لا

◈ سهو، والصحيح: "أدركت". (الناشر)

يُدرك مخالفي، ووصلتُ في فهمه إلى مرتبة تتقاصر عنها أفهامُ أكثر الناس، وإنْ هذا إلا إحسانه وهو خير المحسنين.

ومن اعتراضاتهم أنهم إذا قرأوا كتابي "التوضيح"، ووجدوا فيه مكتوبا أن للشمس والقمر والنجوم تأثيرات يُربّي الله بها كل ما يوجد في الأرضين.. فاعترضوا عليّ وقالوا إن هذه العقيدة عقيدة فاسدة تخالف ما جاءِ في الأحاديث. فيا حسرة عليهم! إنهم ما فهموا معنى الأحاديث، وما فهموا معنى قولي، وقاموا مستعجلين ظانّين ظن السوء، وما استفسروا معنى كلماتي مني كدأب أهل الصلاح، بل امتلأوا غضبًا وغيظا، وردّوا عليّ وكفّروني وأطالوا الألسنة، وقلّلوا الإنظار وأرَوا خبثهم وهِتارهم، وما هتكوا إلا أستارهم، وما كانوا على جهلهم متنبهين.

فاعلموا يا أولي الأبصار الرامقة والبصائر الرائقة، أنّا ما كتبنا في كتاب شيئا يُخالف النصوص القرآنية أو الحديثية، وما تفوَّهْنا به يوما من الدهر، وقد أعاذنا الله من مثل ذلك، ولكنهم يعترضون قبل أن يفهموا، ويحسبوننا ضالين قبل أن يكونوا مهتدين. واللهُ يعلم.. ونُشهد الثَّقَلينِ.. أنّا لا نعتقد أن أحدا من الشمس والقمر والنجوم فاعل مستقل في فعله ومؤثر بذاته، أو له اختيار في إفاضة التأثيرات أو له دخلٌ إراديّ في إيصال الأنوار وإنزال الأمطار وتربية الأبدان والأجسام والثمرات. ولا نعتقد أن أحدا من تلك الأجرام النورانية يستحق الحمدَ والشكر والعبادة على إفاضته، أو له مِنّة وإحسان

على أهل الأرض مثقال ذرّة، أو هو يسمع دعاء الناس ويرضى عن الحامدين. ومن عزا إلينا أمرًا من هذه الأمور فقد ظلمَنا، والله يعلم أنه مفترٍ كذّاب، ومُجاهِرٌ بالقِحَة والفِرْية، ويتّبع سبل الخادعين.

بل نؤمن ونعتقد أن الله أحد صمد، لا شريك له في ذاته ولا في جميع صفاته، لا في السماوات ولا في الأرضين. ومن أشرك بالله شيئًا من أشياء السماء أو الأرض فهو كافر مرتد عندنا، ومُفارِقٌ لدين الإسلام، وداخل في المشركين.

ومع ذلك إنّا نعتقد أن خواص الأشياء حق، وفيها تأثيرات بإذن العليم الحكيم الذي ما خلق شيئا باطلا، ونرى أن في كل شيء خاصية وأثرًا أودعَه الله، حتى البعوضة والذباب والقمّل والدود وما دونها، فكيف نظن أن خلق الشمس والقمر والنجوم هي أدنى من هذه الأشياء وما في طبائعها من خاصة ونفع للناس، وإنما هي باطلة الحقيقة، وخلَقها الله كأشياء◈ عبثٍ ورديٍّ ما أودعَها الله منفعةً عظيمة لعباده إلا القليل الذي يقوم مقامه كثير من الأشياء، كما أنت تزعم في خلق النجوم وتقول إنها علامات هادية للمسافرين. وأنت تعلم أن الناس قد صنعوا وعملوا لأنفسهم لأسفار برّهم وبحرهم طرقا أخرى أغنتْهم عن النجوم، بل ما بقي لهم حاجة إلى هذه العلامات أصلا. ثم إذا أنصفتَ فوجب عليك أن تقول إن

◈ سهو، والصحيح: "كشيء". (الناشر)

الناس لا يحتاجون إلى النجوم كلها ليتخذوها علامات عند أسفارهم إلا إلى كواكب معدودة، وأمّا النجوم التي كثرت عدّها في السماء حتى إنكم لا تستطيعون أن تعدّوها.. فأيّ حاجة للمسافرين إليها؟ بيِّنوا تُؤجَروا إن كنتم لدعواكم مبيّنين، وإن لم تبيّنوا.. ولن تبيّنوا.. فاتقوا الله الذي لا يُحب المبطلين.

وكيف تظن أن الله خلق النجوم باطلة الحقيقة وما خلق فيها تأثيرات عجيبة؟ وإنّا نرى خواصا وتأثيرات في أدنى مخلوقاته.. وكيف نعتقد أن الله الذي وشّح تلك الأجرام بالأنوار الظاهرة، وزيّنها بالصور المنيرة المشرقة المعجبة، لم يلتفت إلى أن يُودع بواطنها أنوارا أخرى.. أعني تأثيرات مما ينفع الناس؟ وقد سخّر الشمس والقمر والنجوم للناس، وأشار إلى أن كل◈ منها خُلق لمصالح العباد، وإلى أن وجود تلك الأجرام من أعظم إحساناته وتفضلاته. وإنه لم يذكر تأثيرات بعض الأشياء في كتابه المحكم وأنها قد ثبتت عند أولي التجارب، فما لنا أن لا نقر بتأثيرات أشياء قد ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم، بل فضّلها على أكثر النعماء وحث عباده على أن يُفكّروا في خلق السماوات والأرض وآياتها وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض وَاخْتلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي

◈ سهو، والصحيح: "كُلاًّ". (الناشر)

الأَلْبَابِ﴾[•]. والحق أن تأثيرات الشمس والقمر والنجوم شيء يراه الخَلق في كل وقت وحين، ولا سبيل إلى إنكارها. مثلا اختلاف الفصول وطبائعها، وخصوصية كل فصل بأمراض مخصوصة ونباتات معروفة وحشرات مشهورة.. شيء تعرفه فلا حاجة إلى تفصيلها. وأنت تعلم أنه إذا طلعت الشمس وفاضت الأنوار فلا شك لهذا الوقت تأثير في النباتات والجمادات والحيوانات، ثم إذا هرم النهار وكاد جُرُفُ اليوم ينهار، ففي ذلك الوقت تاثيرات أخرى. والحاصل أن لبعد الشمس وقربها أثرا جليا وتأثيرات قوية في الأشجار والأثمار والأحجار وأمزجة بني آدم، ولا بد من أن نقرّ بها وإلا فأين نفرّ من علوم حسّيّة بديهة ثابتة عند كل قوم. وكم من خواص القمر يعلمها الدهاقين وأرباب الفلاحة، فيا حسرة على الذين يقولون إنَّا نحن العلماءِ ثم يتكلمون كأرذل الجاهلين.

وقد اتفق الحكماء على أن أعدل أصناف الناس سكّان خط الاستواء، وما هذا إلا لتأثير خاص يكون سببا لكمال صحتهم وزيادة فهمهم وحزمهم. ولا شك أن هذا من العلوم الحسّية البديهة المرئية، ولا يُعرِض عنه إلا الذي لا يحظى بسراج الحجة ويزيغ عن المحجّة، فتعسًا للمعرضين. وقد تقرر في ديننا أن بعض الأوقات مباركة تُجاب فيها الدعوات، وتُسمع فيها التضرّعات.. كليلة القدر

[•] آل عمران: ١٩١

وثُلث الأخير من الليل. وقال المحققون إن في الأوقات التي عُيِّنتْ للصلاة بركات مخفية فلذلك خصّها الله للعبادات، فمن حافظ عليها وقضى كل صلاة بحضور القلب في وقتها فلا شك أنه يُعطى بركاتها ويُصيبه حظ منها، وينال سعادة مطلوبة ويُنجَّى مِن بئس القرين. فتأمَّلْ هذا الموضع حق التأمل فإنه موضع عظيم. ومَن جدّ في الطلب وجاهد فتقارنه العناية والتوفيق والاجتباء، ويعصمه الله من الخذلان، ويجعله من الموفَّقين.

وإذا عرفتَ هذا.. فإن كنت ذا قلب سليم فقد عرفتَ الحقيقة، وزالت عنك شكوك كثيرة وشبهات في هذا الباب، وانجابت غشاوة الاسترابة، وبانت أمارة الحق، وكُشف عنك الغُمّى، وهُديت إلى نور اليقين. وإن كنت لا يكفيك هذا، وتجد في نفسك طلب الزيادة في الإيضاح والإفصاح، فاعلم أن القرآن قد صرّح بهذا في غير موضع، كقوله ﷻ: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾◎، وكقوله: ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ *، وكقوله: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ ❋، فهذه الآيات كلها تدل على أن الله الحكيم العليم الرحيم الكريم المتفضل خلَق السماوات والأرض كذَكَرٍ وأنثى، واقتضت حكمته أن يجمعهما من حيث

◎ حم السجدة:١٢-١٣ * الطلاق:١٣ ❋ السجدة:٦

الفعل والانفعال، ويجعل بعضهما مؤثرا في بعض، وهذا معنى قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا﴾. ففكِّرْ في هذه الآية حق الفكر، ولا تفرّطْ في جنب الله، وقُمْ لكسب الحسنات وتلافي الهفوات قبل الوفاة، ولا تكن من الغافلين.

ثم انظر أنه تعالى قال في مقام آخر: ﴿قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ ✦، وقال: ﴿وأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ ✲، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ﴾ ❋، ومعلوم أن هذه الأشياء لا تنـــزل من السماء، فما عزاها الله إليها إلا إشارةً إلى أن العلّة الأولى من العلل التي قدّر الله تعالى لخلق تلك الأشياء وتولُّدها وتكوُّنها تأثيراتٌ فلكية وشمسية وقمرية ونجومية، وأشار ﷻ في هذه الآيات إلى أن الأرض كامرأة والسماء كبعلها، ولا تتمُّ◈ فعل إحداهما إلا بالأخرى، فزوّجَهما حكمةً من عنده وكان الله عليما حكيما.

فتدبَّرْ في هذه الآيات بنظر عميق وكرِّرِ النظر فيها، واعلم أن هذا الموضع من أجلّ المواضع لمن حقّقه وفهمه ونظره بدقة النظر. ويؤيد هذه الآياتِ قولُه تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾✪. وأنت تفهم أن في هذا القول إشارةً إلى أن للنجوم ومواقعها دخل◉

✦ *الأعراف:٢٧* ✲ *الحديد:٢٦* ❋ *الزمر:٧*

◈ *سهو، والصحيح: "يتمُّ". (الناشر)*

✪ *الواقعة:٧٦*

◉ *سهو، والصحيح: "دخلًا". (الناشر)*

لِتحسُّسِ زمان النبوة ونزول الوحي، ولأجل ذلك قيل إن بعض النجوم لا يطلع إلا في وقت ظهور نبي من الأنبياء. فطوبى للذي يفهم إشارات الله ثم يقبلها كالتقاة، ولا يصول كالذي هو خليع الرسن ومديد الوسن ومن العصاة ومن المتكبرين.

وإن كنت ما سمعت من قبل بيانا واضحا كمثل بياننا هذا.. فلا تعجب من ذلك، فإن لكل موطن رجال*، ولكل وقت مقال*، وإن الله لا يُنـــزل دقائق المعارف ولا يبسطها كل البسط إلا في وقت ضرورتها. وكم من لطائف ونِكات تخفى من أهل زمان ثم يأتي وقت إظهارها في زمان آخر، فيبعث الله مجددا في ذلك الوقت، وينطق محدَّثُ الوقت بتلك النكات، فيفصّل مجملاتٍ اقتضتْ حالةُ الزمان تفصيلَها، وتُلقَى على لسانه معارفُ كتابِ الله التي قد جاء وقتُ تبيُّنها، فيُبيّنُها للناس على وجه البصيرة بجأشٍ متين. فيقبَله الذي رَكَنَ من الدنيا إلى الله، ويُعرِض عنه الجاهل لغباوته وغلبة شقاوته، فاتق الله وكُنْ من الصالحين.

واعلم أن كثيرا من العلماء الراسخين ذهبوا إلى ما ذهبنا في تفسير هذه الآيات المتقدمة، وكانوا يعتقدون أن في الشمس والقمر والنجوم تأثيرات خلقها الله لمصالح عباده، كما قال **الرازي** في تفسيره الكبير وهو هذا:

---

* *سهو، والصحيح: "رجالا" و"مقالا". (الناشر)*

"فإن الشمس سلطان النهار، والقمر سلطان الليل، ولولا الشمس لما حصلت الفصول الأربعة، ولولاها لاختلّت مصالح العالم بالكلية. وقد ذكرنا منافع الشمس والقمر بالاستقصاء في أول هذا الكتاب".

تمَّ كلامه، فتفكَّرْ فيه ولا تمرّ بها كالنائمين.

وقال صاحب "**حُجّة الله البالغة**":

"أما الأنواء والنجوم فلا يبعد أن يكون لهما حقيقة، فإن الشرع إنما أتى بالنهي عن الاشتغال به لا نفي الحقيقة البتّة. وإنما توارث من السلف الصالح ترك الاشتغال به وذمّ المشتغلين وعدمُ القبول بتلك التأثيرات لا القولُ بالعدم أصلا. وإن منها ما يلحق البديهاتِ الأوّليّة كاختلاف الفصول باختلاف أحوال الشمس والقمر ونحو ذلك، ومنها ما يدل عليه الحدس والتجربة والرصد.. كمثل ما تدل هذه على حرارة الزنجبيل وبرودة الكافور. ولا يبعد أن يكون تأثيرها على وجهين.. وجهٌ يُشبه الطبائع، فكما أن لكل نوعٍ طبائع مختصة به من الحر والبرد واليبوسة والرطوبة، بها يتمسك في دفع الأمراض.. فكذلك للأفلاك والكواكب طبائع وخواص كحر الشمس ورطوبة القمر، فإذا جاء ذلك الكوكب في محله ظهرت قوّته في الأرض. ألا تعلم أن المرارة إنما اختصّت بعادات النساء وأخلاقهن بشيء يرجع إلى طبيعتها.. وإن خَفِيَ إدراكها، والرجل إنما اختص بالجرأة والجهورية ونحوهما لمعنى في مزاجه، فلا تنكر أن يكون لحلول قوى

الزهرة والمريخ بالأرض أثر كأثر هذه الطبائع الخفيّة. وثانيهما.. وجهٌ يُشبه قوةً روحانية مشتركة مع الطبيعة، وذلك مثل قوة نفسانية في الجنين من قِبَلِ أُمّه وأبيه. والمواليد بالنسبة إلى السماوات والأرضين كالجنين بالنسبة إلى أبيه وأمه، فتلك القوة تُهيّئ العالم لفيضانِ صورةٍ حيوانية ثم إنسانية. ولحلول تلك القوى بحسب الاتصالات الفلكية أنواع، ولكل نوع خواص، فأمعنَ قوم في هذا العلم فحصل لهم علم النجوم.. يتعرّفون به الوقائع الآتية. غير أن القضاء إذا انعقد على خلافه جعَل قوة الكواكب متصورةً بصورة أخرى قريبة من تلك الصورة، وأتم الله قضاءه من غير أن ينخرم نظام الكواكب في خواصها". ●

● *هناك بعض الاختلاف في النص الأصلي والمقتبس، لذا نورد فيما يلي النص المذكور من "حجة الله البالغة": "أما الأنواء والنجوم فلا يبعُد أن يكون لهما حقيقةٌ ما، فإن الشرع إنما أتى بالنهي عن الاشتغال به لا نفيِ الحقيقة البتة. وإنما توارثَ السلف الصالح تَرْكَ الاشتغال به وذمَّ المشتغلين وعدم القبول بتلك التأثيرات، لا القول بالعدم أصلا. وإنّ منها ما يلحق البديهيات الأوّلية كاختلاف الفصول باختلاف أحوال الشمس والقمر ونحو ذلك، ومنها ما يدل عليه الحدس والتجربة والرصد.. كمثل ما تدل هذه على حرارة الزنجبيل وبرودة الكافور. ولا يبعد أن يكون تأثيرها على وجهين.. وجه يُشبه الطبائع، فكما أن لكل نوع طبائعَ مختصة به من الحر والبرد واليبوسة والرطوبة، بها يتمسك في دفع الأمراض، فكذلك للأفلاك والكواكب طبائع وخواص كحر الشمس ورطوبة القمر، فإذا جاء ذلك الكوكبُ في محله ظهرتْ قوّته في الأرض. ألا تعلم أن المرأة إنما اختصت بعادات النساء وأخلاقهن لشيءٍ يرجع إلى طبيعتها.. وإن خفِي إدراكها، والرجل إنما اختص بالجرأة والجهورية ونحوِهما لمعنى في مزاجه، فلا تُنكر أن يكون لحلول قوى الزهرة والمريخ بالأرض أثر كأثر هذه الطبائع الخفيّة. وثانيهما.. وجه*

تمّ كلامه، رحمه الله.

فانظر أيها العزيز.. كان الله معك.. إن هذا القائل بتأثير النجوم عالم ربّاني من علماء الهند، وكان هو مجدد زمانه، وفضائله متبينة في هذه الديار، وهو إمام في أعين الكبار والصغار، ولا يختلف في علو شأنه أحد من المؤمنين. فويل للذين يطيلون لُسْنَهم لتكفير المسلمين كالوَقاح المتسلطة، ولا يتفكرون في كلماتِ أئمّتهم، ويريدون أن يزيدوا الكفار ويُقلّلوا أهل الإسلام، ويريدون أن يُلْقُوا الأُمّةَ في فتنة صمّاء يكفر بعضهم بعضا، ويبيعون الإيمان لفضالة المأكل وثمالة المنهل، ويسقطون كالذباب على قَيح ومُخاط وبُراز الناس، ويتركون وَردًا وريحانا ومسكا وعنبرا وأنهارَ ماءٍ مَعين.

ثم اعلم أن الفاضل الذي كتبنا قليلا من كلامه قال في "**فيوض الحرمين**" أزيد من هذا، فلنذكُرْ قليلا من عباراته التي فيها بيان تأثير النجوم والأفلاك، وهي هذه:

يُشبه قوةً روحانية متركبة مع الطبيعة، وذلك مثل قوة نفسانية في الجنين من قِبَلِ أمّه وأبيه. والمواليد بالنسبة إلى السماوات والأرضين كالجنين بالنسبة إلى أبيه وأمه، فتلك القوة تُهيئ العالَمَ لفيضانِ صورةٍ حيوانية ثم إنسانية. ولحلول تلك القوى بحسب الاتصالات الفلكية أنواع، ولكل نوعٍ خواص، فأمعنَ قوم في هذا العلم فحصل لهم علم النجوم.. يتعرّفون به الوقائع الآتية، غير أن القضاء إذا انعقد على خلافه جعَل قوةَ الكوكب متصورةً بصورة أخرى قريبة من تلك الصورة، وأتم الله قضاءه من غير أن ينخرم نظام الكواكب في خواصها." (الناشر)

"ربما لم يكن الرجل شريفا في الأصل، ولكنه وُلِد في زمان تقضي الاتصالاتُ الفلكية يومئذ نباهةَ نسبه. وأرى أن ذلك بنوع امتزاج زُحل مع الشمس والمشتري، بحيث يكون الزحل مرآةً ونورُ الشمس والمشتري منعكسًا فيه، فحينئذ يكون.. والله أعلم.. براعة النسب والنباهة من أجله. ويكون ذلك الاتصال بحيث ينحفظ في صورته المُفاضة حُكْمُ هذا الاتصال كما ينحفظ في الأولاد أشكال الوالدين وتخاطيطهما، وهذا الرجل ليس له شرفٌ موروث."

ثم قال في مقام آخر من كتابه "**الفيوض**":

"هاكَ ما فهَّمني ربي.. أنه يجيء مِن مدد السماء الأولى نُقولٌ وتوسّطاتٌ وزيٌّ، ومن السماء الثانية قواعدُ منضبطة، فتُكتَب وتُسطَر وتُعلَّم وتُؤْثَر كابرا عن كابر، وتُوقَر بها الصدور وتُملَأ به الصحف، ومن السماء الثالثة لون طبعي، فتصير طبيعته وتميل إليه الطبائع وتهيج لها حمّيّةٌ منهم فيحمونها وينصرونها ويناضلون دونها، ويحبونها كحب الأموال والأولاد والأنفس. ومن السماء الرابعة غلبة وقوة وتسخير، فيكون مسخَّرًا لها أكابرُ الناس وأصاغرهم، علماؤهم وأمراؤهم، ومن السماء الخامسة نِكايةٌ وشدة، فلن ترى منكرا لها إلا وقد امتُحن بالمحن، وابتُلي بالبلايا ولُعن وعوقب كأن من الغيب ناصرا لها. ومن السماء السادسة هداية معظّمة، فيكون سببا لاهتدائهم ومثابةً للناس إلى كمالهم. ومن السابعة الشرفُ الدائم الذي كالندب في الحجر لا يزال حتى تُمزَّع أوصاله وتُقطَع أجزاؤه.

فهذه أركانٌ سبعة نلتم في الملأ الأعلى، فيكون جسدًا مسوًّى فيهم، فيُنفَخ مِن التدلّي الأعظم جذبٌ فيها بمنـــزلة الروح في الجسد، فمن تلبّسَ بتلك الأذكار والأفكار، وتزيّنَ بذلك الزيّ شملتْه الرحمة الإلهية، وأتاه الجذب من فوقه ومن تحته ويمينه وشماله ومن حيث لا يحتسب. ثم يربي هذا الطفل ساداتُ الملأ الأعلى، ويخدمه الملأ السافل، فلا يزال يتقرر أمره ويزداد شأنه، حتى يأتي أمر الله على ذلك. فهذه هي الطريقة، وقِسْ عليه المذهب في الفروع والأصول. فكل من ادّعى أن الله تعالى أعطى طريقة أو مذهبا ولم يكن الذي أُعطي كما وصفْنا فقد عجز عن معرفة الأمر على ما هو عليه. ثم ليس كل أحد يُقضى له بالطريقة، وليس عند الله جزاف ولا تخمين في شيء من الأشياء، بل إنما يعطي من جِبِلّ مباركا زكيا فيه إمداد الأفلاك السبعة والملأ الأعلى والسافل، وله رحمة خاصة من التدلي الأعظم. وكم من عارف عظيم المعرفة أو فانٍ باقٍ شديد الفناء سابغ البقاء ليس بمبارك وزكيّ فلا يُعطاها. وكذلك لا يتعاطى حفظها كل أحد، بل لكل أمر رجلٌ خُلق له ويُسِّرتْ جبلّةٌ لذلك. وأما صورةُ ظهورها فنشأة أخرى وراء النشأة المتعارفة حقيقتها بركة فائضة في الأعراض والأفعال."◈

◈ *هناك بعض الاختلاف في النص الأصلي والمقتبس، لذا نورد فيما يلي النص المذكور من "فيوض الحرمين": "ربما لم يكن الرجل شريفا في الأصل، ولكنـــه وُلِـــد في زمـــان تقتضي الاتصالاتُ الفلكية يومئذ نباهةَ نسبه، وأرى أن ذلك بنوعِ امتزاجِ زحل مـــع*

الشمس والمشتري، بحيث يكون الزحل مرآةً ونورُ الشمس والمشتري منعكسا فيه، فحينئذ يكون.. والله أعلم.. في هذا المولود براعةُ النسب والنباهة من أجله، ويكون ذلك الاتصالُ بحيث ينحفظ في صورته الْمُفَاضة حكمُ هذا الاتصال كما ينحفظ في المولودات أشكال الوالدين وتخاطيطهما، وهذا الرجل ليس له شرف موروث."

"وهاك ما فهّمني ربي.. يجيء من مدد السماء الأولى نُقولٌ وتوسّطاتٌ وزيٌّ. ومن السماء الثانية قواعد منضبطة، فتُكتب وتُسطَر وتُعلَّم وتُؤثَر كابرا عن كابر، وتُوقَر بها الصدور وتُملأ به الصحف. ومن السماء الثالثة لون طبيعي، فتصير طبيعة وتميل إليه الطبائع وتهيج لها حمية منهم، فيحمونها وينصرونها ويناضلون دونها، ويحبونها كحب الأموال والأولاد والأنفس. ومن السماء الرابعة غلبة وقوة وتسخير، فيكون مسخرا لها أكابرُ الناس وأصاغرهم، علماؤهم وأمراؤهم. ومن السماء الخامسة نكايةٌ وشدة، فلن ترى منكرا لها إلا وقد امتُحن بالمحن، وابتُلي بالبلايا ولُعن وعوقب كأن من الغيب ناصرا لها. ومن السماء السادسة هداية معظَّمة، فيكون سببا لاهتدائهم ومثابة للناس إلى كمالهم. ومن السماء السابعة الشرف الدائم الذي كالندب في الحجر لا يزول حتى تُمَزَّعَ أوصالُه وتُقطَعَ أجزاؤه. فهذه أركان سبعة تلتئم في الملأ الأعلى، فيكون جسدًا مسوًّى فيهم، فيُنفَخ من التدلي الأعظم جذبٌ فيها بمنزلة الروح في الجسد، فمن تلبّسَ بتلك الأذكار والأفكار، وتَزَيَّا بذلك الزيّ شملتْه الرحمة الإلهية، وأتاه الجذب من فوقه ومن تحته ومن عن يمينه ومن عن شماله ومن حيث لا يحتسب. ثم يربي هذا الطفلَ ساداتُ الملأ الأعلى، ويخدمه الملأ السافل، فلا يزال يتقرر أمرُه ويزداد شأنه، حتى يأتي أمر الله على ذلك. فهذه هي الطريقة وقِسْ عليه المذهبَ في الفروع والأصول. فكل من ادّعى أن الله تعالى أعطاه طريقة أو مذهبا، ولم يكن الذي أُعطي كما وصفنا فقد عجز عن معرفة الأمر على ما هو عليه. ثم ليس كل أحد يُقضى له بالطريقة، وليس عند الله جزاف ولا تخمين في شيء من الأشياء، بل إنما يُعطى من جبلٍّ مباركا زكيا فيه إمداد الأفلاك السبعة والملأ الأعلى والسافل، وله رحمة خاصة من التدلي الأعظم. فكم من عارف عظيم المعرفة، أو فانٍ باق شديد الفناء سابغ البقاء، ليس بمبارك زكي فلا يُعطاها. وكذلك لا يتعاطى حفظَها كلُّ أحد، بل لكل أمر رجلٌ خُلق له ويُسّرتْ جبلّته لذلك. وأما صورة ظهورها فنشأة أخرى وراء النشأة المتعارفة، حقيقتها بركة فائضة في الأعراض والأفعال." (الناشر)

تمّ كلامه رحمه الله. فإن كفّرتَ أحدًا بهذه العقائد فكفّرْه أوّلاً، فإن الفضل للمتقدمين.

ومن اعتراضاهم أهم قالوا إن هذا الرجل يحقّر معجزاتِ المسيح ويستهزئ بها ويقول إنها ليست بشيء، ولو أردتُ لأُرِيَ مثلَها بل أكبر منها، ولكني أكره ولا أتوجّه إليها كالشائقين.

أما الجواب فاعلم أن المعجزة ليس من فعل العباد بل من أفعال الله تعالى، فما كان لرجل أن يقول أني أفعل كذا وكذا باختياري وإرادتي. وما يفعل إنسان باختياره وإرادته وتدبيره فهو فعلٌ من أفعال الإنسان، ولا نسمّيه معجزة بل هو مكيدة أو سحر. فافْهَمْ يا أخي .. زادك الله رشدا.. أني ما قلت كما فهِم المستعجلون، بل قلتُ متكلما بزيِّ رجلٍ محمدي نظرًا على فضلٍ كان على **سيدنا محمد المصطفى خاتم النبيين**.

وما ضحكتُ على المسيح وما استهزأت بمعجزاته، بل كان مرادي من كلماتي كلها أنّا أُوتينا دينًا كاملا ونبيا كاملا، ولا شك أنّا نحن خير أُمّة أُخرجتْ للناس. فكم من كمال يوجد في الأنبياء بالأصالة، ويحصُل لنا أفضلُ منه وأولى منه بالطريق الظلي، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء. ألا ترى إلى **قول رسول الله** ﷺ إذ قال: إن في الجنة مكانا لا يناله إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو، فبكى رجل من سماع هذا الكلام وقال: **يا رسول الله** ﷺ، لا أصبر على فراقك، ولا أستطيع أن تكون في مكان وأنا في مكان بعيد

عنك محجوبا عن رؤية وجهك، فقال له رسول الله ﷺ: أنت تكون معي وفي مكاني. فانظرْ كيف فضّله على الأنبياء الذين لا يجدون ذلك المكان.

ثم انظر إلى قوله تعالى ودعائه الذي علّمَنا: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهِمْ**﴾، فإنّا أُمِرنا أن نقتدي الأنبياء كلهم ونطلب من الله كمالاتهم، ولما كانت كمالات الأنبياء كأجزاء متفرقة وأُمِرنا أن نطلبها كلها ونجمع مجموعة تلك الأجزاء في أنفسنا، فلزم أن يحصل لنا شيء بالظلية ومتابعةِ رسول الله ﷺ ما لم يحصل لفردٍ فردٍ من الأنبياء. وقد اتفق علماء الإسلام أنه قد يوجد فضيلة جزئية في غير نبي لا توجد في نبي. ثم انظر إلى كلام **ابن سيرين** حين سُئل عن مرتبة المهدي.. وقيل أهو **كأبي بكر** في فضائله؟ قال: بل هو أفضل من بعض الأنبياء. وما اختلف اثنان من علماء هذه الأمة في أن الفضائل الظلية التي توجد في هذه الأمة قد تفوق بعض الفضائل التي توجد في الأنبياء بالأصالة، ولذلك قيل إن الأنبياء السابقين كانوا ينظرون إلى هذه الأمة بعين الغبطة، وتمنى أكثرهم أن يكونوا منهم. فلو لم يكن في هذه الأمة شيء من أنواع الفضائل التي لم توجد في أنبياء بني إسرائيل.. فلِمَ سألوا ربهم أن يجعلهم من هذه الأمة؟

وأما كراهتنا من بعض معجزات المسيح فأمرٌ **حق**، وكيف لا نكرَه أمورا لا توجد حِلّتَها في شريعتنا؟ مثلا.. قد كُتب في إنجيل

يوحنا الإصحاح الثاني أن عيسى دُعي مع أُمّه إلى العُرس وجعَل الماء خمرا من آنية ليشرب الناس منها. فانظر.. كيف لا نكره مثل هذه الآيات؟ فإنّا لا نشرب الخمر، ولا نحسبه شيئا طيبا، فكيف نرضى بمثل هذه الآية؟ وكم من أمور كانت من سنن الأنبياء، ولكنا نكرَهها ولا نرضى بها، فإن **آدم.. صفيّ الله**.. كان يُزوِّج بنته ابنه ونحن لا نحسب هذا العمل حسنا طيبا في زماننا، بل كنا كارهين.

فلكل وقت حكمٌ، ولكل أُمّة منهاجٌ، وكذلك نكره أن يكون لنا آيةُ خَلْق الطيور، فإن الله ما أعطى رسولَنا هذا الإعجاز، وما خلَق نبيُّنا ذبابة فضلا عن أن يخلق طيرا عظيما. وكان السر في ذلك إعلاء كلمة التوحيد وتنجية الناس من كل ما هو كان محل الخطر، بل قد يكون كبذر الشرك. هذا ما كان مرادنا في كتابنا، **وإنما الأعمال بالنيّات**، فتدبَّرْ ساعةً، لعل الله يجعلك من المصدّقين.

ومن اعتراضاهم أنهم قالوا إن هذا الرجل يحسب الملائكة أرواح الشمس والقمر والنجوم. أما الجواب فاعلم أنهم قد أخطأوا في هذا، والله يعلم أني لا أجعل أرواح النجوم ملائكة، بل أعلم من ربي أن الملائكة مدبِّرات للشمس والقمر والنجوم وكلِّ ما في السماء والأرض، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظ﴾●، وقال: ﴿وَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾◉. ومثل تلك الآيات كثير في القرآن، فطوبى للمتدبرين.

● الطارق:٥ ◉ النازعات:٦

ومن اعتراضات المكفِّرين أهم قالوا إن هذا الرجل ادّعى النبوة وقال إني من النبيّين. **أما الجواب** فاعلم يا أخي أني ما ادّعيتُ النبوة وما قلت لهم إني نبي، ولكنهم تعجَّلوا وأخطأوا في فهم قولي، وما فكّروا حق الفكر بل اجترأوا على نحتِ بهتان مبين. وتراهم يسارعون إلى التكفير ويكفّرون بعض المؤمنين ويخادعون البعض، ولا يخفى على الله ما في صدور الظالمين. ومنهم من يُعجِب الناسَ قولُه ويُقسِم بالله أنه على الحق وهو أول المُبطِلين. يلبِس الحقَّ بالباطل ويغطِّي الصدقَ على الكذب، ويسعى سَعْيَ العفاريت، وينجّس وجه الأرض بالتمويهات والتلبيسات، ويفُوق بمكره كل مكّار، ثم يسمّي الصادقين دجالين.

وما قلت للناس إلا ما كتبت في كتبي من أنني محدَّث ويكلّمني الله كما يكلّم المحدَّثين. واللهُ يعلم أنه أعطاني هذه المرتبة، فكيف أرد ما أعطاني الله ورزقني من رزق.. أأعرضُ عن فيض رب العالمين؟ وما كان لي أن أدّعي النبوة وأخرج من الإسلام وأَلحَق بقوم كافرين. وها إنني لا أصدّق إلهاما من إلهاماتي إلا بعد أن أعرضه على كتاب الله، وأعلم أنه كل ما يخالف القرآن فهو كذب وإلحاد وزندقة، فكيف **أدّعي النبوة** وأنا من المسلمين؟ **وأحمد الله** على أني ما وجدت إلهاما من إلهاماتي يخالف كتاب الله، بل وجدت كلها موافقا بكتاب رب العالمين.

ومن الناس من يقول إن باب الإلهام مسدود على هذه الأمة، وما تدبَّرَ في القرآن حق التدبر، وما لقي الملهَمين. **فاعلم** أيها الرشيد أن هذا القول باطل بالبداهة، ويخالف الكتاب والسنة وشهادات الصالحين. أما كتاب الله.. فأنت تقرأ في القرآن الكريم آياتٍ تؤيد قولنا هذا، وقد أخبر الله تعالى في كتابه المحكم عن بعض رجال ونساء **كلّمهم ربهم** وخاطبهم وأمرهم ونهاهم، وما كانوا من الأنبياء ولا رسل رب العالمين. **ألا تقرأ** في القرآن: ﴿ولا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾◈.

فتدبَّرْ أيها المنصف العاقل.. كيف لا يجوز مكالماتُ الله ببعض رجال هذه الأمة التي هي خير الأمم وقد كلّم اللهُ نساءَ قوم خلوا من قبلكم، وقد أتاكم مثل الأولين؟ فإن كان بعض الناس في شك من إلهامي، وكان لهم عجبٌ من أن يخاطب الله أحدا من هذه الأمة ويكلّمه من غير أن يكون نبيا.. فلِمَ لا يحكّمون القرآنَ فيما شجر بينهم؟ ولِمَ لا يردّون الأمر إلى الله ورسوله إن كانوا مؤمنين؟ وقد قال الله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾●، **وقال**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا

◈ القصص:٨ ● يونس:٦٥

تَدَّعُونَ﴾[○]، **وقال**: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاَقِ﴾[◉]، وقال: يجعل لهم فرقانا، ويجعل لهم نورا يمشون به. فالنور.. الذي هو الأمر الفارق بين خواص عباد الله وبين عباد آخرين.. هو الإلهام والكشف والتحديث، وعلوم غامضة دقيقة تنـــزل على قلوب الخواص من عند الله. وكذلك قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[●].

وأنت تعلم أن الذين يصِلون مقاماتِ الكمال من الاتقاء وخوفِ هجر الرب، لا يبقى لهم همٌّ واهتمام في فكر الرزق الذي هو حظّ الجسم.. أعني الخبز واللحم وأنواع الطعام والشراب والألبسة، بل ينهضون لاكتساب الأموال الروحانية، ويُجذَب قلبهم وروحهم وشوقهم إلى المولى، وإلى رزقٍ يزيد لهم يقينا ومعرفة ويُدخلهم في الواصلين. ولا يريدون الدنيا وشهواتها ولذّاتها، وما كان أعظم مراداتهم الدنيا ولا أن يأكلوا ويشربوا ويُتلفوا أعمارهم في الخَضْم والقَضْم، ويعيشوا كالمترَفين. فالرزق الذي هو مُرادُ رجالٍ أُولي التقوى إنما هو فيوض الغيب من الكشف والإلهام والمخاطبات، ليبلغوا مراتب اليقين كلها، ويدخلوا في عباد الله العارفين. فقد وعد الله لهم وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾، وأما الذين يظنون أن الرزق منحصر في التنعمات

[○] فصلت: ٣١-٣٢ [◉] غافر: ١٦ [●] الطلاق: ٣-٤

الجسمانية، فقد أخطأوا خطأً كبيرا، وما تدبّروا في القرآن حق التدبر، وكانوا من الغافلين.

وكذلك **قوله تعالى:** ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾*، أي هاتوا قلوبَهم وألقُوا فيها كلماتِ التثبيت، يعني قولوا: ﴿لا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾، وكمثله مِن كلمات تطمئن بها قلوبهم. فهذه الآيات كلها تدل على أن الله قد يكلّم أولياءه ويخاطبهم ليزداد يقينهم وبصيرتهم وليكونوا من المطمئنين.

وكذلك علّم الله عباده دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، ومعلوم أن من أنواع الهداية كشفٌ وإلهام ورؤيا صالحة ومكالمات ومخاطبات وتحديث لينكشف بها غوامض القرآن ويزداد اليقين، بل لا معنى للإنعام من غير هذه الفيوض السماوية، فإنها أصل المقاصد للسالكين الذين يريدون أن تنكشف عليهم دقائق المعرفة، ويعرفوا ربهم في هذه الدنيا، ويزدادوا حُبًّا وإيمانا، ويصِلوا محبوبهم متبتّلين. فلأجل ذلك.. حثَّ الله عبادَه على أن يطلبوا هذا الإنعام من حضرته، فإنه كان عليما بما في قلوبهم من عطش الوصال واليقين والمعرفة، فرحِمهم وأمدّ كلَّ معرفة للطالبين، ثم أمرهم ليطلبوها في الصباح والمساء والليل والنهار، وما أمرهم إلا بعدما رضي بإعطاء

* الأنفال: ١٣

هذه النعماء، بل بعدما قدّر لهم أن يُرزَقوا منها، وبعدما جعلهم ورثاء الأنبياء الذين أُوتوا مِن قبلهم كلَّ نعمة الهداية على طريق الأصالة. فانظر كيف منَّ الله علينا.. وأمَرنا في أمّ الكتاب لنطلب فيه هدايات الأنبياء كلها، ليكشف علينا كل ما كشف عليهم، ولكن بالاتّباع والظلّية، وعلى قدرِ ظروف الاستعدادات والهمم. فكيف نردّ نعمة الله التي أُعِدّت لنا إن كنّا طُلباء الهداية؟ وكيف نُنكرها بعدما أُخبرنا عن أصدق الصادقين؟

وأمّا ما ثبت من **سُنة رسول الله** وآثاره في هذا الباب فاعلمْ أنه قال ﷺ: لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكلَّمون مِن غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكُ في أمتي منهم أحدٌ **فعمرُ**. وقال: قد كان فيما مضى قبلكم من الأُمم محدَّثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه **عمر بن الخطاب**. وجاء في البخاري في آية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلا إِذَا تَمَنَّى ...الآية﴾◈ عن ابن عباس أنه كان يزيد فيه "**ولا محدَّثٍ**"، يعني يقرأ: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدَّث. وتجد هذا الذكر مفصلا في "فتح الباري"، فلا تُعرِضْ عن الحق بعدما جاءك، وتدبر مع المتدبرين.

◈ الحج:٥٣

وإني كتبت في بعض كتبي أن **مقام التحديث** أشدّ تشبُّهًا بمقام النبوة، ولا فرق إلا فرق القوة والفعل. وما فهموا قولي وقالوا إن هذا الرجل **يدّعي النبوة،** والله يعلم أن قولهم هذا كذب بحت، لا يُمازجه شيء من الصدق، ولا أصل له أصلا، وما نحتوه إلا ليهيّجوا الناس على التكفير والسب واللعن والطعن، وينهضوا هم للعناد والفساد، ويفرّقوا بين المؤمنين.

وإني والله **أؤمن بالله ورسوله، وأؤمن بأنه خاتم النبيين.** نعَمْ، قلت إن أجزاء النبوة توجد في التحديث كلها، ولكن بالقوة لا بالفعل، فالمحدَّث نبيٌّ **بالقوة،** ولو لم يكن سدُّ باب النبوة لكان نبيا **بالفعل،** وجاز على هذا أن نقول: **النبي مُحدَّث** على وجه الكمال، لأنه جامع لجميع كمالاته على الوجه الأتم الأبلغ **بالفعل،** وكذلك جاز أن نقول **إن المحدَّث نبي** بناءً على استعداده الباطني أعني أن المحدَّث نبي **بالقوة،** وكمالات النبوة جميعها مخفيّة مضمَرة في التحديث، وما حبس ظهورها وخروجها إلى الفعل إلا سدّ باب النبوة. وإلى ذلك أشار النبي ﷺ في قوله: "لو كان بعدي نبي لكان عمر"، وما قال هذا إلا بناءً على أن عمر كان محدَّثا، فأشار إلى أن مادة النبوة وبذرها يكون موجودا في التحديث، ولكن الله ما شاء أن يُخرجها مِن مَكْمَن القوة إلى حـــيّز الفعل، وإلى ذلك إشارة في قراءة ابن عباس: وما أرسلنا من رسول ولا نبي ولا محدَّث، فانظرْ

كيف أُدخل الرسل والنبيون والمحدَّثون في هذه القراءة في شأن واحد، وبيّن الله أن كلهم من المحفوظين ومن المرسلين.

ولا شك أن التحديث موهبة مجردة لا تُنال بكسبٍ البتّة.. كما هو شأن النبوة، ويُكلِّم الله المحدَّثين كما يُكلِّم النبيين، ويرسل المحدَّثين كما يرسل المرسل، ويشرب المحدَّث من عين يشرب فيها النبي، فلا شك أنه نبي لولا سد الباب، وهذا هو السر في أن رسول الله ﷺ إذا سمى **الفاروق** محدَّثا فقفّى على أثره قوله: لو كان بعدي نبي لكان عمر، وما كان هذا إلا إشارة إلى أن المحدث يجمع كمالاتِ النبوة في نفسه، ولا فرق إلا فرق الظاهر والباطن، والقوة والفعل. فالنبوة شجرة موجودة في الخارج مثمرة بالغة إلى حدها، والتحديث كمثل بذر فيه يوجد في القوة كلُّ ما يوجد في الشجر بالفعل وفي الخارج. وهذا **مثال** واضح للذين يطلبون معارف الدين، وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ في حديث: **علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**، والمراد من العلماء المحدَّثون الذين يُؤتَون العلم من لدن ربهم ويكونون من المكلَّمين.

وقد استصعب الفرق بين التحديث والنبوة على بعض الناس، فالحق أن بينهما فرق القوة والفعل كما بينتُ آنفا في مثال **الشجرة** وبذرها، فخُذْها مني ولا تخفْ إلا اللهَ، وادعُ الله أن تكون من العارفين. هذا ما قلنا في بعض كتبنا استنباطًا من

الأحاديث النبوية والقرآن الكريم، وما قال بعض السلف فهو أكبر من هذا، ألا ترى إلى قول ابن سيرين أنه ذُكر المهدي عنده وسئل عنه هل هو أفضل من أبي بكر فقال: ما أبو بكر؟ هو أفضلُ من بعض النبيين!

هذا ما كتب صاحب "فتح البيان" **صدّيق حسن** في كتابه "الحُجَج"، ومثله أقوال أخرى ولكنا نتركها خوفا من الإطناب.

وعليك أن تدقّق النظر بالإنصاف الكامل ليتضح لك الحق الحقيق وتكون من الفائزين. وقد بيّنت لك كل ما هو كلمة الكفر في أعين المستعجلين، فانظر.. أين هذا وأين ادعاء النبوة؟ فلا تظن يا أخي أني قلت كلمة فيه رائحةُ ادّعاء النبوة كما فهِم المتهوّرون في إيماني وعِرضي، بل كل ما قلت إنما قلتها تبيينًا لمعارف القرآن ودقائقه، وإنما الأعمال بالنيّات، ومعاذَ الله أن أدّعي النبوة بعدما جعل الله نبيًّنا وسيدنا محمدًا المصطفى ﷺ خاتم النبيين.

ومن **اعتراضاهم** أهم قالوا إن **المسيح الموعود** لا يأتي إلا عند قُرب القيامة وظهور أماراها الكبرى.. يعني ظهور يأجوج ومأجوج، ودابّة الأرض، والدجّال الذي تسير معه الجنة والنار، وطلوع الشمس من مغربها، وما ظهر شيء من هذه العلامات.. فمن أين جاء المسيح الموعود مع عدم مجيء آيات أخرى؟ وكيف يطمئن القلب على هذا وكيف يحصل الثلج واليقين؟

أما الجواب فاعلم أن هذه الأنباء قد تمّتْ كلها، ووقعت كما كان في الآثار المنتقاة المدوّنة عن الثقات، ولكن الناس ما عرفوها وكانوا غافلين.

والكلام المفصّل في ذلك أن أمارات القيامة على قسمين: الأمارات الصغرى، والأمارات الكبرى. أما الأمارات الصغرى فقد تبدو وتظهر على صورها الظاهرة، وقد تنكشف وجودها في حُلل الاستعارات. ولكن الأمارات الكبرى فلا تظهر على صورها الظاهرة أصلاً، ولا بد فيها أن تظهَر في حُلل الاستعارات والمجازات. والسر في هذا الأمر أن الساعة لا تأتي إلا بغتة كما قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إلا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إلا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إنما عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ ✪

وقال في مقام آخر: ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾. ◎

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ❋

✪ *الأعراف:١٨٨* ◎ *يوسف:١٠٨-١٠٩* ❋ *الأنبياء:٤١*

وقال: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ * فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ ◉

وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ ◈

وقال: ﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَو يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ ●

فثبت من قوله ﷻ.. أعني ﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ أن العلامات القطعية المزيلة للمِرية، والأمارات الظاهرة الناطقة الدّالة على قُرب القيامة.. لا تظهر أبدا، وإنما تظهر آيات نظرية التي تحتاج إلى التأويلات، ولا تظهر إلا في حُلل الاستعارات، وإلا فكيف يمكن أن تنفتح أبواب السماء وينـــزل منها عيسى أمام أعين الناس وفي يده حربة، وتنـــزل الملائكة معه، وتنشقّ الأرض وتخرج منها دابّة عجيبة تكلِّم الناسَ أن الدين عند الله هو الإسلام، ويخرج يأجوج ومأجوج بصورهم الغريبة وآذانهم الطويلة، ويخرج حمار الدجّال ويرى الناس "بين أذنيه سبعون باعا"، ويخرج الدجّال ويرى الناس الجنةَ والنار معه والخزائن التي تتبعه، وتطلُع الشمس من مغربها كما أخبر عنها رسول الله ﷺ، ويسمع الخَلق أصواتا متواترة عن السماء أن المهدي خليفة الله، ومع ذلك يبقى الشك والشبهة في قلوب

◉ *الشعراء:٢٠١-٢٠٣* ◈ *الزخرف:٦٧* ● *الحج:٥٦*

الكافرين. ولأجل ذلك كتبتُ في كتبي غير مرة أن هذه كلها استعارات وما أراد الله بها إلا ابتلاء الناس ليعلم من يعرفها بنور القلب ومن يكون من الضالين. ولو فرضنا أنها تظهر بصورها الظاهرة فلا شك أن من ثمراتها الضرورية أن يرتفع الشك والشبهة والمِرية من قلوب الناس كلهم كما يرتفع في يوم القيامة، فإذا زالت الشكوك ورُفعت الحجب فأيُّ فرقٍ بقي بعد انكشاف هذه العلامات المهيبة الغريبة في تلك الأيام وفي يوم القيامة؟

انظر أيها العاقل.. أنه إذا رأى الناس رجلا نازلا من السماء وفي يده حربة ومعه ملائكة الذين كانوا غائبين من بدء الدنيا وكان الناس يشكّون في وجودهم، فنــــزلوا وشهدوا أن الرسول حق، وكذلك سمع الناس صوت الله من السماء أن المهدي خليفة الله، وقرأوا لفظ "الكافر" في جبهة الدجّال، ورأوا أن الشمس قد طلعت من المغرب، وانشقّت الأرض وخرجت منها دابة الأرض التي قدمه في الأرض ورأسه تمسّ السماء، ووسَمت المؤمن والكافر، وكتبتْ ما بين عينهم مؤمن أو كافر، وشهدت بأعلى صوتها بأن الإسلام حق، وحصحص الحق وبرق من كل جهة، وتبينت أنوار صدق الإسلام حتى شهد البهائم والسباع والعقارب على صدقه، فكيف يمكن أن يبقى كافر على وجه الأرض بعد رؤية هذه الآيات العظيمة، أو يبقى شك في الله وفي يوم الساعة؟ فإن العلوم الحسّية البديهة شيء يقبله كافر ومؤمن، ولا يختلف فيه أحد من الذين أُعطوا قوى

الإنسانية؛ مثلاً إذا كان النهار موجودا والشمس طالعة والناس مستيقظين فلا يُنكره أحد من الكافرين والمؤمنين. فكذلك إذا رُفعت الحجب كلها، وتواترت الشهادات، وتظاهرت الآيات، وظهرت المخفيّات، وتنـــزلت الملائكة، وسُمعتْ أصوات السماء، فأي تفاوُت بقيت● بين تلك الأيام وبين يوم القيامة، وأي مفر بقي للمنكرين؟ فلزم من ذلك أن يُسلِم الكفار كلهم في تلك الأيام، ولا يبقى لهم شك في الساعة؛ ولكن القرآن قد قال غير مرة إن الكفار يبقون على كفرهم إلى يوم القيامة، ويبقون في مِريتهم وشكّهم في الساعة حتى تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون. ولفظ "البغتة" تدل بدلالة واضحة على أن العلامات القطعية التي لا تبقى شك بعده◈ على وقوع القيامة لا تظهر أبدا، ولا تجليها◉ الله بحيث تُرفع الحجب كلها وتكون تلك الأمارات مرآة يقينية لرؤية القيامة، بل يبقى الأمر نظريا إلى يوم القيامة، والأمارات تظهر كلها ولكن لا كالأمر البديهي الذي لا مفر من قبوله، بل كأمور ينتفع منها العاقلون، ولا يمسّها الجاهلون المتعصبون، فتدبَّرْ في هذا المقام فإنه تبصرة للمتدبرين.

● *سهو، والصحيح: "بقي". (الناشر)*

◈ *سهو، والصحيح: "لا يبقى شك بعدها". (الناشر)*

◉ *سهو، والصحيح: "يجليها". (الناشر)*

وأنت تعلم أن هذه الأنباء كلها.. كخروج دابّة الأرض ويأجوج ومأجوج وغيرها، قد اختلفت الآثار في تبيينها، ولم تُبيَّن على نهج واحد، حتى إن بعض الصحابة زعموا أن دابة الأرض عليٌّ رضي الله عنه، فقيل له إن الناس يظنون أنك أنت دابّة الأرض، فقال ألا تعلمون أنه إنسان ومعه لوازم بعض الحيوانات، ولها وبر وريش، وشيء فيه كالطير، وشيء فيه كالسباع، وشيء فيه كالبهائم، وهو يسعى كمثل فرس ضليع ثلاث مرة ولم يخرج إلا أقلّ من ثلثيه، وما أنا إلا إنسان بحتٌ ليس على جلدي وبر ولا ريش.. فكيف أكون دابّة الأرض؟ وقال بعض الناس إن دابة الأرض التي ذكره القرآن هو اسم الجنس لا اسم شخص معين، فإذا انشقت الأرض فيخرج منه ألوف من دواب الأرض سُمي كل واحد منها دابة الأرض.. لهم صور كصور الإنسان وأبدان كأبدان السباع والكلاب والبهائم. وقيل إنها حيوان لها عنق طويلة.. يراها المغربي كما يراها المشرقي، ولها مناقير الطيور، وهي حيوان أصوف ذاتُ زَغَبٍ وذات وبر وريش، وفيها من كل لون من ألوان الدواب، ولها أربع قوائم، وفيها من كل أُمّةٍ سِيْمَى، وسيماها من هذه الأمة أنها تكلّم الناسَ بلسان عربي مبين، تكلّمهم بكلامهم. هذا قول ابن عباس. وجاء من أبي هريرة أنها ذات عَصَب وريش، وأن فيها من كل لون، ما بين قرنيها فرسخ للراكب المُجدِّ. وعن ابن عمر قال إنها زَغْباءُ ذات وبر وريش. وعن حذيفة قال إنها سَلَمَّعَةٌ ذات وبر وريش، لن يدركها طالب ولا

يفوتها هارب. وعن عمرو بن العاص قال إنها حيوان طويل القامة، رأسه يبلغ السماء ويمسّها و لم يخرج رجلاه من الأرض، وإنها لتخرج كجري الفرس ثلاثة أيام لم يخرج ثلثا. وعن ابن زبير قال هي دابة رأسها كرأس البقر، وعينها كعين الخنـــزير، وأذنها كأذن الفيل، وقرنها كقرن الأيِّل، وعنقها كعنق النعامة، وصدرها كصدر الأسد، ولونها كلون النمر، وخاصرها كخاصر السنور، وذنبها كذنب المعيز، وأرجلها كقوائم الإبل، وما بين مفصليها اثنا عشر ذراعا. وعن عاصم بن حبيب بن اصبهان قال: رأيت عليًّا يقول إن دابة الأرض تأكل بفيها وتتكلم مِن إسْتها. وجاءِ في بعض الأحاديث أنها تخرج ويكون معها عصا موسى وخاتم سليمان بن داود، وينادي بأعلى صوت أن الناس كانوا بآياتنا غافلين، وتسِم المؤمن والكافر.. أما المؤمن فيبرق وجهه بعد الوسم كالكوكبَ الدرّي، وتكتب الدابة ما بين عينيه لفظ المؤمن، وأما الكافر فتكتب ما بين عينيه لفظ الكافر كنقطة سوداء. وجاء في رواية أن لها صوتا عاليا يسمعها كل من هو في الخافقين، وهي تقتل إبليس وتمزقه.

وفي مواضع خروجها وأزمنة ظهورها اختلافات عجيبة تركنا ذكرها اجتنابا من طول الكلام. وقالوا إنها تخرج في زمان واحد من أمكنة متعددة.. تخرج من أرض مكة، وتخرج من أرض المدينة، وتخرج من أرض اليمن، فيُرى صورته في الأمكنة المختلفة بطور خرق العادة في الصور المثالية. فمن ههنا يثبت عالم المثال. وأعجبني

أن علماءنا قد جوّزوا هذه الصور المثالية في خروج دابّة الأرض، وقالوا إن لها تكون قدرةٌ على كونها موجودة في المشرق والمغرب في آن واحد، وهم لا يجوّزون هذه القدرة للملائكة، ويقولون إنهم إذا نزلوا من السماء فلا بد من أن تبقى السماوات خالية منهم، وإنْ هذا إلا حمق مبين.

هذا ما جاء في حال دابة الأرض في كتب الأحاديث مع اختلافات وتناقضات حتى إن أكثر الصحابة ظنوا أنه إنسان فقط، ولأجل ذلك حسبوا أن عليًّا هو دابة الأرض. ومن أعجب العجائب أن بعض الأحاديث تدل على أن دابة الأرض مؤمنة تؤيّد المؤمنين وتخزي الكافرين، وتشهد أن دين الإسلام حق، حتى إنها تقتل إبليس وتمزقه، وبعض الأحاديث يدل على أنها امرأة كافرة خادمة للشيطان وجسّاسة للدجّال وليس فيها خير؛ فلا يمكن التوفيق بينهما إلا أن نقول إن المراد من دابة الأرض علماء السوء الذين يشهدون بأقوالهم أن الرسول حق والقرآن حق، ثم يعملون الخبائث ويخدمون الدجّال، كأن وجودهم من الجزئين.. جزء مع الإسلام وجزء مع الكفر، أقوالهم كأقوال المؤمنين، وأفعالهم كأفعال الكافرين. فأخبر رسول الله ﷺ عن أنهم يكثرون في آخر الزمان، وسُمُّوا دابة الأرض لأنهم أخلدوا إلى الأرض، وما أرادوا أن يُرفعوا إلى السماء، واطمأنوا بالدنيا وشهواتها، وما بقي لهم قلب كالإنسان، واجتمعت فيهم عادات السباع والخنازير والكلاب. تراهم مستكبرين متبخترين

كأنهم بلغوا السماء ومسّوها، ولم تخرج أرجلهم من الأرض من شدة انتكاسهم إلى الدنيا، فهم كالذي شُدِّدَ أَسْرُه وكالمسجونين. يكلّمون الناس من الإست لا من الأفواه، يعني ولا تجد في كلماتهم طهارة وبركة واستقامة ونورانية ككلمات الصالحين•.

• قال قائل: لو كان هذا هو الحق.. أن دابّة الأرض هي طائفة علماء هذا الزمان، فيلزم أن يكون تكفيرهم حقًّا وصدقا، فإن من شأن دابة الأرض أنها تسم المؤمن والكافر، فمن جعله الدابةُ كافرا - يُشير المعترض إلينا - فعليكم أن تقرّوا بكفره، فإن التكفير بمنـــزلة الوسم من دابّة الأرض.

فيُقال في جواب هذا المعترض إن المراد من الوسم إظهارُ كفرِ كافر وإيمان مؤمن، فهذا الإظهار على نوعين: قد يكون بالأقوال وقد يكون بالأفعال ونتائجها. وقد جرت سُنة الله أنه قد يجعل الكافرين والفاسقين علّةً موجبة لظهور أنوار إيمان أنبيائه وأوليائه، ألا ترى إلى سيدنا ونبينا محمد المصطفى ﷺ كيف كانت عداوة أبي جهل وأمثاله موجبةً لإنارة صدقه وضياء إيمانه؟ ولو لم يكن أبو جهل وإخوانه من المعادين لبقي كثير من أنوار الصدق المحمدي في مكمن الاختفاء، فإذا أراد الله أن يُظهر صدق نبيه ﷺ بين الناس فجعل له الحاسدين المعاندين المعادين في الأرض كأبي جهل وشياطين آخرين، فمكروا كل المكر وآذوا كل الإيذاء، وسعوا لإطفاء أنوار نزلت من السماء، فعجزوا عن ذلك، وجاء الحق وزهق الباطل، وظهر أمر الله ولو كانوا كارهين. فجاز أن يُقال إن أبا جهل وأمثاله كانوا سببا لظهور صدق المصطفى وإيمانه الطيب وأنواره العليا، فكذلك نقول إن دابّة الأرض التي هي خادمة الشيطان.. أعني التي تتكلم بالإست لا بالفم كالصالحين من نوع الإنسان.. هي تسم المؤمن بمعنى أنها تُظهر أنوار إيمانه كما أظهر أبو جهل أنوار إيمان خاتم النبيين. فتفكرْ ولا تكن كالمعتوه والمجانين. منه

ومن اعتراضاهم ما قيل إن بعض أجلِّ مشائخهم قال إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وسألته عن هذا الرجل (يعني عن المؤلف) أهو كاذب أم صادق؟ فقال: **صادق ومن عند الله**، ولكن الله يمازحه◈.

أما الجواب فاعلم أن ذلك الشيخ قد أرسل إليّ رسولين من عنده، كان اسم أحدهما: الخليفة **عبد اللطيف**، واسم الثاني: الخليفة **عبد الله العرب**، فجاءا إليّ في مقام **فيروزفور** وقالا قد أرسلَنا إليك شيخنا **صاحب العَلم** يقول إني رأيت رسول الله ﷺ واستفسرته في أمرك وقلت بيّنْ لي يا رسول الله أهو كاذب مفتر أم صادق؟ فقال رسول الله ﷺ: **إنه صادق ومن عند الله. فعرفتُ أنك على حق مبين**، وبعد ذلك لا نشك في أمرك ولا نرتاب في شأنك، ونعمل كما تأمر، فإن أمرتنا أن اذهبوا إلى بلاد **الأمريكه** فإنّا نذهب إليها، وما تكون لنا خِيرة في أمرنا، وستجدنا إن شاء الله من المطاوعين.

هذا ما قال رسولاه وكانا من شرفاء القوم، بل الذي كان اسمه عبد الله العرب هو من مشاهير التجار، ومنَّ الله عليه بأموال كثيرة وباقيات صالحة، وأظن أنه رجل صالح لا يكذب، وقد أنفق مالا كثيرا في سبيل الله ومهمّات الدين، وله همٌّ كثير لإعلاء كلمة الإسلام، وما جاءني إلا على قدم الصدق والإخلاص، وما جاء إلا بعدما أرسلهما شيخهما، ففكِّرْ ديانةً وإنصافا.. أأرسلَهما شيخهما

◈ اسم هذا الشيخ: بير صاحب العَلَم، ويسكن في بعض بلاد السندهـ. وسمعت أنه من مشاهير مشائخ تلك البلاد وجماعةُ مبايعيه قريب من مئة ألف أو يزيدون. منه

من ديار بعيدة على تحمُّل مصارف السبيل وتكاليف السفر في أيام الشتاء ليبلّغا منه كلمةَ المزاح، ويؤذيا.. على خلاف السُنة.. أهل الصلاح؟ وإنهما حيّانِ موجودان، والشيخ حي موجود، فاسألْهما وشيخهما إن كنت من المرتابين.

ومع ذلك.. نسبة المزاح إلى الله تعالى قول ترى حقيقته، وأنت تعلم أن المزاح نوع من الكذب، ولا يصح عليه سبحانه الكذب، فإنه رجس ومن النقائص، والنقائص كلها تستحيل عليه تعالى ذاتًا.. عقلاً وعُرفًا، وقد اتفق العلماء على أن الله تعالى لا يكذب ولا يُخلف الميعاد، والكذب عليه مُحال لما فيه من أمارة العجز أو الجهل أو العبث، ولما فيه زيادة ونقص، ويتعالى الله عن النقائص كلها وكل أنواعها. وجواز الكذب في أخباره تعالى ووحيه وإلهامه يُفضي إلى مفاسد لا تُحصى؛ قال في شرح المواقف: ويمتنع عليه الكذب اتفاقا، ولو كان الله كاذبا لكان كذبه قديما إذ لا يقوم الحادث بذاته تعالى، فكيف يكون الكذب من صفاته القديمة وهو أصدق الصادقين؟

ومن اعتراضاتهم أنهم قالوا قد ثبت من القرآن أن عيسى عليه السلام رُفع إلى السماء غير مقتول ولا مصلوب، وجاء في الأحاديث أنه سينـــزل* ويقتل الدجّال، ويتزوج ويولد له، ثم يموت فيُدفن في قبر

* الحاشية: ولو كان عيسى راجعا إلى الدنيا بعد الرفع لقال رسول الله ﷺ: والله ليوشكنّ أن يرجع، ولكنه قال: والله ليوشكن أن ينـــزل، فتركُ رسول الله ﷺ لفظَ

رسول الله ﷺ. وقد جاء في بعض الأحاديث أنه لم يمت، وقد انعقد الإجماع على مجيئه قبل موته في زمان يبعث الله المهدي فيه، ويدعو على يأجوج ومأجوج فيموتون بدعائه، فكيف يمكن الإنكار من هذه الأحاديث التي اتفق عليها السلف والخلف والصحابة والتابعون والأئمة وأكابر المحدثين؟

أمّا الجواب فاعلم أن وفاة عيسى ثابت بالآيات التي هي قطعية الدلالة، لأن القرآن ما استعمل لفظ التوفي إلا للإماتة والإهلاك، وصدّق ذلك المعنى رسولُ الله ﷺ وشهد عليه رجل من الصحابة الذي كان أعلم بلغات قومه، وكان استنبط علم التفسير ووضعه، وكان له اليد الطولى والقدح الْمُعَلّى في تحقيق لسان العرب وكان من العارفين. وأمّا شهادته.. فكما جاء في البخاري: متوفيك مميتك، وقال العيني شارح البخاري: رواه ابن أبي حاتم عن أبيه، قال حدثنا أبو صالح حدثنا معاوية عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: متوفيك مميتك.

ثم اعلم أن ادعاء الإجماع في عقيدة رفع عيسى حيًا بجسمه العنصري باطل وكذب صريح. قال ابن الأثير في كتابه "الكامل" إن أهل العلم قد اختلفوا في عيسى هل رُفع قبل الموت أو بعده، فبعضهم ذهبوا إلى أنه رُفع قبل الموت، وبعضهم ذهبوا إلى أنه مات

الرجوع واختيارُه لفظ النـــزول دليل قوي على أنه أراد من عيسى رجلا آخر، لا عيسى الذي هو نبي الله ابن مريم. منه

إلى ثلاث ساعات أو سبع ساعات، وذهب فريق من المعتزلة والجهمية أنه ما رُفع بجسمه العنصري بل مات ورُفع بالرفع الروحاني، وما يكون نزوله إلا نزولا روحانيا كما كان الرفع روحانيا. وقد أثبت البخاري موته في صحيحه بكتاب الله وحديث رسوله وقول بعض الصحابة. فأين ثبت الإجماع على رفعه حيًا وعدم موته؟

وكذلك ما اتفق المسلمون على دفنه في قبر رسول الله ﷺ، وقال العيني في شرح البخاري: قيل يُدفن في الأرض المقدسة. وكذلك اختُلِفَ في موضع نزوله، وفي حديث ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ينـــزل أخي عيسى ابن مريم على جبلِ أَفِيْقَ إمامًا هاديا حَكَمًا عادلا، بيده حربةٌ لقتل الدجّال، وتضع الحرب أوزارها". وأخرج نعيم بن حماد من طريق جبير بن نفير وشريح وعمر بن الأسود وكثير بن مرة قال قالوا إنما الدجّال شيطان لا غيره، يعني يخرج في آخر الزمان ويوسوس في صدور الناس ويقتله المسيح بالحربة السماوية، يعني بالنور.

والذين آمنوا من الصحابة بنـــزوله ما آمنوا إلا إجمالا، والذين صرّحوا في هذا الباب بعد الصحابة فقد أخطأوا، ولا يجب علينا أن نتبع آراءهم. هم رجال ونحن رجال، وقد منّ الله علينا وكشف علينا بإلهاماته ما لم يكشف عليهم، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده المؤمنين.

وقد أشار الله تعالى في القرآن أن التوراة إمام.. يعني فيه نظير كل واقعة يقع في هذه الأمة، ولذلك قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[*]، ولكنّا لا نجد في التوراة نظير النـــزول الجسماني، بل نجد نظيرا فيه للنـــزول الروحاني كما ذكرْنا قصة نزول إيلياء النبي، فتدبرْ بقلب سليم أمين.

ثم مع ذلك.. قد ثبت أن الواقعات الآتية التي أخبر عنها رسول الله ﷺ أو غيرُه من الأنبياء ما وقعت كلها بصورها الظاهرة المرجوّة، بل وقع بعضها على الظاهرة وبعضها على وجه التأويل. فإذا كان سُنة الله كذلك في ظهور الأنباء المستقبلة.. فأي دليل على أن خبر نزول المسيح محمول على الظاهر؟ ولِمَ لا يجوز أن يكون محمولا على الباطن؟ بل إذا دقّقنا النظر فيأمر العقل أن الأخبار التي هي أمارات كبرى للقيامة.. لا بد لها أن لا تقع إلا في حُلل الاستعارات، فإن القيامة لا تأتي إلا بغتة، ولا يزول ريب المرتابين أبدا حتى تأتيهم كما ثبت من نصوص القرآن. وأمّا إذا جوّزْنا ظهور الأمارات الكبرى على صورها الظاهرة.. فلا تبقى الساعة أمرا ظنيا في أعين المنكرين. فوجب أن نعتقد أن الأمارات الكبرى لا تقع على صورها الظاهرة، وكذلك النـــزول نزول روحاني بتوسط رجل يُشابه في صفاته، كما فُسِّر معنى نزول إيلياء النبي من قبل في صحف النبيين.

---

[*] *الأنبياء: ٨*

وأما قولهم إن الأحاديث تشهد على أن عيسى يقتل الدجّال بحربته، فنحن لا نُسلّم أن الأحاديث تدل عليها بالاتفاق، بل الحديث الذي جاء في البخاري في أمر عيسى.. يعني قول رسول الله ﷺ: "يضع الحرب"، يدل بدلالة صريحة على أن عيسى لا يقتل الدجّال بآلة من آلات الحرب، وكيف يأخذ حربته بيده مع أن رسول الله ﷺ قال في حقه إنه يضع الحرب؟ فلا شك أن حربة قتل الدجّال حربة روحانية منــزَّلة من السماء كما يدل عليه حديث رُوي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ ينــزل أخي عيسى بن مريم على جبلِ أَفِيْقَ إمامًا هاديا حَكَما عادلا بيده حربة يقتل به الدجّال، فقد ظهر من هذا الحديث أن الحربة سماوية لا أرضية، فالقتل أمر روحاني لا جسماني. ثم لما كان الدجّال شيطان آخر الزمان يبسط ظل الضلالة على مظاهره.. فما معنى القتل الجسماني؟ وما نقلوا أنه بعد قتله يُدفَن أو يُحرق أو يُلقى في البحر أو يُطرح في الأرض حتى تأكله الطير. فهذه كلها دلائل قاطعة على أن القتل أمر روحاني.

واعلم أن حربة عيسى الذي ينــزل معه من السماء إنما هو حربة نَفَسِه التي يهلك بها كل كافر، فما لكم لا تتدبرون كالعاقلين؟ وقد علمتم أن الدجّال شيطان كما جاء في بعض الأحاديث، فحربة قتل إبليس لا تكون إلا حربة روحانية، فحديث وضع الحرب حديث صحيح يوجد في البخاري، وكل ما يخالفه من الأحاديث

فهو مدسوس عليه أو مؤوَّل، والذي يُجادل في ذلك فقد نسي هذا الحديث الذي يوجد في كتاب هو أصحّ الكتب بعد كتاب الله، وهذا هو الحق ولا يُنكره إلا قُباعٌ غافل، فتدبرْ ولا تكنْ من المستعجلين.

وأما أحاديث مجيء المهدي.. فأنت تعلم أنها كلها ضعيفة مجروحة ويُخالف بعضها بعضا، حتى جاء حديث في ابن ماجه وغيره من الكتب أنه لا مهدي إلا عيسى بن مريم؛ فكيف يُتَّكَأُ على مثل هذه الأحاديث مع شدة اختلافها وتناقضها وضعفها، والكلامُ في رجالها كثير كما لا يخفى على المحدثين.

فالحاصل أن هذه الأحاديث كلها لا تخلو عن المعارضات والتناقضات، فاعتزِلْ كلها، ورُدَّ التنازعات الحديثية إلى القرآن، واجعَلْه حَكَمًا عليها ليتبين لك الرشد وتكون من المسترشدين. فإن كنتَ تقبَل الأحاديث مع شدة اختلافها وتناقُضها وتنـزُّلها عن مرتبة اليقين، فكم من حريّ أن تقبل القرآن اليقيني القطعي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إن كنت تريد أن تتبع سبل اليقين.

ومن اعتراضاتهم أنهم قالوا إن هذا الرجل لا يؤمن بأن المسيح كان خالق الطيور وكان محيي الأموات وكان في العصمة مخصوصا متفردا محفوظا من مسّ الشيطان لا يُشابهه في هذه الصفة أحد من النبيين.

أما الجواب فاعلم أنّا نؤمن بإحياء إعجازي وخلق إعجازي، ولا نؤمن بإحياء حقيقي وخلق حقيقي كإحياء الله وخلق الله، ولو كان كذلك لتشابهَ الخلق والإحياء، وقال الله سبحانه: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ﴾◈، وما قال فيكون حيًا بإذن الله، وما قال فيصير طيرا بإذن الله. وإن مثل طير عيسى كمثل عصا موسى، ظهرت كحية تسعى ولكن ما تركتْ للدوام سيرته الأولى. وكذلك قال المحققون إن طير عيسى كان يطير أمام أعين الناس وإذا غاب فكان يسقط ويرجع إلى سيرته الأولى. فأين حصل له الحياة الحقيقي؟ وكذلك كان حقيقةُ الإحياء.. أعني أنه ما ردّ إلى ميّت قط لوازمَ الحياة كلها، بل كان يُري جلوةً من حياة الميّت بتأثير روحه الطيب، وكان الميّت حيًّا ما دام عيسى قائم● عليه أو قاعدا، فإذا ذهب فعاد الميّت إلى حاله الأول ومات. فكان هذا إحياءً إعجازيًّا لا حقيقيًّا، والله يعلم أن هذا هو الحقيقة الواقعة، ثم مازَجَها أغلاطُ بيان الناس، وزادوا فيها ما شاءوا كما لا يخفى على من له شَمّة من العلم والبصيرة، فدَقِّقِ النظر في مطاوي الآيات ومعانيها لِيُكشَف عنك الضلال والظلام وتكون من المتبصّرين.

◈ آل عمران: ٥٠

● سهو، والصحيح: "قائما". (الناشر)

ومن اعتراضاتهم أنهم قالوا إن الله تعالى قد أخبر عن نزول المسيح عند قرب القيامة كما قال: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾[o].

أمّا الجواب فاعلم أنه تعالى قال: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾، وما قال إنه سيكون علمًا للساعة، فالآية تدل على أنه علم للساعة من وجه كان حاصل له بالفعل، لا أن يكون مِن بعدُ في وقت من الأوقات. والوجه الحاصل هو تولُّده من غير أب، والتفصيل في ذلك أن فرقة من اليهود.. أعني الصدوقين.. كانوا كافرين بوجود القيامة، فأخبرهم الله على لسان بعض أنبيائه أن ابنًا من قومهم يولد من غير أب، وهذا يكون آيةً لهم على وجود القيامة، فإلى هذا أشار في آية: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾، وكذلك في آية: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾[◈]، أي للصدوقين.

وقال بعض المفسرين إن ضمير إنه لعلم للساعة يرجع إلى القرآن، فإن القرآن أحيا خَلقًا كثيرا وبعَثهم من القبور، فهذا البعث الروحاني دليل على البعث الجسماني، يعني على الساعة، كما في معالم التنــزيل وغيره.

فالحاصل أن آية: ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ لا يدل[●] على نزول المسيح قط، بل يفحم المنكرين بدليل موجود ثابت، فلهذا قال:

---

[o] *الزخرف:٦٢* [◈] *مريم:٢٢*

[●] *سهو، والصحيح: " تدل". (الناشر)*

﴿فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾، ولا يُقال مثل هذا القول لآيةٍ ما ثبت وجودها بعد، وما رآها أحد من المخالفين.

ومن **اعتراضاتهم** أنهم قالوا إن كان هذا هو المسيح الذي أُرسِل لكسر الصليب وقتل الخنازير فقد مضت عليه إحدى عشر سنة من رأس القرن، فأي صليب كُسر، وأي خنـــزير قُتل، وأي جزية وضع، ومن ذا الذي دخل في الإسلام وترك سبل الكافرين؟

أما الجواب فاعلم أن الحق لا يأتي دفعة بل يأتي تدريجا، وفي العيني عن ابن عباس رضي الله عنه: يُقيم عيسى تسع عشر سنة لا يكون أميرا ولا شرطيا ولا ملِكا. وقد مضت على رسول الله ﷺ ثلاث عشر سنة في مكة وما لحق به في هذه المدة إلا فئة قليلة من المساكين. وكان من بعض علاماته المكتوبة في التوراة فتح الروم والشام وبلاد فارس، فما عاينَها الناس في وقت حياته، وما تبعه جموع كثيرة من كل قوم ومُلكٍ إلا بعد انتقاله إلى رفيقه الأعلى، بل ما رأى في أوائل زمانه إلا مصيبة على مصيبة، والذين آمنوا معه آذاهم القوم إيذاءً كثيرًا وعيّروهم وطردوهم وقالوا عليهم كل كلمة شريرة كاذبين. وهكذا طردوا الأنبياء كلهم، ومسّتهم البأساء والضرّاء في أوائل زمانهم، فمضت على ذلك الابتلاء مدة طويلة حتى قالوا متى نصر الله، فهلك من كان من الهالكين، كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ والضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى

نَصْرُ اللهِ﴾•. فكذلك يريد أبناء هذا الزمان ليقتلوني أو يصلبوني أو يطرحوني في غيابة جُبٍّ، ويدوسوا الصداقة بأرجلهم، ويحرقوا الأشجار الخضرة كما يُحرَق الحشائش اليابسة، فالله المستعان على ما يكيدون وهو خير الناصرين. وأما نصره الذي ينكرونه فشيء سترى ما لا تسمع، بل ظهرت علاماته في أعين الناظرين.

ألا ترى أن الزمان كيف انقلب إلى **التوحيد** .. وكيف هبّتْ **رياح** الإسلام في **بلاد** المشركين.. وكيف يدخلون **في دين الله أفواجا** في كل مُلك؟ فما هذا إلا النور الذي نزل من السماء مع الذي أُنزل لإصلاح الناس، فأي دليل واضح من هذا إن كنت من المنصفين؟ يا مسكين.. قُمْ وافتح **العين** لتنظر كيف يُكسَر الصليب ويُقتَل الخنــزير بحربة السماء. وأما قتل الناس بآلات هذه الدنيا فليس بشيء عجيب. أليس الملوك يفعلون أيضا ذلك؟ فتحسَّسْ حربة الله، ولا تكن من المنكرين.

وقد ذكرتُ آنفا أن الدجّال لا يكون إلا شيطانًا، فيوسوس في صدور قوم تبعوه فيكونون عَمَلةً له، ويكون فعلهم فعله، فينــزل في هذا الزمان المسيحُ الموعود بالحربة الملكية السماوية، فيقتل ذلك الشيطان ويقتل خنازيره؛ وإلى هذا أشار القرآن في مقامات شتى، وأشار إلى أنه يفتح في آخر الزمان. فالذين يتنــزل الشيطان عليهم

• *البقرة:٢١٥*

يعثون في الأرض مفسدين، وينسلون من كل حدب، ثم يجمع الله عباده على كلمة الحق بنفخ الصُوْر السماويّ، وكان ذلك قدرًا مقدورًا من ربّ العالمين.

وهذا سرّ من أسرار الله تعالى، وسُنّة من سُننه.. أنه إذا أراد إصلاح الناس في وقت تسلّط الشيطان على قلوبهم، فيُنــزل روحه على قلب عبد من عباده ومعه ملائكة، فيتنــزل الملائكة في كل طرف، فيوحون إلى عباده أن قوموا واقبلوا الحق، فيأتونهم ويعطونهم قوةً لقبول الحق وتحمُّل المصائب. وما يظهر هذه التحريكات إلا عند ظهور رسول أو نبي أو محدَّث، ولكن الجاهلون ما يعرفون هذا السر الذي تهبّ منه رياح الهداية، ويغلطون فيه ويسلكون مسلك الاتفاقات، ولا يتدبّرون في أن الله قد جعل لكل شيء سببا، وما من متحرك في الكون إلا وله مُحرّك، أولئك الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا ورضوا بخيالات سطحية وما كانوا من المتدبرين.

والحق أن للملَك لَمَّةً بقلب بني آدم وللشياطين لَمَّة، فإذا أراد الله أن يبعث مصلحا من رسول أو نبي أو محدَّث فيقوّي لَمَّةَ الملَك ويجعل استعداداتِ الناس قريبةً لقبول الحق، ويعطيهم لهم عقلا وفهما وهمّة وقُوّةَ تحمُّلِ المصائب ونورَ فهمِ القرآن ما كانت لهم قبل ظهور ذلك المصلح، فتُصفَّى الأذهان، وتتقوى العقول، وتعلو الهمم، ويجد كل أحد كأنه أُوقظَ من نومه، وكأن نورًا ينــزل من غيب على قلبه، وكأن معلّمًا قام بباطنه، ويكون الناس كأن الله بدّل

مزاجهم وطبيعتهم، وشحّذ أذهانهم وأفكارهم. فإذا ظهرت واجتمعت هذه العلامات كلها فتدل بدلالة قطعية على أن المجدد الأعظم قد ظهر، والنور النازل قد نزل، وإلى هذا أشار سبحانه في سورة القدر وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وما أدراك ما ليلةُ القدر* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ والرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾. وأنت تعلم أن الملائكة والروح لا ينـــزلون إلا بالحق، وتعالى الله عن أن يُرسلهم عبثًا وباطلاً. فإرسال الروح ههنا إشارة إلى بعث نبي أو مرسَل أو محدَّث يُلقى ذلك الروح عليه، وإرسال الملائكة إشارة إلى نزول ملائكة يجذبون الناس إلى الحق والهداية والثبات والاستقامة، كما قال الله تعالى في مقام آخر: ﴿إِذْ يوحي ربك إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾◈، أي هاتوا قلوبَهم وحَبِّبوا إليهم الإيمانَ والثبات والاستقامة، فهذا فعل الملائكة إذا نزلوا. ففي سورة القدر إشارة إلى أن الله تعالى قد وعد لهذه الأمة أنه لا يضيّعهم أبدا، بل إذا ما ضلوا وسقطوا في ظلمات يأتي عليهم ليلة القدر، وينـــزل الروح إلى الأرض، يعني يلقيه الله على من يشاء من عباده ويبعثه مجددا، وينـــزل مع الروح ملائكةٌ يجذبون قلوب الناس إلى الحق والهداية،

◈ الأنفال:١٣

فلا تنقطع هذه السلسلة إلى يوم القيامة. فاطلبوا تجدوا، واقرَعوا يُفتَح لكم.

وإن هذا الزمان زمان قد انفتحت فيه أبواب النعماء الجسمانية والترقيات الجديدة، وترون نعمًا جديدة في ركوبكم ولباسكم وأنواع تمدُّنكم، وقد انكشف كثير من دقائق العلم الطبعي والرياضي وخواص النفس، ونجد أبناء الدنيا في علومهم الجديدة كأنهم يصعدون إلى السماء، ويرون أشياء تتحير فيها العقول، ويتأخر منها المنقول، ونجد من كل طرف صنعة جديدة وفنونا جديدة وأعمالا معجبة دقيقة كسحر مبين، ولا نجد من هذه الصنائع أثرا في الأولين، كأن الأرض بُدّلت غير الأرض. وإذا ثبت أن في الأرض أمواجا من علوم جديدة ومعارف جديدة، وفتَق الله حُجبَ العلوم الأرضية من قدرته، فلِم تعجبُ من فتق السماء؟ وألهمني ربي وقال: "إِنَّ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا"، فافهَمْ هذا السر ولا تيأس من رَوح رب العالمين.

وأنت ترى أن أدنى المساكين في هذه الأيام تنعم بنعماء ما رآها أحد من آبائه بل من الملوك السابقين، ولا سليمان مع كل مجده. فإذا منّ الله على عباده بنعمائه الجسمانية.. فكيف تظنون أنه تركهم محرومين من نعمائه الروحانية؟ فتدبّرْ فيما سردنا عليك واعتذِرْ إلى الله وإلى أهل الحق إن كنت من المتورعين. اصبروا أيها المستعجلون حتى يأتي الله بأمره. ما لكم لا ترون الفتن التي كثرت فيكم، وما

كان الله ليذر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب، فلا تيأسوا من أيام الله وهو أرحم الراحمين.

ومن اعتراضاتهم أنهم قالوا إن الأولياء لا يدّعون ويقولون نحن كذا وكذا، بل أحوالهم ومسراهم تدل على كونهم أولياء، فالذي ادّعى فهو ليس وليّ الله، بل لا شك أنه من الكاذبين.

أمّا الجواب فاعلم أن السلف والخلف قد جوّزوا إظهار الولاية تحديثًا لنعمة الله، وإن كُتُب الشيخ الجيلي والمجدد السرهندي مملوءة من ذلك، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾◈، وروى ابن جرير في تفسيره عن أبي يسرة غفاري أن الصحابة كانوا لا يحسبون الشكر شكرا إلا بشرط الإظهار، لأن الله تعالى قال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾●. وروى الديلمي في "الفردوس" وأبو نعيم في "الحلية" أن عمر بن الخطاب رقِي المنبر وقال الحمد لله الذي صيّرني كما ليس فوقي أحد. فسأله الناس عن ذلك القول، فقال ما قلتُ إلا شكرًا لنعمة الله تعالى. وأمّا ما قال الله تعالى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾*، ففرِّقْ بين تزكية النفس وإظهار النعمة، وإن كانا مشابهين في الصورة. فإنك إذا عزوت الكمال إلى نفسك ورأيتك كأنك شيء، ونسيتَ الخالق الذي مَنَّ عليك فهذا تزكية النفس، ولكنك إذا عزوتَ كمالك إلى ربّك، ورأيت كل

◈ *الضحى:١٢* ● *إبراهيم:٨* * *النجم:٣٣*

نعمة منه، وما رأيت نفسك عند رؤية الكمال بل رأيت في كل طرف حولَ الله وقوته ومنّه وفضله، ووجدتَ نفسك كميّتٍ في يد الغسّال، وما أضفتَ إليها شيئا من الكمال، فهذا هو إظهار النعمة. فالذين في قلوبهم مرض يسعون إلى الاعتراض مستعجلين، ولا يفرّقون بين الشاكرين المأمورين والمرائين البطّالين، ويلتبس عليهم الأمر من القرين. وهذا آخر كلامنا في ردّ اعتراضاهم، والله يحكم بيننا وبينهم، وهو خير الحاكمين.

واعلم أن لهم اعتراضات ركيكة غير ذلك، بل كل دقيقة المعرفة في نظرهم محل اعتراض، وقد فرغنا من ردّ اعتراضاهم الكبيرة، وأما الاعتراضات الصغيرة الواهية فالكتاب نُزِّهَ عنها، وجاء الكتاب بفضل الله كاملا شافيا كما ستراه إذا قرأته بتدقيق النظر. وقد سردنا في هذا الكتاب أدلة قطعية يقينية صحيحة من كتاب الله وسُنة رسوله، وأتممنا الحجة على المخالفين. والله يعلم أني ما انتصرتُ لنفسي في استئصال اعتراضاهم، ولست أن أعادي أحدا لِما عاداني، وليس لي عدو في الأرض إلا الذي هو عدوّ الله ورسوله، وإنما انتصاري لهما.. فما أسبّ السابّين ولا ألعن اللاعنين، ولا أضيّع وقتي الذي هو أزكى وأنفسُ في أمور لا طائل تحتها، وأفوّض أمري إلى الله ربّ العالمين.

فإن كان ربّي يخذلني.. فمن ذا الذي يُعزّني؟ وإن كان يُعزّني فمن ذا الذي يخذلني؟ فكل أمري في يد ربّي. إن كان لي عنده قدر

فيهَب سترًا يمتدّ، وإلا فيتركني بوجهٍ يسودّ، فلا أعلم غيره أحدا الذي يُهلكني أو كان من المُنجِين. وأرجو فضله، وأنتظر نصرته، وهو ربّي منَّ عليّ وأتم عليّ نعمته، يعلم ما في قلبي، وهو أرحم الراحمين. وإني وضعتُ في نفسي أن أموت على بابه، ولا أبرحها في كل حال من الفتح والهزيمة، حتى يأتيني نصر منه، ومن ينصرُ إلا الله، وهو نعم المولى ونعم النصير. وآذاني قومي.. ولعنوني وكفّروني.. وقالوا كافر دجّال، وسمّوني بأسماء يكرهون أن يُسمَّوا بها، ولقّبوني بألقاب لا يحبّون أن يلقَّبوا بها، وأكثروا القول في إيماني وكانوا معتدين. فأفوّض أمري إلى الله.. هو يعلم ما في قلبي وما في قلوبهم، ولا يخفى على الله خافية.. أليس الله بأعلم بما في صدور العالمين؟

ويا قوم.. أُذكّركم بآيات الله:

﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾◈

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾○

﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ✹

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُو بِالألْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يُتُبْ

◈ الحجرات:٧ ○ الحجرات:١١ ✹ الحجرات:١٠

فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَّعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾◈

﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ ○

﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾❃

﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلا نَكِدًا﴾●

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ▣

﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⊙

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ ✷

◈ *الحجرات: ١٢-١٣* ○ *النساء:٩٥* ❃ *البقرة:١٩٥* ● *الأعراف:٥٧-٥٩*
▣ *الصف:١٠* ⊙ *البقرة:٢٥٢* ✷ *فاطر:١١*

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾●

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾◉

وقد خصّني الله تعالى بآيات من عنده، وبارك في قولي ونُطقي، وجعل البركة في دُعائي، وأنزل الأنوار على أنفاسي وعلى داري وجدران بيتي، وهو معي حيثما كنت، وأرسلني ليعلم المخالفون المعادون أن تلك النعم ثابتة في الإسلام، ولا حظ منها لغيرهم، وليعلموا كيف مرتبة المسلمين عند الله. فوالله إن هذا الأمر صحيح حق، ومن يقصدني بقلب سليم ونية صحيحة، ويأتيني مستفيضا مستغيثا.. فبابتهالي وبركةِ دُعائي يُدرِك ما طلبه، ويفوز في كل أمر، إلا في الذي جفّ القلم بكونه من قدر السوء. وقد شرحتُ لك يا أخي قصتي هذه على غاية الاقتصار، فانظر مكتوبي هذا بنظر الإمعان، واستعمل الإنصاف فيه، وإني لك لمن الناصحين.

فخَفْ ممن هو أكبر من كل كبير، وهو المِلك الحقيقي الذي أشرق بنور وجهه ما في السماوات والأرض، ويرتعد الملائكة من سلطانه، ويهتز العرش من عظمته، وقد أعدَّ للمؤمنين الصالحين

● غافر: ٥٧-٥٩ ◉ الذّاريات: ٥١

نعماء الأبد التي لا انقطاع لها، والحياةَ التي لا موت بعدها. وقد خصّكم الله يا جيران بيت الحرام بمزايا كثيرة، وأعطاكم قلبا متقلبا مع الحق رحمةً من عنده، فانظروا في أمري يا معشر الكرام. وليس هذا الأمر من الأمور التي يُغفَلُ عنها، ولا تدري نفسٌ بأي وقت تُدعى إلى السماء. واعلموا أن هذه الأيام أيام الفتن، وزمانُ أمواج المفاسد، وقد زُلزلت الأرض زلزالا شديدا، وتكاثرت الآفات على الإسلام، فاذكروا عهد الله واتقوا أيام الطوفان والطغيان، واستمسِكوا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، واطلبوا رضى الربّ الكريم، واجعلوا بعد خوفه كلَّ خوف تحت أقدامكم.

ونسأل الله أن يوفقكم، ويعطيكم من لدنه قوة، ويهبكم من عنده إلهامًا موقنًا، ويعصمكم من الخطأ في النظر والاستعجال في إقامة الرأي وسوء الظن، ونسأله أن يُدخلكم في ملكوته مع الأنبياء والرسل والصدّيقين والشهداء والصالحين. ونحن ننتظر الجواب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الراقم المفتقر إلى الله الصمد

غلام أحمد عافاه الله وأيّد

وقد كُتب في آخر الربيع الأول سنة ١٣١١هـ

من قاديان ضلع غورداسفور

من الهند، البنجاب

قصيدة لطيفة

لمؤلف هذه الرسالة في بيان مفاسد الزمان
وضرورة رجل يهدي إلى طرق الرحمن
ونعتِ سيد الأنبياء وفخر الإنس والجانّ ﷺ

دموعي تفيض بذكرِ فتــن أنظُرُ ... وإني أرى فتنًا كقطرٍ يــمطُرُ
تهبّ رياح عاصفات مــبـيدةٌ ... وقلَّ صلاحُ الناس والغَيُّ يكثرُ
وقد زُلزلت أرضُ الهدى زلزالها ... وقد كُدّرتْ عين التقى وتُكدَّرُ
وما كان صَرْخٌ يَصْعَدَنّ إلى العُلى ... وما مِن دعاء يُسمَعنَّ و يُنصَرُ
فلما طغى الفسق المبيد بسيلــه ... تمنّيتُ لو كان الوباءُ المُــتَبِّرُ
فإن هلاك الناس عند أولي النهى ... أحبُّ وأولى من ضلال يُخسِّرُ
على أجدُرِ الإسلام نزلت حوادثٌ ... وذاك بسيئات تُــذاع وتُــنشرُ
وفي كل طرف نارُ فتن تأجّجت ... وفي كل ذنب قد تراءى التقعُّرُ
ومن كل جهة كلُّ ذئب ونمرة ... يعيــث بوثب والعقارب تأبُرُ
وعينُ هدايات الكتاب تكدرتْ ... بها العِيْنُ والآرام يمشي ويــعبُرُ
تراءت غوايات كريح عاصفٍ ... وأرخى سدولَ الغيِّ ليلٌ مُكدِّرُ
وللدين أطلالٌ أراها كلاهف ... ودمعي بذكر قصوره يتــحدّرُ
أرى العصر من نوم البطالة نائما ... وكل جَهول في الهوى يتبخترُ
وليلا كعين الظبي غابت نجومه ... وداءً لَشِدَّتُه عن الــموت تُخبِرُ
نسوا نَهْجَ دين الله خبثًا وغفلة ... وأفعالهم بغــيٌ وفسق ومَيسِرُ

وما همُّهم إلا لــحظٍّ نفوسهم ... وما جهدهم إلا لعيشٍ يوفَّرُ
وقد ضيّعــوا بالجهل لبنًا سائغا ... ولم يبق في الأقــداح إلا ماضِرُ
وركب المنايا قد دناهم بسيفهم ... وهم خيلُ شحٍّ ما دناهم تحسّرُ
تصيدُهم الدنيا بعــظمة مكرها ... فيا عجبًا منها ومــما تــمكّرُ
تذكِّر إفلاسا وجوعا وفــاقــة ... فــتدعو إلى الآثام مــما تذكِّرُ
تريد لتُهلِك في التــغافل أهلها ... وقد عقرتْ هممَ اللئام وتعقِرُ
وألهتْ عن الدين القويم قلوبَهم ... فمالوا إلى لــمعاتها وتخيّــروا
تقود إلى نار اللظى وجنــاتُها ... ولــمعاتُها تصبي القلوب وتختِرُ
وتدعو إليها كلَّ من كان هالكا ... فكلٌّ من الأحداث يدنو ويخطِرُ
تــميس كبِكرٍ في نقاب المكائدِ ... وتُبــدي وميضًا كاذبا وتزوِّرُ
ودقّتْ مكائدها فلم يُدْرَ سرُّها ... لــما نسجتْها من فنون تكوِّرُ
وتبدو كتُرْسٍ في زمان بكيدها ... وفي ساعة أخرى حُسامٌ مشهَّرُ
وعين لهــا تصبي الورى فــتّانة ... ولقتلِ أهل الفسق كَشْح مُخصَّرُ
عجبتُ لمنظرِ ذاتِ شيبٍ عجوزةٍ ... أنيقٍ لــعين الناظرين وأزهَــرُ
لزِمتُ اصطبارًا إذ رأيتُ جمالها ... فقلتُ إلهي أنت كهفي ومأْزَرُ
فصَيَّرَهــا ربي لنفسي سَرِيَّــةً ... كجــاريةٍ تُلقَى بطَوْعٍ وتُهجَرُ
وذلك فضلٌ من كريم ومحسن ... ويعطي المهيمن من يشاء ويحجُرُ
وقد ضاقت الدنيا على عشّاقها ... ويبغونها عشقًا وحــبًّا فتُدْبِرُ
تزاحمت الطلاب حول لحومها ... كمثل كلاب والــمنايا تسخرُ
وإنّ هواها رأسُ كلّ خطــيئةٍ ... فخَفْ حُبَّها يا أيها الــمتبصّرُ

وقد مضغتْ أنيابُها كلُّ طالبٍ وأنت أَثارتُهم فسوف تُكسَّرُ
على كل قلب قد أحاط ظلامها سوى قلب مسعودٍ حماه الميسِّرُ
إذا ما رأيتُ المسلمين كـــلابَها ففاضتْ دموع العين والقلبُ يضجَرُ
على فسقِهم لما اطّلعتُ وكسلِهم بكيتُ و لم أصبِـــرْ ولا أتصـــبّرُ
أكبّوا على الدنيا ومالوا إلى الهوى وقد حلَّ بيتَ الدين ذئبٌ مدمِّرُ
أرى ظلماتٍ ليتَني مِـــتُّ قبلها وذقتُ كؤوس الموت لولا أُنوَّرُ
فساد كـــطوفان مبـــيد وإنني أراه كموج البحر أو هو أكثَرُ
أرى كلَّ مفتون على الموت مُشرِفًا وكل ضعيف لا محالة يعـــثُرُ
فأنقضَ ظهري ضعفُهم ووبالهم ومِن دون ربي مَن يداوي وينصرُ؟
فيا ربِّ أَصْلِحْ حالَ أُمّةَ سيدي وعندك هَيِّـــنٌ عندنا متـــعسِّرُ
وليس بِراقٍ قبل أن تأخُذَنْ يدًا وليس بِساقٍ قبل كـــأسٍ تُقدِّرُ
وقد نُشِرتْ ذرّاتُنا من مصائبٍ ومِـــتْنا فلا تـــذكُرْ ذُنوبًا تنظُرُ
ولا تُخرِجَنْ سيفًا طويلا لقتلِنا وتُبْ وَاعْفُوَنْ يا ربِّ قوم صُغِّرُوا
وإنْ تُـــهلِكْنا يا ربَّنا بذنـــوبنا فنفنى بموت الخزي والخصمُ يَبطَرُ
ولا أبرَحُ المضمارَ حتى تعـــينني ولا بُدَّ لي أن أُهْلَكَنْ أو أُظفَّرُ
وإني أرى أن الـــذنوب كبيرة وأعرف معه أن فضلك أكـــبَرُ
إلهي أَغِثْنا واسْقِنا واحْمِ عِرْضَنا بسلطانك الأجلى وإنك أقدَرُ
يئِسنا من المخلوق وانقطع الرجا وجئناك يا مَن يعلَمَنْ ما يُضمَرُ
تعاليتَ يا مَن لا تُحاطُ كمالُهُ لك الحمد حمدًا ليس يُحصى ويُحصَرُ
تَصدَّقْ بألطاف كما أنت أهلُها وأَدْرِكْ عبادًا لك كما أنت أقدَرُ

فخُذْ بيدي يا ربِّ في كل موطنٍ وأَيِّدْ غريبًا يُلْعَنَنْ ويُكَفَّرُ
أتيتُك مسكينًا وعونُك أعظَمُ وجئتُك عطشانًا وبحرُك أَزخَرُ
قد اندرستْ آثارُ دينِ محمدٍ فأشكو إليك وأنتَ تبني وتَعمُرُ
أرى كل يوم فتنةً قد مُدِّدتْ ومِتْنا وأمواتُ الأعادي بُعْثِروا
وقد أزمعوا أن يزعجوا سبلَ الهدى وكم من أراذلَ من شقاهم تَنَصَّرُوا
أرى كل محجوب لدنياه باكيا فمن ذا الذي يبكي لدينٍ يُحقَّرُ
فيا ناصِرَ الإسلام يا ربَّ أحمدا أَغِثْني بتأييد فإني مُدْخَرُ
أيا ربّ مَن أعطيتَه كل درجةٍ وشأنًا برؤيته الورى تتحيرُ
وما زلتَ ذا لطف وعطف ورحمةٍ وما كنتُ محروما وكنتُ أُوقَّرُ
فلا تجعَلَنِّي مضغةً لمحاربي وأنتَ وحيدي كلَّ خطأ تَغفِرُ
وأنت المهيمنُ مرجعُ الخَلق كلِّهم وأنتَ الحفيظ تعينني وتُعزِّرُ
وما غيرُ بابِ الرب إلا مذلّة وما غيرُ نورِ الرب إلا تكَدُّرُ
وعُلِّمتُ منك حقائق الدين والهدى وتهدي بفضلك من ترى وتُنوِّرُ
إذا ما بدا لي أن علميَ غامضٌ فأيقنتُ أني عن قريب سأُكفَرُ
فسلَّمتُ بعد الاهتداءِ بفضله سلامَ الوداع على الذي يستنكِرُ
وإن الهداية يرجِعَنْ نحو طالبٍ ومَن غضَّ عينَيْ رؤيةٍ أين يُبصِرُ؟
ووالله لا يشقى الذي هو يطلبُ ومَن جدَّ في تحصيل هديٍ سيُنصَرُ
ومن كان أكبر همّه جلب لذّةٍ وحظٍّ من الدنيا فكيف يُطهَّرُ
أَمُكْفِرِ! مهلاً بعضَ هذا التحكم وخَفْ قَهْرَ ربٍّ قال ﴿لا تقفُ﴾ فاحذروا
وإن ضياءَ الدين قد حان وقته فتعرف شجرتنا بما هي تُثمرُ

ويا حسراتٍ موبقاتٍ على الذي … يكذّبني مِن غير علم ويُكْــفِرُ
وما جئتُ قومي من ديار بعيدة … وقـــد عرفوني قبله ثم أنكروا
وأعرضَ عني كلُّ من كان صاحبي … وأُفرِدتُ إفرادَ الذي هو يُقبَرُ
تــمنَّيتُ أن يخفى تطاوُلُ قولهم … وهل يختفي ما في المجالس يُذكَرُ؟
ويعوي عدوي مثل ذئب مِن طوًى … وليس له علم بـــما هو أذكرُ
وما رُزِقتْ عيناه مِن نيِّر العُلى … فأخلَدَ نحو الأرض جهلا ويُنكِرُ
أولئك قوم ضيّعـــوا أَمْرَ دينهم … وخانوا العهود وزيّنوا ما زوَّروا
ويعلم ربي سرَّ قلبـــي وسرَّهم … وكلّ خفـــيّ عنـــده متحضِّرُ
ولو كنتُ مردودَ المليك لضَرَّني … عـــداوةُ قومٍ كذّبوني وكفّروا
وهـــمّوا بتكفيري وقاموا للعنتِ … ولم يعلموا أنَّ المهيـــمن ينظُرُ
إذا قيل إنك مرسَلٌ خِلْتُ أنني … دُعِيتُ إلى أمر على الخَلْق يَعسرُ
وكنتُ على نور فزاغوا من العَمى … وهل يستوي الأعمى ورجلٌ يَبصُرُ
وما ديننا إلا هدايةُ أحـــمـــدا … فياليتَ شعري ما يظن المكفِّرُ
وقد كنتُ أنسى كلَّ جَوْرِ مُعيِّري … ولكـــنـــه جـــور كبير مكوَّرُ
وكم من دلائلَ قد كتبتُ لطالبٍ … يفكّر فـــيها لَـــوْذَعِيٌّ مُـــدبِّرُ
ألا أيـــها الـــمتكبـــر المتشدّدُ … تريد هـــواني والـــكريمُ يُعزِّرُ
وإذ قلتُ إني مسلم قلتَ كافر … فأين التُّقى يا أيها الـــمتـــهوِّرُ
وبعد بياني أين تـــذهب منكرًا … أتعلم يا مسكين ما هو مُضْمَرُ
فلا تتجرعْ أيها الضال في الهوى … بأيديك كأس الموت ما لك تُخطِرُ
وكلُّ سعيد يعرف الحقَّ قـــلبُهُ … وأما الشقيّ فيعلَمَنْ حين يخسَرُ

وإني تركتُ النفس والخَلق والهوى | فلا السبُّ يؤذيني ولا المدحُ يُبطِرُ
وكم من عدوٍّ بعدما أكملَ الأذى | أتاني فلم أَصعَرْ وما كنتُ أصعَرُ
أحِـــنُّ إلى من لا يـــحِنُّ محبّةً | وأدعـــو لمن يدعو عليّ ويهذَرُ
خُذِ الرفقَ إن الرفق رأس المحاسنِ | ويكسِر ربي رأس من يتكـــبّرُ
عجبتُ لأعمى لا يداوي عيونَه | ومِن كل ذي الأبصار يلوي ويسخَرُ
أتنسى نجاساتٍ رضيتَ بأكلِها | وتذُمّ ما هو مستطـــاب وأطهَرُ
تُسَمِّين جهلاً يا ابنَ آوى ثعلبًا | ومـــا أنا إلا الليث لـــو تتفكّرُ
تفيض عيون العـــارفين بقولنا | ولكن غبيٌّ يضـــحكَنْ ويحقِّرُ
تُعـــيِّرني ظلمًا وكبرًا ونـــخوةً | وهيهاتَ، أهلُ الحق كيف يُعيَّرُ
صبرنا على ظلم الخلائق كلها | وتُبْـــنا إلى الرب الذي هو أقدَرُ
تركْنا القِلى واللهُ كافٍ لصادق | وإن الصـــدوق بفضله يُتخَـــيَّرُ
وليس الفتى من يقتل الناسَ سيفُه | ولكنـــه من يُظلَمَـــنّ ويصبرُ
أرى الظلمَ يبقى في الخراطيم وَسْمُه | وأما علامات الأذى فتَـــغـــيَّرُ
أَتُكْفِرُني يا أيها المستعـــجـــلُ | وأيّ عـــلاماتٍ ترى إذ تُكفِّرُ
وإن إمامـــي سيد الرسل أحمدُ | رضيناه متـــبوعا وربّيَ ينـــظُرُ
ولا شك أن محمدا شمس الهدى | إلـــيه رغِبْـــنا مؤمنين فنشكُرُ
له درجات فوق كـــل مدارجٍ | له لـــمعـــاتٌ لا يليـــها تصوُّرُ
أَبَعْدَ نبيِّ الله شـــيءٌ يـــرُوقني | أبعـــدَ رسول الله وجـــهٌ مُنوَّرُ
عليك سلامُ الله يا مَرْجَعَ الورى | لكل ظـــلامٍ نورُ وجهـــك نيِّرُ
ويـــحمدك الله الوحيد وجندُه | ويُثني عليك الصبحُ إذ هو يَجشُرُ

مدحتُ إمــامَ الأنبيــاء وإنــه لأرفَعُ مِن مدحي وأعلى وأكبرُ
دَعُوا كلَّ فخر للنبي مــحــمد أمامَ جلالةِ شأنه الشمسُ أحقَرُ
وصلُّوا عليه وسلِّموا أيها الورى وذَرُوا له طُرقَ التشاجر تُؤْجَروا
ووالله إنــي قد تبعتُ محمدًا وفي كــل آن مِن سناه أُنوَّرُ
وفَوَّضَني ربي إلى روضِ فيضه وإني به أجــنِي الجَنى وأُنَضَّرُ
ولِــدِينه فــي جَذْرِ قلبيَ لوعةٌ وإن بــيانــي عن جنانيَ يُخبِرُ
ورثتُ علوم المصطفى فأخذتُها وكيــف أردّ عطاء ربي وأفجُرُ
وكيف وللإسلام قمتُ صبابةً وأبــكي لــه ليلا نهارا وأضجَرُ
وعندي دموع قد طلَعْنَ المآقِيا وعنــدي صراخٌ مثلُ نارِ مُسَعَّرُ
تضوّعَ إيماني كــمسكٍ خالصٍ وقلبي من التوحيد بيتٌ مُعطَّرُ
وفي كل آن يأتينْ مِن خالــقي غــذائي نَميرُ الماء لا يتغيَّرُ
تضيء الظلامَ معارفي عند منطقي وقولي بفــضل الله دُرٌّ مُــنوَّرُ
إلى منطــقي يرنو الفهيم تعشقًا ويُزعِج نطقي كلَّ وهمٍ ويَجذُرُ
سنا برقِ إلــهامي ينيــر لياليا وكشفي كصبح ليس فيه تكدُّرُ
وإن كلامي مثل سيف قاطــع وإن بيــاني في الصخور يؤثِّرُ
حفرتُ جبال النفس من قوة العلى فصار فــؤادي مثل نهر يُفجَّرُ
وأَدْعِيَتي عند الوَغى تقتُل العدا فــطوبى لقــلبٍ يتّقيها ويحذَرُ
وآذاني قــومــي بسبٍّ ولعنةٍ وكم من لسان لا يضاهيه خنجرُ
إذا مــا تحامتْني مشاهير ملتي فقلتُ اخسَأوا إن الخفايا ستَظهَرُ
فريق من الإخوان لا ينكرونني وحزب يكذّب كل قولي ويزجُرُ

وقد زاحموا في كـــل أمر أردْتُه وكـــلٌّ يـــخوِّفني و ربي يُبشِّرُ
فأقسمتُ بالله الذي جلَّ شأنهُ على أنه يُخزي عدوي ويَشزِرُ
وما أنا عن عون المُعين بـــمُبْعَدٍ إذا اللـــيل واراني فنُورٌ يُـــنوِّرُ
وقد قادني ربي إلى الرشد والهدى ووقَّـــرني مَـــن عنـــده فأُوَقَّرُ
وإن كريمي يُطلِق الكفَّ بالندى ولي مِن عطاء الرب رزقٌ يُوفَّرُ
ولا زال مـــمدودا عليَّ ظلالُهُ ونعـــماؤه كثرتْ عليَّ وتكثُرُ
أكان لكم عجبًا ببعثِ مـــجدِّدٍ هلمَّ انْظُروا فتنَ الزمان وفكِّروا
أمامك يا مغرورُ فـــتـــنٌ محيطة وأنت تسبّ المـــؤمنين وتَـــهجُرُ
فهذا على الإسلام يوم المصائبِ يُكفَّرُ مثلي والرياضُ حَبَوكَرُ
وللكفر آثار ولـــلـــدين مثلها فقُوموا لتفتيش العلامات وانظروا
أتحسب أن الله يُـــخلف وَعْدَهُ أتـــنسى المواعيد التي هي أظهَرُ
ويأتيك وعدُ الله من حيث لا ترى فـــتعـــرفه عيـــنٌ تَحِدُّ وتُبصِرُ
وقد علِم الأعـــداء أني مـــؤَيَّدٌ ولكنهم من حقدهم قد أنكروا
ألا أيها الإخوان بَشُّوا وأَبشِروا هنيًّا لكم عيدٌ جـــديد أكـــبرُ
وليس لعَضْبِ الحق في الدهر كاسرٌ وما يضعون من الحديد فيُكسَرُ
وهـــل جائز سبُّ المؤيَّد بعدما أتتْ آيـــةُ المولى وظهَر المُضمَرُ
وفي يد ربـــي كلُّ عزّ وسؤدَدٍ وعـــزيزه مِن كيدكم لا يُحَقَّرُ
فمن ذا يعاديني وربي يـــحبّني ومـــن ذا يُراديـــني وربي مُعزِّرُ
لنا كـــل يوم نصرةٌ بعد نصرة ويأتي الحـــبـــيب مقامَنا ويبشِّرُ
وما أنا ممن يمنع السيفُ قصدَه فكيف يخوِّفـــني بشتمٍ مُكفِّرُ

يسبّ ويعلم أنه يترك التُّقى على مثله الوُعَّاظِ يبكي المنبرُ
وما إنْ رأينا وَعْظَه غيرَ فتنة وما زالت الشحناء تنمو وتكثُرُ
وكفّرَني حتى ظنَنَّا أنه سيصلَى بحبّ الكُفر نارًا يُسعَّرُ
عجبتُ له لا يتركنَّ شروره وذَكَّرَه مِن كل نصحٍ مُذكِّرُ
ومِن عجبِ الأيامِ أنيَ كافر بأعينِ رجلٍ حاسدٍ بل أكفَرُ
وكيف أخاف الحاسدين وسبَّهم ويرحمني ربي ويؤوي وينصرُ
أُحِبُّ مصائبَ سبلِ ربي وإنها لأطيبُ لي مِن كل عيش وأطهَرُ
أيا أيها الألْوَى كسَبُعٍ تغيُّظًا فستعلَمنْ في أي شكل تُحشَرُ
فلا تقفُ ما لا تعلمَنْ أسراره وكم من علوم الحق تخفى وتستُرُ
وجهلُك أعجبَني وطولُ امتداده وإن الفتى بعد الجهالة يشعُرُ
أتُقبِرُ حيًّا مثلَ ميتٍ خيانةً ويعلم ربي كلَّ ما أنت تستُرُ
إلامَ فسادُ القلب يا تاركَ الهدى إلامَ إلى سبل الشقاوة تَسفُرُ
ووالله إني مؤمن غير كافر وأين التُّقى لو كان مثليَ يفجُرُ
فيا سالكِي سبلِ الشياطين اتقوا قديرا عليما واحذَروا وتذكَّرُوا
وطوبى لإنسان تيقّظَ وانتهى وخاف يد المولى وسيفًا يُثَعْجِرُ
ووالله إني جئتُ منه مجدِّدًا بوقت أضلَّ الناسَ غُولٌ مُسخِّرُ
وعلّمني ربي علومَ كتابه وأُعطِيتُ مما كان يُخفى ويُستَرُ
وأسرار قرآنٍ مجيدٍ تبيّنتْ عليّ ويسّرَ لي عليمٌ مُيسِّرُ
كأن العذارى بالوجوه المنيرةِ خرجنَ من الكهف الذي هو مُقعَرُ
ألا إن الأيام رجعتْ إلى الهدى هنيًّا لكم بعثي فبَشُّوا وأَبْشِروا

وقد اصطــفاني خالقي وأعزَّني وأيَّدني واختارني فتدبَّروا
ووالله ما أمري عليّ بــغُــمّةٍ وإني لأعــرفُ نورَه لا أُنكِرُ
إذا قلَّ دينُ المرء قلَّ اتــقــاؤُه ويسعى إلى طرق الشقا ويزوِّرُ
ومَن ظنَّ ظنَّ السَّوء بُخلاً فقد هوى وكلّ حَسود عــند ظنٍّ يُتبَّرُ
ولا يعلمَنْ أن المنايا قــريــبةٌ إذا ما يجيء الوقت فالموت يحضُرُ
وهل نافعٌ وِرْدُ التندُّمِ بــعدما دنا وقــتُ قارعةٍ وجاء المقَدَّرُ
ألا أيها الناس اذكروا وقت موتكم فــلا تُلْهِكم غولٌ خبيث مخسِّرُ
وقد ذابت الصَفْواء مِن بيتِ عمرِكم ومــا بقِي إلا جمرةٌ أو أصغَرُ
ومِسْحُ الحِمام سيحمِلَنْك على المطا وأنت بأمــوال وخيل تفــخَرُ
ألا ليس غير الله شــيء مُدَوَّمٌ وكلُّ جليسٍ ما خلا اللهَ يهجُرُ
تَذَكَّرْ دمــاءَ العارفين بسبلهِ ألم يأن أن تخشى، أأنت محرَّرُ؟
وإن الــمنايا سابــحاتٌ قويّةٌ أثرنَ غــبارًا عند حُكمٍ يصدرُ
وآخر دعوانا أن الــحمد للذي هدانا مناهجَ دينِ حزبٍ طُهِّروا

قد تمّ بمنّه وكرمه